الجزء الثاني (من)

خُلاَصَةُ الْكَلاَمْ

فِي بَيَانِ اُمَرَاءِ الْبَلَدِ الْحَرَامْ

للسيد أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي
المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ. [١٨٨٦ م.]

ويليه

إرشاد الحيارى

تأليف العالم الفاضل الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني

ويليه

من الفتاوى الحديثية

تأليف

أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي
المتوفى سنة ٩٧٤ هـ. في مكة المكرمة

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول-تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤٣٢	١٣٨٩	٢٠١١

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**).

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء. واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين.[١]

---

(١) لاخير في تعلّم علم مالم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج: ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

تنبيه: إنّ كلاً من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر – **الحقيقة** – في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة.

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş.
29 Ekim Cad. No: 23 Yenibosna-İSTANBUL
Tel: 0.212.454 30 00

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين **{أما بعد}** فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني بعض من لا تسعني مخالفته أن ألخص في كراريس من ولّى امارة مكة من زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم الى وقتنا هذا ليسهل مراجعة ذلك عند الاحتياج وان كان ذلك مذكورا في التواريخ الاّ أنه منتشر في ضمن كثير من الوقائع والاخبار لا يهتدي اليه من اراده الاّ بمشقة فجمعت هذه الكراريس ملخصا لما فيها من التواريخ المعتمدة عند أهل العرفان مقتصرا على ما لابد منه في البيان **{وسميته خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام}** واعلم أن علم التاريخ علم يعرف به أحوال الماضين وموضوعه أخبار السابقين وثمرته اعطاء كل ذي حق حقه واسترجاع النفوس وتثبتها واستكثارها من الاعمال الصالحة قال تعالى (**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** * هود: ١٢٠) قال حسان بن يزيد لم نستعن على دفع كذب الكذابين بمثل التاريخ ويحكى أن يهوديا أظهر كتابا ذكر فيه أنه كتاب النبي صلّى الله عليه وسلّم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جمع من الصحابة منهم علي ومعاوية وسعد بن معاذ رضي الله عنهم فعرضوا ذلك على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزوّر فقيل له من أين علمت ذلك قال فيه شهادة معاوية وهو أسلم يوم الفتح وكان الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان فتح خيبر في السنة السابعة وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فأي منقبة أشرف من هذا قال الصفدي التاريخ للزمان مرآة وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاه وأخبار الماضين لمن عاقره الهموم ملهاه وأنشد:

لولا الاحاديث أبقتها أوائلنا * من الندى والردى لم يعرف السمر

بسم الله الرحمن الرحيم

(ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن أحمد خان سنة ١٢٠٣ هـ. [١٧٨٨ م.])

وفي هذا العام كانت وفاة مولانا السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد خان بن محمد بن ابراهيم وجلس بعده على تخت السلطنة ابن أخيه مولانا السلطان سليم بن السلطان مصطفى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم.

(ذكر قتل الخطيب)

وفي شهر رجب وقعت حادثة بمكة وهي ان يوم الجمعة كان الخطيب الشيخ عبد السلام الحرشي فتعرض له عند المنبر نبقالي قيل مجنون قبل الصلاة وضربه سكينا قطع بها أمعاءه فكانت هي القاضية ووقع في المسجد ضجة عظيمة حتى أشاع بعض العوام ان المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام وعما قليل زال الالباس وتقدم خطيب آخر فخطب وصلى بالناس وأمر مولانا الشريف بصلب ذلك القاتل فصلب وفي شهر شعبان حصل اختلاف بين والي جدة عزة محمد باشا ووزير مولانا الشريف الماس رمضان فاغلق الباشا الفرضة والقبان وقلد قاضي الشرع بالمقاليد فجعل القاضي يترل الفرضة لجمع العشور ويضبط ما يتحصل من المال ويعرف ما يخص الباشا وما يخص مولانا الشريف غالبا ثم عزل مولانا الشريف الوزير الماس رمضان لانه السبب في هذه الفتنة الحاصلة بين مولانا الشريف ووالي جدة وجئ به الى مكة وسجن مقيدا بالحديد.

(ذكر الفتنة بين الشريف غالب والشريف عبد الله
بن سرور سنة ١٢٠٤ هـ. [١٧٩٠ م.]

وفي خمس وعشرين من جمادي الاولى من سنة أربع بعد المائتين والألف حبس مولانا الشريف يحيى سلتوح وكان مقدما لاخيه المرحوم الشريف سرور فاطلع

مولانا الشريف غالب على أشياء صدرت منه تكون سببا للفتنة بينه وبين أولاد أخيه الشريف سرور فقبض على يحيى المذكور وحبسه في قبو تحت الارض في بيت ريحان الفروجي فأقام فيه برهة من الزمن ثم هدم بالوعة المطهر وهرب منها وتوارى في بيت أولاد المرحوم الشريف سرور فكان ذلك داعيا للفتنة والشرور ولم يعلم له مولانا الشريف غالب بمكان وتطلبه فلم يجده ثم أغرى يحيى سلتوح الشريف عبد الله بن سرور على طلب شرافة مكة وهو صغير عمره اثنتا عشرة سنة وتكفل له بالاعانة فأرسل شرذمة من العبيد نحو الخمسمائة ورموا بالبنادق من المسجد على بيت مولانا الشريف غالب ثم ولوا مدبرين وترسوا بيت الوزير ريحان وبيت القطبي وما حوله من البيوت وثبت الشريف في داره فوقع الحرب من البيوت بين الطرفين واستمر الى أربعة أيام وليال وانقطعت الناس عن السير في طرقات البلاد وانقطعت الصلوات الخمس والطواف فلما لم يظفروا بمرام أخذوا ذمة وخرج أولاد الشريف سرور مع أخيهم الشريف عبد الله وتوجهوا الى العابدية وخرج معهم يحيى سلتوح وعبيد أبيهم وجملة من الاشراف وجملة من البادية كانوا مختفين بناديهم فأخرج اليهم رتبة حاصروهم في بيت العابدية فخرجوا ليلا وتوجهوا الى بلاد هذيل وجمعوا جموعا وأقبلوا على مكة.

(ذكر القتال بينه وبين الشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)

فخرج مولانا الشريف بمن معه من العساكر والجنود الى بركة السلم وحصل بينهم وبينه قتال خمس ساعات ثم انهزموا ورجعوا الى رهجان ورجع مولانا الشريف الى مكة ثم جاء الخبر انهم رجعوا الى العابدية فأرسل مولانا الشريف اليهم سرية أمر عليها أخاه الشريف عبد المعين ومعه مائة من الخيل وكثير من العساكر ثم اتبعه بجند آخر أمر عليه أخاه السيد عبد العزيز ففر القوم الذين بالعابدية حين علموا بخروج الجند اليهم وتوجهوا الى جبال هذيل ثم الى الطائف وعاملهم ثقيف فحاربوا الوكيل وملكوا الطائف ثم توجهوا الى رهاط لجمع بعض القبائل ثم أقبلوا بهم وبقبائل ثقيف

فخرج مولانا الشريف لقتالهم بالابطح ووقعت ملحمة عظيمة ثم انهزموا وقبض مولانا الشريف باليد على السيد عبد الله بن سرور وأخيه محمد وتبدد ذلك الجمع فحبسهما أياما ثم أطلقهما وأرسلهما الى أمهاتهم واستقر الامر وهرب يحيى سلتوح الى ديار حرب ثم الى المدينة ثم الى دمشق وزور عروضا للدولة تتضمن طلب الملك للسيد عبد الله بن سرور وذهب بها لابواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم عاد الى مصر وبقى بها الى ان مات وفي شهر المحرم من سنة خمس بعد المائتين والألف غزا مولانا الشريف الاشراف ذوي حسن سكان الشاقة لانهم كانوا يقطعون طريق اليمن فصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم.

(ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥)

وفي هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد ابن عبد الوهاب[١] في عقيدته التي كفر بها المسلمين وينبغي قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر ابتداء أمرهم وحقيقة حالهم فان فتنتهم من أعظم الفتن التي ظهرت في الاسلام طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين[٢] واشتهر أمره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائغة بنجد وقرأها فقام بنصرته واظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلة الكذاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتابعه أهلها وسيأتي ذكر شئ من عقيدته التي حمل الناس عليها وما زال يطيعه على هذا الامر كثير من أحياء العرب حي بعد حي حتى قوى أمره فخافته البادية وكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء حتى اتسع له الملك وكانوا في مبدإ أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم راموا حج البيت الحرام وكان ذلك في

([١]) محمد بن عبد الوهاب النجدي مات سنة ١٢٠٧ هـ. [١٧٩٢ م.]

([٢]) ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٤٣ هـ. [١٧٣٠ م.]

دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فارسلوا يستأذنونه في الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الاذن في الحج ولو بمقرر يدفعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في الشرق وفساد عقائدهم و لم يعرفوا حقيقة ذلك فامر مولانا الشريف مسعود ان يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فاذا هي مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع ان يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم في السلاسل والاغلال فسجن منهم جانبا وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أمرهم واستكبر ونأي عن هذا المقصد وتأخر حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا في مدته يستأذنون في الحج فابى وامتنع من الاذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الامر أخوه الشريف أحمد ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون الاّ بدين الزنادقة فابى أن يقر لهم في حمى البيت الحرام قرار و لم يأذن لهم في الحج بعد ان ثبت عند العلماء انهم كفار كما ثبت في دولة الشريف مسعود فلما ان ولّى الشريف سرور أرسلوا أيضا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فاجابهم بأنكم ان أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام صرمة مثل ما نأخذها من الاعجام وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون في الحج فمنعهم وهددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول فعلا فجهز عليهم جيشا في سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بينهم المحاربات والغزوات الى أن انقضى تنفيذ

مراد الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أن يعدّ من المنظرين فان ولادته كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وسبعة وأرخ بعضهم وفاته بقوله (بها هلاك الخبيث) فعمره اثنتان وتسعون سنة وخلف أولادا أخبث منه قاموا بنشر دعوته بعده وأولاده هم عبد الله وحسن وحسين وعلي وكان عبد الله الاكبر فقام بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا تعصبا شديدا في أمرهم قتله ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله الى مصر فعاش مدة ثم مات بمصر وأما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولى قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا يحكمون فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة ومات قريبا وخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد بن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا علي بن محمد بن عبد الوهاب خلف أولادا كثيرين و لم يزل نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية يسموهم أولاد الشيخ وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود ولما مات قام بعده بالامر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود وكان محمد بن عبد الوهاب في ابتداء أمره من طلبة العلم وكان يتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء مكة والمدينة وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح مختصر بافضل في مذهب الشافعي وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندي[١] من أكابر علماء الحنفية بالمدينة وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الالحاد والضلال ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الامر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه وكذا والده عبد الوهاب فانه

---

(١) محمد حياة السند من اكابر علماء الحنفية توفي سنة ١١٦٣ هـ. [١٧٤٩ م.] في المدينة المنورة

كان من العلماء الصالحين فكان يتفرس فيه الالحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فانه أنكر عليه ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا في الرد عليه وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الأسدي واضرابهم فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه اظهار هذه الدعوى لاظهرها وكان يسمي جماعته من أهل بلده الانصار ويسمي من اتبعه من الخارج المهاجرين واذا تبعه أحد وكان قد حج حجة الاسلام يقول له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا أراد أحد أن يدخل في دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين وأشهد على فلان وفلان ويسمي له جماعة من أكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهدوا قبلهم والاّ أمر بقتلهم وكان يصرح بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة وكان يكفر كل من لا يتبعه وان كان من اتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الفاسقين وكان ينتقص النبي صلّى الله عليه وسلّم كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم ان قصده المحافظة على التوحيد فمنها ان يقول انه طارش وهو في لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين بمعنى انه صلّى الله عليه وسلّم حامل كتب مرسلة معه أي غاية أمره انه كالطارش الذي يرسله الامير أو غيره في أمر الناس ليبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها انه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا حتى ان أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل يقولون أقبح مما يقوله ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما انهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه كان يقول عصاي هذه خير من محمد لانها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وانما هو طارش ومضى قال بعض العلماء ان ذلك كفر في المذاهب الاربعة

بل هو كفر عند جميع أهل الاسلام ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم ويتأذى بسماعها وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنارة بعد الاذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة يعني الزانية أقل اثما ممن ينادي بالصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنائر ويلبس على أصحابه وأتباعه بان ذلك كله محافظة على التوحيد فما أفظع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع أتباعه من مطالعة كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها وأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ شيئا من القرآن حتى صار الذي لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ اقرأ لي شيئا من القرآن وأنا أفسره لك فاذا قرأ له شيئا يفسره وأمرهم أن يعملوا بما فهموه منه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء وتمسك في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخاري[١] في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري انه صلّى الله عليه وسلّم قال أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه ومما يدعيه محمد بن عبد الوهاب أنه أتى بدين جديد كما يظهر من أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا لم يقبل من دين نبينا صلّى

---

(١) محمد البخاري توفي سنة ٢٥٦ هـ. [٨٧٠ م.] في سمرقند

الله عليه وسلّم الاّ القرآن مع أنه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عليه بدليل انه هو وأتباعه انما يؤوّلونه بحسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي صلّى الله عليه وسلّم وأقاويل الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح وكان يدعي الانتساب الى مذهب الامام أحمد[١] رضي الله عنه كذبا وتسترا وزورا والامام أحمد برئ منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا في الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه وأعجب من ذلك أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه وكان أصحابه لا ينتحلون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويتسترون ظاهرا بمذهب الامام أحمد رضي الله عنه ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول إن ذلك بدعة وانكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدينه عبد العزيز[٢] بن سعود أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر يستبيح به الدم والمال فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الأئمة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وإن كان على نص جلي أجمعت عليه الامة وكان يقول في كثير من أقوال الائمة الاربعة ليست بشئ وتارة يتستر ويقول إن الأئمة على حق

---

(١) الامام أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٤١ هـ. [٨٥٥ م.] في بغداد

(٢) عبد العزيز بن محمد بن سعود قُتل سنة ١٢١٧ هـ. [١٨٠٣ م.] في مسجد درعية بيد شيعي

ويقدح في أتباعهم من العلماء الذين ألفوا في المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله لا نعمل الاّ بهما ولا نقتدي بقول مصري وشامي وهندي يعني بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف في الرد عليه واحتجوا في الرد عليه بنصوص الامام أحمد رضي الله عنه وكان يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة ومن توسل بالنبي فقد كفر وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه انكارا شديدا في كل ما فعله أو يأمر به ولم يتبعه في شئ مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال بل أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد بن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة في رمضان فقال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله فقال له لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك فبهت الذي كفر ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فلم ينته وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يسطوا به ما تقول اذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا للقوم أثرا ولا أحد منهم جاء تلك الارض أصلا تصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له اذن جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر هذا الدين الذي جئت به متصل أو منفصل فقال له حتى مشايخي ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل فعمن أخذته فقال وحي الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك

محصورا فيك كل أحد يمكنه ان يدعي وحي الالهام الذي تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية[١] فانه ذكر فيه وجهين و لم يذكر ان فاعله يكفر حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فانهم قائلون بصحة التوسل به صلّى الله عليه وسلّم فلا وجه لك في التكفير أصلا فقال محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس فلم لم يستسق بالنبي صلّى الله عليه وسلّم ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان النبي صلّى الله عليه وسلّم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك فان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس صحة التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلّى الله عليه وسلّم قبل ان يخلق فالتوسل بالنبي صلّى الله عليه وسلّم كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبي صلّى الله عليه وسلّم فبهت وتحير وبقى على عماوته ومن قبائحه الشنيعة انه منع الناس من زيارة قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروا النبي صلّى الله عليه وسلّم وبلغه خبرهم فلما رجعوا مروا عليه في الدرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية الى الاحساء وبلغه مرة ان جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن تبعه خلوا المشركين يسيرون طريق المدينة والمسلمين يعني جماعته يخلفون معنا والحاصل انه لبس على الاغبياء ببعض الاشياء التي توهمهم باقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادي باقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة الى التوحيد فصار الاغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال اتباعه ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس من منذ ستمائة سنة وعن

---

(١) أحمد ابن تيمية مات سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في الشام.

استباحتهم أموال الناس ودمائهم وانتهاكهم حرمة النبي صلّى الله عليه وسلّم بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التي ابتدعوها وكفروا الامة بها وقد اعتنى كثير من العلمآء من أهل المذاهب الاربعة بالرد عليهم في كتب مبسوطة عملا بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقوله صلّى الله عليه وسلّم ما ظهر أهل بدعة الاّ أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الاربعة وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها فممن ألف في الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا في الرد عليه سماه تهكم المقلدين بمدعي تجديد الدين ورد عليه في كل مسئلة من مسائله التي ابتدعها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية بسؤالات كتبها وأرسلها له فعجز عن الجواب عن أقلها فضلا عن أجلها فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى (**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**) الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح أو التجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب وما فيها من المجمل والمفصل وما فيها من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقي والاسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي والعقلي وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس وأين موضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة وما فيها من ايجاز قصر وايجاز حذف وما فيها من احتراس وتتميم وبين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذلك من وجوه الاعجاز ومن طرق التحدي التي

اشتملت عليه هذه السورة مما هو منصوص على جميعه في كتب العلماء فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شئ مما سأله عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق جزاه الله خيرا وقد أخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الاحاديث من أعلام نبوته صلّى الله عليه وسلّم حيث كانت من الاخبار بالغيب وتلك الاحاديث صحيحة بعضها في الصحيحين وبعضها في غيرهما فمنها قوله صلّى الله عليه وسلّم (**الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا**) وأشار الى المشرق وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه يعني موضع الوتر سيماهم التحليق**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيؤن الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شئ من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**سيخرج في آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون قول خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**رأس الكفر نحو الشمرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان في أهل الحجاز**) وقوله صلّى الله

عليه وسلّم (**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**) قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال في الثالثة (**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال**) وفي قوله صلّى الله عليه وسلّم (**سيماهم التحليق**) تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه و لم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم ان يلتزموا مثل ذلك فالحديث صحيح فيهم وكان السيد عبد الرحمن الاهدل مفتي زبيد يقول لا يحتاج التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله صلّى الله عليه وسلّم (**سيماهم التحليق**) فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤس النساء اللاتي يتبعنه فاقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت في دينه وجددت اسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له لم تأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ لك ان تأمر بحلق رؤس النساء لان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذي كفر و لم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من اتبعه قوله صلّى الله عليه وسلّم (**سيماهم التحليق**) فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلّى الله عليه وسلّم فيما قال وقوله صلّى الله عليه وسلّم حين أشار الى المشرق (**من حيث يطلع قرن الشيطان**) جاء في رواية (**قرنا الشيطان**) بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد الوهاب وجاء في بعض الروايات وبها يعني نجد الداء العضال قال بعض الشراح وهو الهلاك وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام وجاء في بعض الاحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله صلّى الله عليه وسلّم (**منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب الاّ دخلته تصل الى جميع العرب قتلاها في النار**

واللسان فيها اشتد من وقع السيف) وفي رواية **(ستكون فتنة صماء بكماء عمياء)** يعني تعمى بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجا ويصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدي عبد الله بن علوي الحداد في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام من جملة الاحاديث التي ذكرها في الكتاب المذكور حديثا مرويا عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم **(سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا وهي فتنة يعتز فيها الارذلون والسفل تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه)** ولهذا الحديث شواهد تقوّي معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور في الكتاب الذي مر ذكره وأصرح من ذلك ان هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل انه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلّى الله عليه وسلّم قال **(إن من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد)** فكان هذا الخارجي يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان ولما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن هو في اصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال رجاء في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب[١] وقال فيه **(ان واديهم لا**

([١]) مسيلمة الكذاب قُتل بيد وحشي في غزوة اليمامة سنة ١١ هـ. [٦٣٣ م.]

يزال وادي فتن الى آخر الدهر ولا يزال الدين في بلية من كذابهم الى يوم القيامة) وفي رواية (**ويل لليمامة ويل لا فراق له**) وفي حدث ذكره في مشكاة المصابيح (**سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم**) وأنزل الله في بني تميم (**اِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ اَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** * الحجرات: ٤) وأنزل الله فيهم أيضا (**لاَ تَرْفَعُوا اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** * الحجرات: ٢) قال السيد علوي الحداد المذكور آنفا ان الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شئ كثير ويكفيك ان أغلب الخوارج وأكثرهم منهم وان الطاغية بن عبد الوهاب من تميم وان رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز من وائل وجاء عنه صلّى الله عليه وسلّم انه قال (**كنت في مبدإ الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابا اقبح ولا أخبث من رد بني حنيفة**) قال السيد علوي الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فاخبرني أنه الف كتابا في الرد على هذه الطائفة سيما الانتصار للاولياء الابرار وقال لي لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي في قلبه وأما من دخلت في قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخاري (**يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه**) قال السيد علوي الحداد وأما ما نقل عن العلامة الحفظي ساكن الحجاز انه استصوب بعض أفعال النجدي من جمعه البدو على الصلاة وترك النهب وازالة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط ومن تأمينه الطرق ودعوته الى التوحيد فهو غلط حيث حسن للناس فعله و لم يطلع على ما ذكرناه من منكراته وتكفير الامة من ستمائة سنة واحراقه الكتب الكثيرة وقتله لكثير من العلماء وخواص الناس وعوامهم واستباحته دماءهم وأموالهم واظهار التجسيم للباري سبحانه وتعالى وعقده الدروس لذلك وتنقيصه للرسل عليهم الصلاة والسلام وللاولياء ونبشه قبورهم وأمر في الاحساء ان تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل

الخيرات ومن الرواتب والاذكار ومن قراءة مولد النبي صلّى الله عليه وسلّم ومن الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعوات النبوة ويفهمهم ذلك من فحوى الكلام ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد ان الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه وان الخلق كلهم مشركون وكان يصرح في مجالسه وخطبه بكفر المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء بل يزعم ان من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام **(وسيدا)** ولا الى قول النبي صلّى الله عليه وسلّم للانصار **(قوموا لسيدكم)** يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه ويمنع من زيارة النبي صلّى الله عليه وسلّم ويجعله كغيره من الاموات وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول ان ذلك كله بدعة ثم قال السيد علوي الحداد والحاصل ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين و الاولياء و الصالحين وتنقيصهم تعمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة اهـ ولما أراد الله أن يضل محمد بن عبد الوهاب ويضل به خلقا كثيرا سلط عليه الشيطان فزين له ما ابتدعه من العقائد الزائغة فصار ينتقل في قرى نجد من قرية الى قرية ويلقى اليهم تلك العقائد شيئا فشيئا مزخرفة الالفاظ مظهرا لهم انه يريد التوحيد الصحيح و التبري من الشرك فيصدقه الجاهلون وينتبه لتلبيساته العالمون و ما زال كذلك يحبه قوم و يكرهه آخرون فآواه أهل الدرعية و ظن بعض منهم انه رسول لكافة البرية فصنف لهم رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين و زعم ان الناس كفار منذ ستمائة سنة وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أتقياء الامة وكان ممن تبعه و قبل منه كل ما يقول محمد بن سعود أمير الدرعية[١] واتخذه وسيلة

(١) محمد بن سعود أمير الدرعية مات سنة ١١٧٨ هـ. [١٧٦٥ م.] في الدرعية

لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار يدعوهم الى الدين وأثبت في قلوبهم ان جميع من هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ومن قتل مشركا فله الجنة فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا الاعتقاد مطمئنة وكان محمد بن سعود يمتثل ما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان محمد بن عبد الوهاب معهم كالنبي في أمته لا يتركون شيئا مما يقوله ولا يفعلون شيئا الاّ بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويبجلونه غاية التبجيل وما زال يطيعه حي بعد حي من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا جزيرة العرب واذا أراد ان يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الخنصر فتجيبه العربان وتلبى دعوته من كل مكان ويتحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون اليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه بشئ واذا نهبوا شيئا من الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الاربعة الاخماس ويسيرون معه أينما يسير لا يستطيعون مخالفته في نقير ولا قطمير فاذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها واقترب وسلط الاخرى على ما بعدها حتى تبدد شملها فملك أولا الشرق بأكمله ثم اقليم الحساء و البحرين و عمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا حده من الشمال ثم رجع الى الجنوب فملك الحرار بأسرها ثم الخيوف ذوات النخيل وملك الحربية والفرع وجهينة ثم ملك جميع ما بين مدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ثم ملك الطائف وكذا القبائل التي حول مكة ثم دخل مكة بالصلح وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف غالب رحمه الله من سنة خمس الى سنة عشرين بعد المائتين والالف الى ان عجز مولانا الشريف غالب عن حربه ولم يبق أحد الاّ صار من حزبه فدخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها الى غاية سنة سبع وعشرين حين جهزت الدولة العلية عليه بعساكرها المنصورة ووجهت الامر الى الوزير المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش

من العساكر المنصورة فطهر الارض منه ومن اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف فأفنى وأباد من بقي منهم وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين وقد أرخ ذلك مفتي مكة المفتي عبد الملك القلعي لما سأله مولانا الشريف غالب هل أرختم خروجهم فقال قطع دابر الخوارج ١٧٩-٢٠٧-٨٤١ = ١٢٢٧ هـ. [١٨١٢ م.]

{لطيفة} كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير يسمى الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد من مساجد تلك البلدة فاتفق ان اثنين تجادلا في شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين لابد ان يرجع أمر هذا الدين وهذه الدولة كما كانت وقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا انهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ما ذا يقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة ويكون ذلك فألا فما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون وسيأتي ان شاء الله الكلام على محاربات مولانا الشريف غالب له.

(ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية)

ولكن ينبغي أولا ان نذكر الشبهات التي تمسك بها في اضلال العباد ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ما تمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره صلّى الله عليه وسلّم وندائهم له بقوله يا رسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى (**فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ اَحَدًا** * الجن: ١٨) وقوله تعالى (**وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ اِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ * وَاِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا**

لَهُمْ اَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ * الاحقاف: ٥-٦) وقوله تعالى (**فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ اِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ** * الشعراء: ٢١٣) وقوله تعالى (**وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَاِنْ فَعَلْتَ فَاِنَّكَ اِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ** * يونس: ١٠٦) وقوله تعالى (**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ اِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ اِلَى الْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دعاء الْكَافِرِينَ اِلاَّ فِي ضَلاَلٍ** * الرعد: ١٣) وقوله تعالى (**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * اِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** * فاطر: ١٣-١٤) وقوله تعالى (**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * اُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ اِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ اَيُّهُمْ اَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ اِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** * الاسراء: ٥٦-٥٧) وامثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين قال محمد بن عبد الوهاب ان من استغاث أو توسل بالنبي صلّى الله عليه وسلّم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم أيضا مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام (**مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا اِلَى اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٣) ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون (**مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا اِلَى اللهِ زُلْفَى**) فان المشركين ما اعتقدوا في الاصنام انها تخلق شيئا بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى (**وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ** *الزخرف: ٨٧) وفي قوله تعالى (**وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ** * لقمان: ٢٥) فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الاّ لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين وهي حجة باطلة فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل هم يعتقدون انهم عبيد لله مخلوقون

له ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا انهم يخلقون شيئا ولا انهم يملكون نفعا أو ضرا وانما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم الله عباده ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر لك كثيرا منها فاعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة الاّ لله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة فاعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي أوقعهم في الشرك فلما اقيمت عليهم الحجة بانها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم الاّ ليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب واتباعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام اذا علمت هذا تعلم ان جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لانهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب واتباعه فيما صنعوه ولو كان شئ مما صنعه المؤمنون من التوسل اشراكا ما كان يصدر من النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون فقد كان من دعائه صلّى الله عليه وسلّم (**اللّهمّ إني أسألك بحق السائلين عليك**) وهذا توسل صريح لا شك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضي الله عنهم ويأمرهم بالاتيان به.

(ذكر الدعاء المسنون عند الخروج من البيت الى الصلاة)

فقد روى ابن ماجه[١] باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللّهمّ إني**

(١) ابن ماجه محمد توفي سنة ٢٧٣ هـ. [٨٨٦ م.]

أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب الاّ أنت) أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك وذكره الجلال السيوطي[١] في الجامع الكبير وذكر أيضا كثير من الأئمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الاّ وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله **(أسألك بحق السائلين عليك)** فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورضي الله عنه ولفظه كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا خرج الى الصلاة قال **(بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الاّ بالله اللّهمّ إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فإني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة)** رواه الحافظ أبونعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا خرج الى الصلاة قال **(اللّهمّ)** الى آخر ما تقدم في رواية ابن السني ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث أبي سعيد أيضا ومحل الاستدلال قوله **(بحق السائلين عليك)** فهذا توسل صدر منه صلّى الله عليه وسلّم وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف من التابعين واتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به ومما جاء عنه صلّى الله عليه وسلّم من التوسل قوله صلّى الله عليه وسلّم **(اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي)** وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني[٢] في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في القاهرة

(٢) الطبراني سليمان توفي سنة ٣٦٠ هـ. [٩٧١ م.] في الشام

مالك رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي صلّى الله عليه وسلّم وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عند رأسها وقال (**رحمك الله يا أمي بعد أمي**) وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلّى الله عليه وسلّم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلّى الله عليه وسلّم فاضطجع فيه ثم قال (**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين**) وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه أبونعيم[٢] في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال ادع الله أن يعافيني فقال (**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير**) قال فادعه فأمره أن يتوضأ فليحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (**اللّهمّ إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضي اللّهمّ شفعه فيّ**) فعاد وقد أبصر وفي رواية قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط وخرج هذا الحديث أيضا البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكر الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير ففي هذا الحديث التوسل والنداء وابن عبد الوهاب يمنع كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك وليس لابن عبد الوهاب أن يقول ان هذا انما كان في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم لان الدعاء

---

(١) يوسف بن عبد البر توفي سنة ٤٦٣ هـ. [١٠٧١ م.]

(٢) أحمد أبونُعيم الاصفهاني الشافعي توفي سنة ٤٣٠ هـ. [١٠٣٩ م]

استعمله أيضا الصحابة والتابعون بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللّهمّ إني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاءه البواب فاخذ بيده فادخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم وروى البيهقي وابن أبي شيبة[١] باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضي الله عنه الى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام وأخبره انهم يسقون وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي صلّى الله عليه وسلّم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائي لا لشك في الرؤيا وانما الاستدلال بفعل بلال بن الحرث في اليقظة فانه من أصحاب النبي صلّى الله عليه و سلّم فاتيانه لقبر النبي صلّى الله عليه وسلّم ونداؤه له وطلبه ان يستسقي لامته دليل على ان ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلّى الله عليه وسلّم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلّى الله عليه وسلّم أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها قال بعض المفسرين في قوله تعالى (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ**

---

(١) ابن ابي شيبة عبد الله توفي سنة ٢٣٥ هـ. [٨٥٠ م.]

كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ * البقرة: ٣٢) ان الكلمات هي توسله بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وروى البيهقي[١] باسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ[٢] الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الاّ ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب انك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الاّ الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الاّ أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق اليّ واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك**) ورواه أيضا الحاكم وصححه والطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوي وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال مالك و لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى (**وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذَا ظَلَمُوا اَنفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا الله وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح وذكره الامام السبكي[٣] في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السمهودي[٤] في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني[٥] في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وذكره كثير من أرباب المناسك في

---

(١) أحمد البيهقي توفي سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.] في نيشابور

(٢) الحافظ محمد الذهبي توفي سنة ٧٤٨ هـ. [١٣٤٨ م.] في مصر

(٣) الامام علي السبكي توفي سنة ٧٥٦ هـ. [١٣٥٥ م.] في القاهرة

(٤) السيد السمهودي نور الدين علي توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٦ م.]

(٥) أحمد القسطلاني الشافعي توفي سنة ٩٢٣ هـ. [١٥١٧ م.] في القاهرة

آداب زيارة النبي صلّى الله عليه وسلّم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة واستسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلّى الله عليه وسلّم ورضي عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ان عمر رضي الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالاحياء أو بالاموات وقول من منع ذلك بغير النبي صلّى الله عليه وسلّم لان فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله صلّى الله عليه وسلّم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه الامام أحمد أيضا وأبوداود والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه ورواه أبويعلى والحاكم في المستدرك أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان**) وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال صلّى الله عليه وسلّم في حقه (**وأدر الحق معه حيث دار**) وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معه حيث كان وهذان الحديثان من جملة

الادلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافه الخلفاء الاربعة لان عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره قاتله ومن الادلة الدالة على أن توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه حجة على جوار قوله صلّى الله عليه وسلّم (**لو كان بعدي نبي لكان عمر**) رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن مالك رضي الله عنه وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) وانما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس و لم يستسق بالنبي صلّى الله عليه وسلّم ليبين للناس ان الاستسقاء بغير النبي صلّى الله عليه وسلّم جائز ومشروع لا حرج فيه لان الاستسقاء بالنبي صلّى الله عليه وسلّم كان معلوما عندهم فلربما يتوهم بعض الناس انه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي صلّى الله عليه وسلّم فبين لهم عمر رضي الله عنه الجواز ولو استسقى بالنبي صلّى الله عليه وسلّم لافهم انه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلّى الله عليه وسلّم ولا يصح أن يقال انما استسقى بالعباس و لم يستسق بالنبي صلّى الله عليه وسلّم لان العباس حي والنبي صلّى الله عليه وسلّم قد مات لان الاستسقاء انما يكون بالحي لان هذا القول باطل مردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة به صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف وكما في حديث بلال بن الحرث المتقدم وكما في توسل آدم رواه عمر رضي الله عنه كما تقدم فكيف لا يعتقد عدم صحته بعد وفاته وقد روى التوسل به قبل وجوده مع انه صلّى الله عليه وسلّم حي في قبره فتلخص من هذا انه يصح التوسل به صلّى الله عليه وسلّم قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته وانه يصح التوسل أيضا بغيره من الاخيار كما فعله عمر رضي الله عنه حين استسقى بالعباس رضي الله عنه وذلك من أنواع التوسل كما تقدم وانما خص عمر العباس رضي الله

عنهما من بين سائر الصحابة لاظهار شرف أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولبيان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضي الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضي الله عنه قال بعض العارفين وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي صلّى الله عليه وسلّم نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم فانه لو استسقى بالنبي صلّى الله عليه وسلّم لربما تتأخر الاجابة لانها معلقة بارادة الله ومشيئته فاذا تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبي صلّى الله عليه وسلّم فانه اذا تأخرت الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة والاضطراب والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوزاه بالنبي صلّى الله عليه وسلّم في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الاّ لله وحده لا شريك له فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي صلّى الله عليه وسلّم باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ولا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق في التوسل بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لا يخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شئ وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الاموات ونحن نقول الله خالق كل شئ والله خلقكم وما تعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك هذا بهتان عظيم فالتوسل والتشفع والاستغاثة

كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى الاّ التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وهؤلاء سبب عادي في ذلك لا تأثير لهم وذلك مثل السبب العادي فانه لا تأثير له وحياة الانبياء في قبورهم ثابتة بادلة كثيرة استدل بها أهل السنة وكذا حياة الشهداء والاولياء وليس هذا محل بسط الكلام عليها وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يتوسعون في الكلام ويأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بانها لا تطلب الاّ من الله تعالى ويقولون للولي افعل لي كذا وكذا وربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شئ منها فانما اراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون ان العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا نقصد بالتوسل الاّ التبرك ولو أسندوا للأولياء شيئا لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة وتأمروهم سلوك الادب في التوسل مع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازي مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني وهذا الدواء أو الطبيب نفعني فان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي فان الطعام لا يشبع والمشبع هو الله تعالى والطعام سبب عادي لا تأثير له وكذا ما بعده فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشئ لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة ومع صدوره من النبي صلّى الله

عليه وسلّم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله حراما ومنهم من يجعله كفرا واشراكا وكل ذلك باطل لانه يؤدي الى اجتماع معظم الامة على الحرام أو الاشراك لان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثرهم على الحرام أو الاشراك لا يجوز لقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصحيح (**لا تجتمع أمتي على ضلالة**) بل قال بعضهم انه حديث متواتر وقال تعالى (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس فاللائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة ومنع الالفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا ينبغي ان يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التي ليس فيها ايهام كأن يقول المتوسل اللّهمّ إني أسألك وأتوسل اليك بنبيك صلّى الله عليه وسلّم وبالانبياء قبله وبعبادك الصالحين ان تفعل بي كذا وكذا لا أنهم يمنعون التوسل مطلقا ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الاّ لله وحده لا شريك له ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى (**لاَ تَجْعَلُوا دعاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدعاء بَعْضِكُمْ بَعْضًا** * النور: ٦٣) فان الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي صلّى الله عليه وسلّم بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوه باسمه وقياسا على ذلك لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بانها لا تطلب الاّ من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله على سبيل التأثير والايجاد ومن غيره على سبيل التسبب والكسب لكنه ربما يوهم تأثير غير الله تعالى فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام والجواب ان هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقا ولا يقتضي منع الطلب اذا صدر من موحد فانه يحمل على المجاز العقلي بقرينة صدوره من موحد فما وجه كونه حراما أو شركا فلو قالوا انه خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه ان يكون بالادب والاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه

فالمنع مطلقا لا وجه له ومن الادلة الدالة على صحة التوسل به صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء حيث قال روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق قال العلامة المراغي وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة في أسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف والسماء قال السيد السمهودي وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هناك وليس القصد الاّ التوسل بالنبي صلّى الله عليه وسلّم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى وقال أيضا العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء ان التوسل والتشفع به صلّى الله عليه وسلّم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي صلّى الله عليه وسلّم انه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجاته ويستشفع به صلّى الله عليه وسلّم قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي وهو مروي أيضا عن سفيان بن عيينة[١] وكل منهما من مشايخ الشافعي رضي الله عنه قال العتبي كنت جالسا عند قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول وفي رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه (**وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّٰهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وفي رواية واني جئتك مستغفرا ربك عزّ وجلّ من ذنوبي ثم بكى وأنشأ يقول:

---

(١) الامام سفيان بن عُيَيْنَة توفي سنة ١٩٨ هـ. [٨١٣ م.] في مكة المكرمة زادها الله شرفا وكرما

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم استغفر وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام قال (**يا عتبي ألحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له**) فخرجت خلفه فلم أجده وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبيت بها أحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي في الكلام كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الاتيان بما تقدم ذكره قال العلامة ابن حجر[١] في الجوهر المنظم وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه صلّى الله عليه وسلّم بثلاثة أيام جاءهم اعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزله عليك قوله تعالى (**وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي الى ربي فنودي من القبر الشريف انه قد غفر لك وجاء ذلك عن علي أيضا من طريق أخرى ويؤيد ذلك ما صح عنه صلّى الله عليه وسلّم من قوله (**حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم ما رأيت من خير حمد الله وما رأيت من شر أستغفرت لكم**) ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة انه يستحب أن يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به صلّى الله عليه وسلّم الى ربه عزّ وجلّ في قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى (**وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) ويقولون نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيع

([١]) أحمد ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي توفي سنة ٩٧٤ هـ. [١٥٦٦ م.] في مكة المكرمة زادها الله شرفا وكرما

غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا في زمرة عباده الصالحين والعلماء العالمين وفي الجوهر المنظم أيضا ان اعرابيا وقف على القبر الشريف وقال اللّهمّ ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوّك فان غفرت لي سرّ حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك وأنت يا ربّ أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك اللّهمّ ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره يا أرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلّى الله عليه وسلّم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وأما ما نقل عن الامام أبي حنيفة[١] رضي الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فمردود بما رواه الامام نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام أبي حنيفة أيضا ورد قول الكرماني[٢] انه يستقبل القبلة وقال ليس بشئ قال في الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا بانا متفقون على أنه صلّى الله عليه وسلّم حيّ في قبره يعلم بزائره وهو صلّى الله عليه وسلّم لو كان حيا لم يسع الزائر الاّ استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته في قبره الشريف صلّى الله عليه وسلّم واذا اتفقنا في المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به صلّى الله عليه وسلّم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك[٣] رحمه الله

---

(١) الامام الاعظم ابوحنيفة نعمان بن ثابت توفي سنة ١٥٠ هـ. [٧٦٧ م.] في بغداد

(٢) ركن الدين محمد الكرماني الحنفي توفي سنة ٥٦٥ هـ. [١١٦٩ م.]

(٣) الامام مالك بن انس الاصبحي توفي سنة ١٧٩ هـ. [٧٩٥ م.] في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

للمنصور و لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبرا للقبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك وأما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل القبر الشريف كبقية المذاهب وكذا القول في التوسل فان المرجح عند المحققين منهم جوازه بل استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وأما ما ذكره الآلوسي[١] في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر بذلك وقد بسط الامام السبكي نصوص المذاهب الاربعة في استحباب التوسل في كتابه المسمى شفاء السقام في زيارة خير الانام فراجعه ان شئت وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف اعرابي على قبره الشريف صلّى الله عليه وسلّم وقال اللّهمّ انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعني من المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلاني أحد البيتين المشهورين وشارحه الزرقاني البيت الآخر وهما:

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * في رقهم أعتقوهم عتق أحرار

وأنت يا سيدي أولى بذا كرما * قد شبت في الرقّ فاعتقني من النّار

ثم قال في المواهب وعن الحسن البصري[٢] قال وقف حاتم الاصم على قبره صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك صلّى الله عليه وسلّم فلا تردنا خائبين

---

(١) محمود الآلوسي الشافعي توفي سنة ١٢٧٠ هـ. [١٨٥٣ م.] في بغداد

(٢) حسن البصري التابعي توفي سنة ١١٠ هـ. [٧٢٧ م.] في البصرة

فنودي يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الاّ وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال هذه الآية (**اِنَّ الله وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** * الاحزاب: ٥٦) وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان و لم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره الاولى أن يقول صلى الله عليك يا رسول الله بدل قوله يا محمد للنهي عن ندائه باسمه حيا وميتا وابن أبي فديك من أتباع التابعين وكان من الائمة الثقات المشهورين وهو من المروي عنهم في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن قال الزرقاني[١] في شرح المواهب اسمه محمد ابن اسماعيل بن مسلم الديلمي مات سنة مائتين على الصحيح وهذا الذي نقله في المواهب عن ابن أبي فديك رواه عنه البيهقي وفي شرح المواهب للزرقاني ان الداعي اذا قال اللّهمّ اني أستشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن سلف الامة وخلفها ان التوسل به صلّى الله عليه وسلّم وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم وانها من أعظم القربات وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته ويكون أيضا بعد البعث في عرصات القيامة وأحاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى الاطالة بذكرها فبطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وما افتراه ولبس به على المؤمنين قال في المواهب ويرحم الله ابن جابر حيث قال:

به قد أجاب الله آدم اذ دعا * ونجي في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره * ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال في المواهب فالتوسل به صلّى الله عليه وسلّم في حياته وبعد وفاته أكثر من ان

---

(١) محمد الزرقاني المالكي توفي سنة ١١٢٢ هـ. [١٧١٠ م.] في القاهرة

يحصى أو يدرك باستقصاء قال وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابن عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ثم ذكر في المواهب كثيرا من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبي صلّى الله عليه وسلّم يستسقي به وأنشد أبياتا أولها:

أتيناك والعذراء يدمي لباها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

الى أن قال في تلك الابيات:

وليس لنا الاّ اليك فرارنا * واين فرار الخلق الاّ الى الرسل

فلم ينكر عليه صلّى الله عليه وسلّم هذا البيت بل قال أنس لما أنشده الاعرابي الابيات قام يجرّ رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر وفي صحيح البخاري انه لما جاء الاعرابي وشكى للنبي صلّى الله عليه وسلّم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال صلّى الله عليه وسلّم لو كان أبوطالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي صلّى الله عليه وسلّم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان في ذلك اشراك لانكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء البيت من أبي طالب من جملة قصيدة مدح بها النبي صلّى الله عليه وسلّم ان قريشا أصابهم قحط فاستسقى بهم أبوطالب وتوسل بالنبي صلّى الله عليه وسلّم فاغدودق عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبي صلّى الله عليه وسلّم فانشأ أبوطالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ومُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الاّ

الله محمد رسول الله فسكن قال في الجوهر المنظم فاذا كان له صلّى الله عليه وسلّم هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الامم السابقة وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لاجله ويقضي حاجته وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بارجى عمل له فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم فالتوسل به صلّى الله عليه وسلّم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته فالمؤمن اذ توسل به انما يريد نبوته التي جمعت الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون يجوز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه وأيضا لو سلمنا لهم ذلك فنقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي صلّى الله عليه وسلّم باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك وعلى الاذن فيه ومثله سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين والمعرفة لله رب العالمين وذلك كله سبب لكونهم من عباد الله المقربين فيقضي سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير وفيها ان سواد بن قارب انشد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قصيدته التي فيها:

فاشهد ان الله لا ربّ غيره * وانك مأمون على كل غائب

وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما فيه شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعا وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة النبي صلّى الله عليه وسلّم فانها رثته بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم بأبيات قالت فيها:

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا * وكنت بنا برّا و لم تك جافيا

ففيها النداء مع قولها وأنت رجاؤنا وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم و لم ينكر عليها أحد قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب الامام أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبي حنيفة رضي الله عنه يجئ الى ضريحه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به في قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن الامام أحمد من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعي ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم وقال الامام أبوالحسن الشاذلي[١] رضي الله عنه من كانت له الى الله تعالى حاجة وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالي وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال:

آل النبي ذريعتي * وهم اليه وسيلتي

أرجو بهم أعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

---

(١) ابوالحسن نور الدين علي الشاذلي المالكي توفي سنة ٦٥٤ هـ. [١٢٥٦ م.]

(ذكر دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه)

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى مجمع الأحباب في ترجمة الامام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن انه رأى في المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان ويتوفاه عليه قال فقال لي قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجني من الغم الذي أنا فيه يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا ألله يا ألله يا ألله يا أرحم الراحمين فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائما بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما فعله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعني التوسل لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفي الاذكار للنووي[١] ان النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر ان يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا اللّهمّ ربّ جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد صلّى الله عليه وسلّم أجرني من النار قال في شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء والاّ فهو سبحانه وتعالى ربّ جميع المخلوقات فأفهم ذلك أنه من التوسل المشروع وفي شرح حزب البحر للامام زروق[٢] بعد ذكر كثير من الاخيار اللّهمّ انّا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.

(ذكر دعاء تنوير البصر)

ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللّهمّ رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريرتي وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره وذلك من الاسباب العادية

---

(١) الامام يحيى النووي الشافعي توفي سنة ٦٧٦ هـ. [١٢٧٧ م.] في الشام

(٢) الامام أحمد زَرّوق المالكي الفاسي توفي سنة ٨٩٩ هـ. [١٤٩٣ م.]

وهي لا تأثير لها والمؤثر هو الله وحده لا شريك له فكما ان الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجدها كلها مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الامة من التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية وانما أطلت الكلام في ذلك ليتضح الأمر للمتشكك فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من أتباع محمد بن عبد الوهاب يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة في ابطالها قال في الجوهر المنظم ولا فرق في التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى منه جاها والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلّى الله عليه وسلّم وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأل الله العافية والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وأما النبي صلّى الله عليه وسلّم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه خلقا وايجادا والنبي صلّى الله عليه وسلّم مستغاث به مجازا والغوث منه تسببا وكسبا فهو على حد قوله تعالى (**وَمَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الله رَمَى** * الانفال: ١٧) أي وما رميت خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى (**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ الله قَتَلَهُمْ** * الأنفال: ١٧) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم**) وكثيرا ما تجئ السنة لبيان الحقيقة ويجئ

القرآن الكريم باضافة الفعل الى مكتسبه ويسند اليه مجاز كقوله صلّى الله عليه وسلّم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى (**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** * النحل: ٣٢) فالآية بيان للسبب العادي الذي لا تأثير له والحديث بيان للسبب الحقيقي وهو فضل الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثني يا ألله تريد الاسناد الحقيقي باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثني يا رسول الله تريد الاسناد المجازي باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ولو تتبعت كلام العلماء والائمة لوجدت شيئا كثيرا من ذلك ومنه ما مر في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلّى الله عليه وسلّم فتأمل تعبيره صلّى الله عليه وسلّم بقوله استغاثوا بآدم فان الاسناد مجازي اذ المستغاث به حقيقة هو الله تعالى وصح عنه صلّى الله عليه وسلّم لمن أراد عونا أن يقول يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني وجاء في قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول يا أرض خذيه فعاتبه الله تعالى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لاغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقي والى موسى عليه السلام مجازي وقد يكون معنى التوسل به صلّى الله عليه وسلّم طلب الدعاء منه اذ هو حي صلّى الله عليه وسلّم يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضي الله عنه المذكور فيه انه جاء الى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وقال يا رسول الله استسق لامتك أي ادع الله لهم فعلم انه صلّى الله عليه وسلّم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عزّ وجلّ وانه صلّى الله عليه وسلّم يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الخبار وقام به

الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلّى الله عليه وسلّم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تخيل بعض المحرومين ان منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وان فعل ذلك مما يؤدى الى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله صلّى الله عليه وسلّم وكان هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي صلّى الله عليه وسلّم فحيثما صدر من أحد تعظيم له صلّى الله عليه وسلّم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبي صلّى الله عليه وسلّم في القرآن الكريم باعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشئ من صفات الربوبية ورحم الله الشيخ الابوصيري حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شئ من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظم الله تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى (**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** * الحج: ٣٢) وقال تعالى (**وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ الله فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّه** * الحج: ٣٠) ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ونحن في ذلك كله لم نعبد الاّ الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا فلا يثبت شئ من ذلك لاحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبي صلّى الله عليه وسلّم ورفع رتبته عن سائر الخلق والثاني افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته

وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شئ من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلّى الله عليه وسلّم عن شئ من مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ في تعظيمه بانواع التعظيم و لم يصفه بشئ من صفات الباري عزّ وجلّ فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذي لا افراط فيه ولا تفريط واذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شئ لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى (**وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيمَانًا** * الانفال: ٢) فاسناد لزيادة الى الآيات مجاز عقلي لانها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى (**يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** * المزمل: ١٦) فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلي لان اليوم محل لجعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى (**وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** * نوح: ٢٣) وقد أضلوا كثيرا فاسناد الاضلال الى الاصنام مجاز عقلي لانها سبب في حصول الاضلال والهادي والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية عن فرعون (**يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا** * المؤمن: ٣٦) فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلي لانه سبب آمر فهو يأمر ولا يبني بنفسه والباني انما هم الفعلة وأما الاحاديث ففيها شئ كثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة الى الاطالة بنقلها وقال العلماء ان صدور ذلك الاسناد من موجد كاف في جعله اسنادا مجازيا لان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخلق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لاحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع في الاشراك وأما الفرق بين الحي والميت مع اعتقاد ان الحي يخلق أفعال نفسه فهو اعتقاد المعتزلة فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد باعتبار زعمهم وأن مرادهم منع الالفاظ الموهمة وسد

الذّريعة يقتصرون على منع العامة عن الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدبا ومع هذا فاذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلي ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الادب لكان لكلامهم وجه وأما المنع منه بالكلية فهو مصادم للاحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف فعليك باتباع الجمهور والسواد الاعظم قال الله تعالى (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٥) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه**) وقد ذكر العلامة ابن الجوزي[١] في كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم انه خطب في الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وفي حديث عرفجة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة**) وحديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منه اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم**) وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم انه قال (**ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد**) وحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم انه قال (**اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتي الاّ على هدى**) فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الأعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تقع

---

(١) عبد الرحمن الجوزي الحنبلي توفي سنة ٥٩٧ هـ. [١٢٠٢ م.] في بغداد

منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الاّ ليقربونا الى الله زلفى وقد علمت ان المشركين اعتقدوا الوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم وشبهة هؤلاء الخوارج في المنع من طلب الشفاعة منه صلّى الله عليه وسلّم انهم يقولون ان الله تعالى قال في كتابه العزيز (**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ الاَّ بِاذْنِه** * البقرة: ٢٥٥) وقال تعالى (**وَلاَ يَشْفَعُونَ الاَّ لِمَنِ ارْتَضَى** * الانبياء: ٢٨) فالطالب للشفاعة من أين يعلم حصول الاذن للنبي صلّى الله عليه وسلّم في أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه ومن أين يعلم انه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم واحتجاجهم هذا مردود بالاحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الاذن له صلّى الله عليه وسلّم في أنه يشفع لمن قال بعد الاذان والاقامة اللّهمّ ربّ هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم الجمعة ولمن زار قبره صلّى الله عليه وسلّم بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة في شفاعته صلّى الله عليه وسلّم لعصاة أمته كقوله صلّى الله عليه وسلّم (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**) فكل من مات مؤمنا فانه يدخل في شفاعته صلّى الله عليه وسلّم فهي ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له صلّى الله عليه وسلّم فيها فالطالب للشفاعة كانه يتوسل الى الله تعالى بالنبي صلّى الله عليه وسلّم الى الله تعالى أن يحفظ عليه الايمان حتى يتوفاه الله عليه فيشفع فيه نبيه صلّى الله عليه وسلّم فلا حاجة الى التطويل ببسط الدلائل في ذلك مع وضوح الامر الاّ لمن عميت بصيرته وأما شبهتهم في المنع من النداء فقالوا ان النداء والخطاب للجمادات والغائبين والاموات من الشرك الاكبر الذي يباح به الدم والمال ولا مستند لهم في ذلك بل الاحاديث الصحيحة الصريحة في بطلان قولهم هذا وزعموا أن النداء للاموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من

الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات وهذا كله منهم تلبيس في الدين وتضليل لاكثر الموحدين فانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى (**لاَ تَجْعَلُوا دعاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدعاء بَعْضِكُمْ بَعْضًا** * النور: ٦٣) لكن ليس كل نداء عبادة ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا وليس الامر كذلك وانما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه فالذي يوقع في الاشراك هو اعتقاد الوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة ولو كان لميت أو غائب أو جماد وذلك كله وارد في كثير من الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة فقولهم ان نداء الميت والجماد والغائب دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحي والميت فانهما مستويان في ان كلاّ منهما لا تأثير له في شئ ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سواه فالدعاء الذي هو مخ العبادة هو الرغبة للاله والخضوع بين يديه وسأذكر لك كثيرا من الاحاديث والآثار التي جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات وان تقدم كثير من ذلك فلا بأس باعادته فمنها حديث الضرير الذي رواه عثمان بن حنيف رضي الله عنه فان فيه يا محمد اني أتوجه بك الى ربك وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم وحديث بلال بن الحارث رضي الله عنه فان فيه انه جاء الى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وقال يا رسول الله استسق لامتك ففيه النداء له بعد وفاته والخطاب بالطلب منه ان يستسقي لامته والاحاديث الواردة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في زيارة القبور في كثير منها النداء والخطاب للاموات كقوله السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانّا ان شاء الله بكم لاحقون ففيها نداء وخطاب وهي أحاديث كثرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها

وتقدم ان السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يا رسول الله انّي جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وصح عن بلال بن الحرث رضي الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه وصح أيضا ان أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه وفي الشفاء للقاضي عياض[١] ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وا محمداه فانطلقت رجله وجاء الخطاب وصورة النداء في التشهد الذي يأتي به المسلم في كل صلاة وعلمه النبي صلّى الله عليه وسلّم لاصحابه فان فيه السلام عليك أيها النبي وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم اذا نزل أرضا قال يا أرض ربي وربك الله ففيه الخطاب والنداء للجماد وذكر الفقهاء في آداب السفر ان المسافر اذا انفلتت دابته بارض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله احبسوا واذا أضل شيئا أو أراد عونا فليقل يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني فان لله عبادا لا تراهم واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله عبادا يجيبونه**) ففيه نداء وطلب نفع أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفي حديث آخر رواه الطبراني انه صلّى الله عليه وسلّم قال (**اذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني**) وفي رواية (**أغيثوني فان لله عبادا لا تروهم**) قال العلامة ابن حجر في حاشية ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوي.

(دعاء يؤتى به في السفر اذا أقبل الليل)

وروى أبوداود[٢] وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان

([١]) القاضي عياض المالكي توفي سنة ٥٤٤ هـ. [١١٥٠ م.] في مراكش

([٢]) سليمان ابوداود السجستاني الحنبلي توفي سنة ٢٧٥ هـ. [٨٨٨ م.]

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا سافر فأقبل الليل قال (**يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد**) وذكر الفقهاء في آداب السفر انه يسن للمسافر الاتيان بهذا الدعاء عند اقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبد الله رضي الله عنه انه صلّى الله عليه وسلّم كان اذا رأى الهلال قال (**ربي وربك الله**) ففيه خطاب للجماد وصح انه لما توفي صلّى الله عليه وسلّم أقبل أبوبكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بابي أنت وأمي طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك وفي رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال وا نبياه ثم قبله ثلاثا وقال وا صفياه ثم قبله ثلاثا وقال وا خليلاه ففي ذلك نداء وخطاب له صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاته ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته صلّى الله عليه وسلّم بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا واتخذت منبرا لتسمعهم عن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال (**من يطع الرسول فقد أطاع الله**) بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال (**وَاذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ** * الاحزاب: ٧) الآية بأبي أنت وأمي يا رسول لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك من لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره فانظر الى هذه الالفاظ التي صدرت من عمر رضي الله عنه وقد تعدد فيها النداء له صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاته وقد

رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في الشفاء والغزالي[١] في الاحياء والقسطلاني في المواهب اللدنية وابن الحاج[٢] في المدخل فيبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين ان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت لما توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يا أبتاه أجاب ربا دعاء يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه وفي رواية الى جبريل نعاه والنعى هو الاخبار بالموت وقد يكون الاخبار للعالم بموته تأسفا على فقده فكل من الروايتين صحيح في المعنى ففي هذا الحديث أيضا نداؤه صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاته وفي المواهب ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراث كثيرة قالت في مطلع قصيدة منها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا و لم تك جافيا

ففي البيت نداؤه بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم و لم ينكره عليها أحد من الصحابة رضي الله عنهم مع حضورهم وسماعهم له ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا في ذلك الى حديث الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه واعتضد بشواهد وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلّى الله عليه وسلّم نبيا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين اخوانا ربي الله لا اله الاّ هو رب العرش العظيم ففي التلقين النداء والخطاب للميت وحديث نداء النبي صلّى الله عليه وسلّم كفار قريش المقتولين ببدر بعد القائهم في القليب مشهور رواه البخاري وأصحاب السنن وذكروا ان النبي صلّى الله عليه وسلّم جعل يناديهم

(١) حجة الإسلام الإمام محمد الغزالي الشافعي توفي سنة ٥٠٥ هـ. [١١١١ م.] في طوس [مشهد]

(٢) الإمام محمد ابن الحاج المالكي الفاسي توفي سنة ٧٣٧ هـ. [١٣٣٦ م.]

باسمائهم وأسماء آبائهم ويقول (**أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا**) وأما ما جاء من الآثار عن الائمة الاحبار والعلماء الاخيار والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشئ كثير تنقضي دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار وما وقع منهم انكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشئ قام على ثبوته البراهين وفي الحديث الصحيح (**من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والاّ رجعت عليه**) قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط في ذلك فلا يحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة الاّ بواضح قاطع للاسلام وممن رد على محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي[١] صاحب حواشي شرح مختصر بافضل ومن جملة ما قاله في الرسالة التي رد بها عليه يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فاني أنصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وأين له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَاتَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٥) وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية اهـــ والحاصل ان الذين اعتنوا بالرد عليه خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة في كتب مبسوطة ومختصرة وبعضهم التزم الرد عليه بنصوص مذهب الامام أحمد ليبين له انه كاذب متلبس في انتسابه لمذهب الامام أحمد رضي الله عنه وأما زيارة قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة وخلفها وانعقد الاجماع

(١) محمد بن سليمان الشافعي توفي سنة ١١٩٤ هـــ. [١٧٨٠ م.]

على استحبابها وجاء في فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة منها ما رواه البيهقي وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**من زار قبري كنت له شفيعا وشهيدا**) وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته صلّى الله عليه وسلّم للعصاة وروى الدارقطني وابن السكن وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (**من زار قبري وجبت له شفاعتي**) وفي رواية (**من جاءني زائرا لا تعمله حاجة غير زيارتي كان حقا عليّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة**) وفي رواية لابن منده (**من زارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي**) وفي رواية لابن عدي من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني والمراد من الجفاء غلظ الطبع والبعد والاعراض عن المحبوب والمراد انه فعل فعل الجافي لا أنه جفا جفاء حقيقيا لان ذلك أذى ولا يجوز أذاه صلّى الله عليه وسلّم وفي رواية للدارقطني من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة زاد في رواية (**ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة**) وفي رواية رواها ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي الى قبري كنت له يوم القيامة شهيدا**) أو قال (**شفيعا**) والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها مع اجماع السلف والخلف على استحبابها حتى ظهر المنكرون لها المانعون منها وفي هذا القدر كفاية ومقنع لمن كان بمرأى من التوفيق ومسمع وبمجموع ما ذكرناه يبطل جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب ولبس به على المؤمنين واستباح هو ومن تبعه دماءهم وأموالهم ولم ينتدب لمحاربته ومن تبعه أحد مثل سيدنا الشريف غالب رحمه الله تعالى فانه قام بهذا الامر أتم قيام وبذل فيه جميع وسعه سنين متطاولة فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وتقدم أن الشريف مسعودا ومساعدا وأحمد بن سعيد وسرورا كل منهم لم يأذن لاحد من أتباعه في الحج.

(ذكر قتال الشريف غالب للوهابية سنة ١٢٠٥)

فلما تولى مولانا الشريف غالب استأذنوه في الحج فمنعهم وهددهم بالركوب عليهم واتبع القول بالفعل لانهم ظهر أمرهم وتطاير شررهم فاراد دفعهم عن الوصول الى حرم الله تعالى وفعل كل ما أمكنه حتى عجز فجزاه الله خيرا ولنذكر الوقائع التي كانت بينه وبين هذه الطائفة فانها تنوف عن خمسين واقعة من سنة خمس ومائتين وألف الى سنة عشرين ومائتين وألف.

(الغزية الاولى)

فاول غزية كانت في سنة خمس ومائتين وألف أرسل عليهم خيلا وركابا وجنودا كثيرة من السادة الأشراف وغيرهم وكان الامير عليها أخاه السيد عبد العزيز بن مساعد وكانوا حين خرجوا من مكة ستمائة فزاد عليهم في الطريق طوائف كثيرة من قبائل العرب يطول الكلام بتعداد تلك القبائل فسار بهم وصار يدخل تحت طاعته القبائل ويملك القرى قرية بعد قرية حتى وصل الى عريق الدسم فشرع يملك من قرى نجد بعضها بقتال وبعضها بدون قتال فملك ضرية وهي أول قرية من قرى نجد فذبح منها احد عشر رجلا وهرب منهم جماعة وأسر جماعة ثم ارتحل الى قرية يقال لها مسكة فهرب أهلها فصيرها ملكه ثم ارتحل منها وأناخ بقرية سواج فهرب أهلها ثم ارتحل الى اثلة ثم الى قرية وضاح فطلب أهلها الامان وكذا أهل قرية الكيريتية ثم ارتحل ونزل على عنيزة قرية بسام وكان أهلها في حصن حصين فحاصرهم اياما ثم انتقل عنها لان المدة طالت وسئم من كان معه من الاشراف والجنود وأراد كثير من الاشراف الرجوع بل توجه كثير منهم بالفعل قاصدين الرجوع الى أم القرى لان المدة بلغت نصف عام فهذه الغزية الاولى وهي أول الوقعات وفي مدة هذه الغزوة غزا سيدنا الشريف بنفسه على ذوي حسن النازلين بالشاقة وصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم وسبب ذلك قطعهم الطريق ورجع الى مكة سالما وهذه لم تحسب من الغزوات التي كانت على الوهابية أو بسببهم فهي خارجة عن عدد تلك الغزوات.

(الغزية الثانية)

وأما الثانية من الوقعات المتعلقة بالوهابية فهي ان سيدنا الشريف غالبا لما طالت غيبة أخيه في الغزوة الاولى شمر عن ساعد الجد والجهد وجهز جيشا آخر وسار فيه بنفسه فخرج من مكة في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس بعد المائتين والالف ولم يزل سائرا بجنوده حتى اناخ على الشعراء وهي قرية محصنة فاحاط بجوانبها الاربع وعاملها بالقنبلة والمدفع والحرب يزاد كل يوم ثم طلب أهلها الامان فامنهم واراد العود الى مكة لقرب زمن الحج وأقبل عليه أخوه السيد عبد العزيز وهو مقيم على الشعراء واما الاشراف الذين فارقوا السيد عبد العزيز فانهم قابلوا مولانا الشريف غالبا قبل ذلك في الطريق فعاملهم بمزيد الانعام ورجعوا معه الى الشعراء ثم رجع هو وأخوه السيد عبد العزيز وجميع من معهم الى مكة ودخلوها في الحادي والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة.

(الغزية الثالثة)

كانت في ربيع الثاني من سنة ست بعد المائتين والالف جهز جيشا وأمر عليه أيضا أخاه السيد عبد العزيز لقتال القبائل الذين دخلوا في دين عبد العزيز بن محمد بن سعود فوصل به الى تربة ثم الى رنية ثم الى بيشة وأطاعه جميع قبائل تلك الجهات وخلعوا طاعة عبد العزيز وسيأتي انهم سيعودون الى طاعته ثانيا واقام دمة ببيشة ثم عاد بمن معه الى مكة المشرفة.

(ذكر فتنة بين وزير مولانا الشريف وكواخي البلكات وذكر وقوع الفتنة بين شيخ الحرم وأهل المدينة سنة ١٢٠٧)

وفي سنة سبع في شعبان وقعت فتنة بالمدينة بين وزير مولانا الشريف والكواخي على البلكات فارسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فاصلح الامر وطفئت الفتنة ثم وقع اختلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة وكادت ان تقوم الفتنة بينهم فأرسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فأصلح الامر وفي هذا الشهر

أرسل مولانا الشريف للدولة العلية يخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محسنا بن عبد الله الحمودي والسيد حسينا مفتي المالكية فلم تكترث الدولة لهذا الخبر و لم تلتفت اليه.

(الغزية الرابعة)

كانت في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان بعد المائتين والالف وجعل تلك الغزية أيضا على من دخلوا في طاعة ابن سعود وتبعوه على ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب فجمع كثيرا من العربان من البقوم وعتيبة وغيرهم وأمر على هذه الغزية عثمان المضايفي فصبح جماعة ابن قيحان بموضع يقال له عقيلان وصارت بينهم ملحمة عظيمة وحصل على عثمان هضيمة فانه بعد ان أخذ جميع ابل ابن قيحان وطلع الفجر وحان صال ابن قيحان على عثمان وهزمه ولكنه لم ينتزع منه ما أخذ من ابله فتمنع منه عثمان حتى رجع الى مكة وفي سنة ثمان قبض مولانا الشريف على الشريف عبد الله بن سرور لامر بلغه عنه وأودعه السجن أربعة أشهر ثم تدلى بجبل وهرب.

(ذكر السيل الذي كان بمكة سنة ١٢٠٨)

وفي شعبان من سنة ثمان كان السيل المشهور عند أهل مكة الذي خرب كل ناحية وسكة وهدم كثيرا من الدور وقتل من الخلق نحو الاربعين جرى عليهم المقدور.

(الغزية الخامسة)

في شهر ربيع الآخر من سنة تسع جهز سيدنا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أخاه مولانا الشريف عبد المعين فسار من الطائف ومعه كثير من القبائل والجنود وقصد موضعا يقال له رغوة فيه هادي بن قرملة وكان ممن تبع ابن سعود ودخل في دينه فلما وصل ذلك الموضع وجده قد أنذر به وفر هاربا فقصد الشريف عبد المعين رنية بمن معه من العربان وكان في رنية من تبع ابن سعود ابن قطنان فحصره في قصره حتى قبض عليه باليد وأرسله الى سيدنا الشريف غالب فلما وصل اليه طلب

السماح والعفو فعفا عنه وعاهده وأطلقه فتوجه بعد توبته وعهده والغدر يلمع بين عينيه فلما وصل الى بلده أظهر العصيان وقاتل فصنع له الشريف عبد المعين دسيسة وأرسل له جماعة أظهروا له انهم معه وعلى دينه فصدقهم فطلعوا عنده في القصر واحتالوا عليه حتى قتلوه ثم ان الشريف عبد المعين ارتحل قاصدا مواضع فيها قوم ممن تبعوا ابن سعود منها موضع يقال له بريم ثم قصد شعبا وغزا على موضع يقال له سياج الخيل نزل به أناس دخلوا في دين محمد بن عبد الوهاب فيهم جماعة من هتيم ومطير فاما مطير فجاءهم نذير فارتحلوا وأما هتيم فصكهم صكة عجيبة وقتل منهم كثيرا وأخذ مواشيهم ثم رجع الى مكة في ثامن رجب الاصم من العام المذكور فهذه غزوة مشتملة على غزوات.

(الغزية السادسة)

كانت في شهر صفر من سنة عشر جهز مولانا الشريف غالب غزية من جنوده وأمر عليها السيد ناصر بن سليمان وأمره يقصد جماعات من القبائل الذين دخلوا في دين ابن سعود فغزاهم وتنقل في مواضع كثيرة منها الثمامية عدا فيها على آل روق وقتلهم قتلة شنيعة وأخذهم قطائع من الابل ورجع سالما.

(الغزية السابعة)

كانت في الثالث من شهر ربيع الثاني من سنة عشر أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد وأمره يقصد جماعة من اتباع ابن سعود فأناخ أوّلا بمن معه بالمبعوث فعرض عليه كثير من القبائل ثم أناخ بالحنو فعرض عليه البقوم وقبائل كثيرة ثم أناخ بالقنصلية ثم أناخ دون رنية فعرض عليه بنو هاجر على رأس شبنان وقبض وهو في ذلك الموضع على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة فقطع رؤس اثنين منهم واخبره الثالث بموضع القوم مخافة ان يقتله فعفا عنه وارتحل واجدّ في السير بمن معه وفي اليوم الثاني وصل الى الموضع الذي فيه هادي بن قرملة فادار عليه الرحى وأخذه أخذة الضحى وقتل من جماعته ما

يقارب المائة وانهزم من بقى من تلك الفئة ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان تحت امارة ابن قيحان ومعه كثير من الابل فاغار عليهم وأخذها وقتل من كان معها الاّ من فرّ ومن عجيب الاتفاق انهم صادفوا ابن شذير من شيوخ قحطان كان غازيا بعض العربان وكان ابن قيحان ممن تابع ابن سعود فقتل السيد فهيد من جماعته خمسة وأربعين وأخذ ابن شذير وما معهم من الابل واقتلع من خيلهم خمس قلائع ومن جيد الركاب عشرين ذلولا وربط سبعة وأوصلهم الى رنية وأمر بقطع خصائهم ثم رجع الى الفرشة ثم الى تربة ثم الى الطائف وكان مولانا الشريف غالب اذ ذاك بالطائف.

(الغزية الثامنة)

كانت في الحادي عشر من شوال سنة عشر أيضا جهز جيشا أمر عليه أخاه السيد عبد المعين فسار بمن معه حتى أناخ على بريم الى نصف القعدة وورد عليه كثير من القبائل وصار يرسل الجواسيس فوجدوا من يريدون من العربان قد ترفعوا وأبعدوا لما سمعوا بهذا الغزو فابقى رتبة في تربة أمر عليها السيد سعد بن عرمطة واستأذن مولانا الشريف غالب في الرجوع فاذن له فرجع فوجده يستقبله في الاخيضر ثم رجعا معا الى الطائف ثم الى مكة رابع ذي الحجة.

(الغزية التاسعة)

كانت في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة عشر أيضا جهز سيدنا الشريف غالب جيشا كثيفا أمر عليه السيد ناصر بن سليمان فتوجه حتى أناخ بمران وعرض عليه كثير من القبائل ثم انتقل الى موضع يقال له عفيف ثم الى موضع يقال له الشماس وتزايد عليه العربان فدهمهم جيش الوهابيين ومعهم ابن ربيعان وهادي بن قرملة والدوشان وخلق كثير فصار بينهم قتال وملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل من مراجل الشريف ثلاثة وأربعون وأخذ الوهابيون كثيرا من مواشي البوادي ورجع السيد ناصر بن سليمان ومن معه الى مكة.

(الغزية العاشرة)

كانت في ثلاث من شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فتوجه بمن معه من الطائف الى الاخيضر ثم الى ركبة وأرسل منها سرية الى الخرمة وأمر عليها السيد حسن بن غالب فاعار الى أهل الخرمة وقتل منهم ورجع الى ركبة وجاءه قبائل من قحطان والبقوم وانضموا الى من معه وارتحل بمن معه وأناخ بكشب واغار على قوم من حرب دخلوا في دين الوهابي وأخذ لهم خمسين من الابل ثم ارتحل الى موضع يقال له روغ النعام فدهمهم الحجيلاني أمير الخرج ومعهم جند كثير من مطير وغيرهم فوقعت ملحمة عظيمة بينهم وقتل كثير من الطرفين ثم ارتحل السيد فهيد بمن معه الى الحناكية وهي قريبة من المدينة المنورة وعرض عليه كثير من قبائل حرب ووفد عليه كثير من بني حسين أهل السويرقية ثم انتقل الى موضع يقال له صلبة وغزا بمن معه على هادي بن قرملة بموضع يقال له البقرة فصكهم صكة أيّ صكة وقاتلهم قتلة شنيعة وأخذ فرس ابن قرملة وابله ثم عاد الى صلبة ثم أراد غزوا آخر فامتنع العسكر أشد الامتناع فرجع الى مكة.

(الغزية الحادية عشرة)

كانت في العام المذكور بعد رجوع السيد فهيد جهز له مولانا الشريف غالب جيشا وأمره بالرجوع وان يغزو اهل رنية فسار بمن معه حتى أناخ بهم ووقع القتال بينه وبينهم فملكها وأخذ ما فيها من الغنائم وأحرق دورها ثم قصد بيشة فنزل منها موضعا يسمى الجنينة فقابله أهلها بالترحاب وأرسل الجواسيس ينظرون له قوما سماهم لهم أراد الاغارة عليهم فرجعوا وأخبروه انهم ارتحلوا وأبعدوا ولم يبق منهم أحد فرجع الى رنية ثم الى تربة ثم الى مكة وفي هذه السنة أعني سنة احدى عشرة توفي السيد عبد العزيز بن مساعد وهو أخو مولانا الشريف وكانت وفاته في الثاني والعشرين من جمادي الاولى ودفن في قبة السيدة خديجة على أخيه الشريف سرور

في قبره وفي شهر رمضان ركب سيدنا الشريف بنفسه على بني عمرو أهل اللقاع لقطعهم الطريق فقتل منهم ثلاثة وربط أربعة واتلف مراحهم ورجع الى جدة ثم الى مكة وهذه خارجة عن الغزوات المتعلقة بالوهابي.

(ذكر الحريق الذي في دار أولاد الشريف سرور سنة ١٢١٢)

وفي سابع عشر محرم من سنة اثنتي عشرة حرقت دار بباب القطبي لاولاد الشريف سرور فيها من الادباش ما تضيق عنه السطور وهي خراب الى يومنا هذا وفي سنة اثنتي عشرة أيضا أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركي للدولة العلية يستنجدهم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابية فلم يجيبوا دعوته ولم يلتفتوا لذلك ولم يكترثوا به فما زال قائما بدفاعهم وحده.

(الغزية الثانية عشرة)

كانت في الخامس والعشرين من محرم سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أيضا السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فأغار على قوم موهبين من حرب في عريق الدسم وغنم ما عندهم من النعم ورجع سالما.

(الغزية الثالثة عشرة)

كانت في الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتي عشرة أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد فاغار على قوم من حرب أيضا موهبين وكانوا في موضع يقال له العلم فأخذ مراحهم ومواشيهم ثم توجه مقبلا فصادف خمسة وأربعين من الوهابيين خارجين ببضاعة اشتروها من المدينة المنورة فقبضهم ووضعهم في الحديد ثم أخذ أخبارهم وقتلهم جميعا وأقبل راجعا فبلغ مولانا الشريف رجوعه فمنعه من الرجوع وأمده بجيش آخر في جمادي الاولى وأمر عليه السيد سعد بن سعيد عرمطة فتكون هذه.

(الغزية الرابعة عشرة)

فأقبل السيد سعد المذكور حتى اجتمع بالسيد مبارك بن محمد على صلبة

بتلك الجنود فارتحلوا وأقاموا على مران وارسلوا العيون والجواسيس فرجعوا اليهم واخبروهم ان الوهابي جمع لهم جموعا لا طاقة لهم بمقابلتها وأرادوا الرجوع الى مكة فمنعهم مولانا الشريف من الرجوع وخرج بنفسه وهي.

(الغزية الخامسة عشرة ويقال لها غزية الخرمة التي كان فيها الوقعة العظمى)

غزا فيها مولانا الشريف غالب بنفسه وكانت في الحادي عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة أيضا جمع مولانا الشريف جمعا عظيما من ابطال الرجال وادخر الخزائن كامثال الجبال وفرق على القوم الكثير من المال وأخذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادي العقيق فاجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه الى مران فوفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرمطة ثم ارتحل الى المويه والبقرة واغار على قوم من قحطان وأخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة في القنصلية وذبح فيهم ذبحة عظيمة وفر ابن قرملة منهزما ثم عاد مولانا الشريف الى رنية وحاربها وقطع نخلها وخربها فأطاعه أهلها وطلبوا الصلح فعفا عنهم وصالحهم ثم ارتحل الى بيشة فاقر بها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فاحرق دورهم ثم أبقى فيها رتبة وارتحل الى الخرمة فابادها و لم يبق لها حرمة وأقام بها أياما ففي بعض الايام ورد عليه شريف من العبادلة اسمه لؤي وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المنهمر والجراد المنتشر فاتهمه و لم يصدقه ظنا انه تابع لتلك العصابة فما مضى يوم أو يومان حتى أقبلوا بجنود كالرمال فوقع القتال بينه وبينهم فكانت هناك ملحمة كبرى فقتل فيها من الفريقين ما ينوف عن الالفين وقتل من أغلب بدود الاشراف نيف وأربعن شريفا وكانت الغلبة يومئذ للوهابيين فرجع مولانا الشريف بعد انفضاض القتال الى مكة ودخلها لثلاث خلون من ذي القعدة وفي شهر جمادي الاولى من سنة ثلاث عشرة ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيس بعد أخذهم مصر فقرئ الفرمان بمكة والمدينة فأمروا الناس بالاستعداد للكفاح بتعلم الرمي وحمل السلاح وأصلحوا سور جدة وعمروه واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد ولكن كفى الله المؤمنين القتال.

(ذكر الصلح سنة ١٢١٣)

وفي غاية جمادي الاولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدودا للممالك والقبائل التي تحت طاعة مولانا الشريف والتي تحت طاعتهم فكان ممن في حدوده وطاعته القبائل التي حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد وناصرة وبجميلة وغامد وزهران والمخوا وبارق ومحائل وغير ذلك ثم دسوا الدسائس وصاروا يكاتبون القبائل خفية ويرسلون لهم من يفسدهم حتى انتقض الصلح وتبعوهم كما سيأتي بيان ذلك وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وان الحرب بينهم موقوف وان يحج الوهابيون بيت الله الحرام ونادى المنادي بالامن والامان ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان فأقبلوا على مكة من كل مكان فسبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن وفي موسم هذا العام حج من علمائهم حمد بن ناصر ومعه شرذمة من الوهابيين و لم يحج أميرهم لكون صاحب بغداد سليمان باشا جهز عليه جيشا ليس له حد وجعل أميره علي بيك كتخدا الوزير المذكور فجاء العرضي وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار فضاقوا ذرعا من ذلك وأيقنوا بالهلاك لكن لما كان في علم الله ان مدتهم باقية لم تتم هيأ لهم أسبابا فوسطوا وسائطا فسدوا كثيرا من أهل العرضي فركب علي بيك نجائب السرى و لم يطب له القعود وفر هاربا فتبدد شمل ذلك الجيش وتفرق و لم ينل منهم شيئا لانهم لما كانت مدتهم باقية كانت الرشوة لهم واقية.

(ذكر حج سعود سنة ١٢١٤)

وفي سنة أربع عشرة حج سعود بن عبد العزيز ومعه قوم كامثال الرمال واجتمع بمولانا الشريف في خيمة ضربت لهما بالابطح وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة ارتحل وحج أيضا في سنة خمس عشرة وتبعه جند عظيم وقدم سعود لمولانا الشريف هدية تقدم بها قبله حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون رأسا من الخيل

وعشر من النوق العمانيات فقبل ذلك مولانا الشريف وكافأهم على ذلك بما يليق بجنابه وكان مولانا الشريف قبل قدومهم للحج قد احترس وتحرز منهم خوفا من وقوع غدرهم فأمر أولا ببناء سور الطائف ثم ببناء الابراج التي في أطراف مكة فشيد مداخل مكة بالابراج وطلب كثيرا من القبائل من جميع الفجاج وترس جميع المداخل والابراج فلم يدخل سعود بجيشه مكة قبل الوقوف بل نزل بعرفة وكان معه ما يزيد على عشرين ألفا وفي أيام منى في اليوم الثاني عشر وقعت خصومة بين عربان سيدنا الشريف وقوم سعود آلت الى قتال وضرب بالرصاص فما زال مولانا الشريف يمنع عربانه حتى كف القتال واتصل الجري الى مكة وفي كل ناحية وسكة ونزل الناس من منى قبل الزوال وفي اليوم السابع عشر من ذي الحجة توجه سعود بقومه الى الشرق وفي هذه المدة التي مضت بعد الصلح كان سعود يراسل خفية كثيرا من مشايخ القبائل أرباب البغي والفساد فكاتب شيخ محايل سعدي بن شار وشيخ بارق أحمد بن زاهر فصارا يفسدان كثيرا من القبائل حتى كان منهما من الفساد ما حصل بسببه انتقاض الصلح وكان سببا في دخول جميع قبائل الحجاز في دين الوهابية ولما بلغ مولانا الشريف أن شيخ محائل كاتبهم وتبعهم على دينهم وخلع طاعة مولانا الشريف غالب أرسل لوزيره بالقنفذة أبي بكر بن عثمان وكان مشهورا بالشجاعة وأمره أن يجمع كثيرا من الذخائر ويجمع ما أمكنه من القبائل ويذهب لقتال شيخ محائل فامتثل أمره وخرج لقتاله فوقع بينهما قتال شديد وهزمهم الوزير وملك ما في واديهم ثم أضرم النار بناديهم ثم عاد الى القنفذة.

(الغزية السادسة عشرة)

وهي الغزية السادسة عشرة ثم بعد أيام بلغ لوزير بالقنفذة انهم رجعوا وتجمعوا للفساد وصاروا يراسلون أهل تلك الاطراف فدخل في دينهم كثير من أهل تلك الاراضي ومن لم يطعهم يتهددونه بالسيف والسنان فعند ذلك أرسل الوزير لمولانا الشريف وعرفه حقيقة الامر.

(الغزية السابعة عشرة)

فكانت الغزية السابعة عشرة وذلك ان مولانا الشريف جهز جيشا عظيما وأمر عليه السيد منديل ابن أبي طالب فتوجه حتى وصل الى القنفذة واجتمع بوزيرها ثم توجه بمن معه الى قوز أبي العير وعرض عليه بنويعلى وبنويزيد ورحمان وزبيد فغزا بهم على بني كنانة وقتلوا فيهم قتلة شنيعة ورجع الى قوز أبي العير وفي هذا الاثناء جاء الخبر لمولانا الشريف ان أهل حلى دخلوا في دين الوهابي فأرسل غزية أخرى معينة للسيد منديل.

(الغزية الثامنة عشرة)

وهي الغزية الثامنة عشرة فجهز جيشا وأمر عليه السيد ناصر بن سليمان فسار حتى أناخ على حلى ووقع بينه وبين أهله القتال فقتل منهم كثيرا وغنم من البقر والغنم والدقيق شيئا كثيرا وسبى بعض العسكر بعض أولادهم وباعهم بمكة بيع الرقق ورجعوا الى مكة ودخلوها سابع عشر رمضان سنة ست عشرة ورجع معهم بعض أهل حلى تائبين مطيعين راجعين عن دين الوهابية وطلبوا من مولانا الشريف أن يرسل معهم جيشا يقيم بارضهم وتعهدوا انهم يؤونه وينصرونه وان يؤمر عليه واحدا من بني عمه ففعل ذلك وأرسل معهم جيشا وأمر عليه وعليهم السيد منديل بن أبي طالب.

(الغزية التاسعة عشرة)

فكانت هذه الغزية التاسعة عشرة فلما أناخ بحلى استحسن أن يجعل عليها سورا للحفظ من العدو فاستأذن مولانا الشريف فاذن له فبناه وجمع عنده من الذخائر والخزائن شيئا كثيرا مخافة هجوم العدو فلما تم له ثمانية أشهر بلغه أن الوهابيين مقبلون للقتال على رأس أمير اسمه حشر وكان فاخرا ختالا وقد أرسلوا الشيخ حلى واستمالوه فمال وانعقد بينهم الكلام على أنهم متى خرجوا لقتالكم نمنعهم من الدخول فلما أقبلوا وخرج السيد منديل لقتالهم غالب المراجل وبقى

بنفسه في البلد ومعه خمسون مقاتلا فوقع بينهم قتال شديد وقتل من الفريقين جمع عديد ثم انهزم الوهابيون عن حذيفة وتقرير وجعلوا لهم كمينا فلما جدوا خلفهم ظهر الكمين واشتد القتال وحجز بين الفريقين حر النهار قيل انه لما ظهر الكمين كانت الغلبة لهم ثم أظهر أهل حلى الخيانة وأمروا السيد منديلا بالخروج من البلد وترسوا الاسوار فامعن السيد منديل يفكر فرأى ان العود أحمد فاختار الخروج فرجع الى مكة سالما.

(الغزية المكملة عشرين)

الغزية المكملة عشرين حاصلها ان مولانا الشريف بلغه أن عربانا بساحل اليمن تجاه الاحسبة دخلوا في هذا الدين المبتدع منهم قبيلة يقال لها دمينة وقبيلة يقال لها غامدا الفرعاء فارسل غزية من السادة الاشراف ومعهم كثير من العسكر والبوادي وأمر على هذه الغزية السيد سعد بن زيد القتادي فسار حتى نزل بموضع يقال له أم الخشب وأغار على آل دمينة وغامد الفرعاء وقتل فيهم وأخذ مواشيهم وربط منهم تسعة عشر رجلا ورجع الى أم الخشب.

(الغزية الحادية والعشرون)

الغزية الحادية والعشرون كانت من وزير القنفذة أبي بكر بن عثمان وحاصلها ان المذكور كان قد أذاقهم الويل في قتاله لهم فصاروا يترصدون له ويحتالون على اغتياله فاطاعه ثلاث قبائل مكرا وخديعة وهم بالقرن وبنو سهيم وبالمنتشر وتجمعوا في مواضعهم وكاتبوه ان يقبل عليهم ليقاتلوا معه الوهابيين والمجاورين لهم وأضمروا انه اذا وصل اليهم قبضوا عليه باليد فاقبل عليهم بمن معه من الجند فلما وصل اليهم بادروه بالقتال واستضعفوا من كان معه فقاتلهم بمن معه وأظهره الله عليهم وقتل كثيرا منهم وأخذ كثيرا من مواشيهم ورجع وخيم بموضع قريب من القنفذة ثم انتقل الى أم الخشب واجتمع بالسيد سعد بن زيد القتادي ثم بلغه أن الوهابيين أقبلوا بجنود كثيرة وانهم افترقوا فرقتين فرقة قصدها دخول القنفذة وفرقة تقاتله خارج القنفذة

فلما بلغه هذا الخبر توجه في الاثر فاقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا ومن معه ولما أشرفوا على الموضع الذي هو فيه عرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوه وأما الفرقة التي أقبلت على القنفذة.

(الغزية الثانية والعشرون)

فادركهم الوزير بموضع يقال له دكان فقاتلهم وأثخن فيهم القتل ونهب مواشيهم وأثقالهم و لم يسلم منهم الاّ طويل العمر ثم رجع الى القنفذة وينبغي أن تجعل هذه الغزية ثانية لما قبلها فتكون هي الثانية والعشرين ثم ان معدي بن شار شيخ محائل جمع جموعا من كنانة وأهل المخواة وغامد الفرعاء ومحائل يبلغون اثني عشر ألفا وعزم هو ومن معه على انهم يتملكون القنفذة فاقبلوا بمواشيهم وأطفالهم ونسائهم وكان ذلك على حين غفلة من الوزير وذلك في أوائل سنة سبع عشرة فلم يمكنه أن يجمع كثيرا من العربان وعلم ان تأخير القتال ذل ووبال فخرج عليهم ودهمهم بغتة.

(الغزية الثالثة والعشرون سنة ١٢٢٣)

فتكون هذه الغزية هي الثالثة والعشرين فوصل الى الموضع الذي هم فيه قبل الفجر ومعه سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل وصاح فيهم كما يصيح الذئب في الغنم فقتل منهم قتلة تجل عن العدد حتى قال بعضهم لما سمع بهذه القتلة هذه هي داهية الغفلة قيل ان القتلى بلغوا أربعمائة والجرحى مائتين واخذ سلاحهم ومواشيهم وهرب الباقون وربط منهم نحو المائتين وهذه الوقائع المذكورة بعد الصلح كلها كانت في مدة الصلح لما وقع منهم من الغد بافسادهم القبائل بوسائط أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم في الطين حتى افسدوا جميع اقليم اليمن ثم سرى الامر الى غيرهم ولما علم سعود أن اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع في افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك سيدنا الشريف غالب أرسل كتابا لعبد العزيز وسعود يطلب منهما الوفاء بالعهود فارسل كل منهما كتابا يعتذر باعذار واهية وزعم ان هذه الشوائع أكاذيب من العربان يرمي بها

بعضهم بعضا لاجل نقض الصلح فارسل مولانا الشريف السيد فاخر بن سلطان بن حازم وأمره أن يترل عند زهران ويعرفه بما شان وزان فاقام عندهم أياما فظهر له تحقيق الخبر فعرف بذلك مولانا الشريف غالب فارسل مولانا الشريف الى الدرعية رحيمه عثمان بن عبد الرحمن المضايفي ومعه من كبار الاشراف السيد عبد المحسن الحرث وجماعة منهم ابن حميد شيخ المقطة لاجل تجديد الصلح والعهود وربط الامر واحكامه فتوجهوا من الطائف وكان مولانا الشريف اذ ذاك بالطائف فلما وصلوا الى الدرعية والتفوا بعبد العزيز قدموا له المكاتيب فقابلهم بالبشاشة والترحيب فاول ما نطق به عثمان ان قال يا عبد العزيز بشرني بالامارة وأبشرك بمكة تملكها وأطلب منك أن تخلي لي المجلس لامور سأبديها فاختلى معه وحدثه بكلام طاب له وأمره على الطائف وما حوله من العربان و لم يجتمع عبد العزيز وسعود بالسيد عبد المحسن وابن حميد في مجلس آخر الاّ يوم السفر فكتب لهم جوابات مكاتيب الشريف وجعلوا الكلام الذي فيها مجاراة ظاهرية لكلامه في كتبه وكان ذلك مكرا وخديعة وأمرهم بالتوجه وكان عثمان ذكر له أسماء شيوخ القبائل التي يريد التآمر عليهم فكتب لهم كتبا يخبرهم فيها بانه أقام عثمان المضايفي أميرا عليهم وسلمها بيده والجماعة الذين معه لا علم لهم بذلك كله الاّ انهم لما خرجوا من الدرعية متوجهين الى مكة أنكروا على عثمان في كلامه فانه صار يمدح ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب من الطين ويثني عليه ويرغب في اتباعه والدخول في طينه وما زالوا سائرين الى أن وصلوا العبيلاء وهو موضع بينه وبين الطائف يوم وله به حصن على جبل فجلس هناك وأمرهم بالتوجه الى مكة وأظهر لهم انه يجئ في أثرهم ودخل الحصن ونصب له بيرقا ودق الزير وأظهر الامارة وأرسل بعض الكتب التي معه لبعض شيوخ القبائل القريبة منه فاطاعوه وعزم على شن الغارة وكان بالطائف الشريف عبد المعين وكيلا عن أخيه و لم يكن مع عثمان من الخيل سوى ثمانية جمعها من الطريق ولفقها تلفيقا ثم أرسل عثمان كتابا للشريف عبد المعين يأمره بالدخول في الطين وأول من أطاع

عثمان من القبائل الطفحة ثم النفعة والعصمة فغزا بهم على الزوران فاطعاعوه بعد قتال ثم غزا بهم أسفل وادي لية على عوف وطال بينهم وبينه القتال فكسروه فرجع الى حصنه ثم خرج بمن معه على العرج فقاتله أهل العرج فهزمهم وأحرق دورهم ونهب مواشهيم وعاد الى حصنه ولما تحقق مولانا الشريف غالب أمره استدعى القبائل وأمرهم بالحضور في الطائف فاجتمع بالطائف من القبائل ما ينوف على ثلاثة آلاف.

(الغزية الرابعة والعشرون)

وهذه الغزية الرابعة والعشرون وكان عثمان قد خرج من حصنه في رمضان قاصدا قتال من بالطائف بمن معه من العربان فخرج الشريف عبد المعين لاستقباله وقتاله بمن معه من القبائل وخرج معهم كثير من أهل الطائف والتقى مع عثمان وقومه بوادي العرج فاقتتلوا قتالا شديدا من أول النهار الى غروب الشمس فكان النصر للشريف عبد المعين وقتل من قوم عثمان نحو الستين ولولا أنهم تحصنوا في جبل منيع ما سلم منهم أحد وأخذ ما كان معهم من الابل والذخائر ورجع الى الطائف واستشهد من جماعة الشريف عبد المعين جماعة وهم السيد ابراهيم بن سعيد بن علي وخمسة من أهل الطائف وثلاثة من ثقيف وأربعة من هذيل ثم رجع عثمان الى حصنه وما زال يراسل القبائل فعزم مولانا الشريف غالب أن يتوجه اليه بنفسه فجمع كثيرا من الجنود وأحضر كثيرا من الذخائر والمهمات وخرج من مكة ليلة الثامن عشر من رمضان.

(الغزية الخامسة والعشرون)

فكانت هذه الغزية هي الخامسة والعشرين فسار بالجنود قاصدا العبيلاء والتقى باخيه الشريف عبد المعين قبل وصولها فلما نزلوا العبيلاء أحاطوا بالحصن من الجوانب الاربع ورموا عليه بالقنبلة والمدفع فامتنع عليهم فتحها وأخذها وجاءه يوم العيد وهو بالعبيلاء فعيد هناك ثم دخل الطائف وأقام به أياما ثم رجع الى العبيلاء مرة ثانية وحاصرها.

(الغزية السادسة والعشرون)

وهذه الغزية السادسة والعشرون ولم يرد الله أن يستولي عليها فرجع الى الطائف فلما كان اليوم الخامس والعشرون من شوال أقبل على الطائف عثمان بمن معه من العربان وجاءه مددا أمير بيشة سالم بن شكبان ومعه من العرب عدد كالرمال فاحاطوا بالطائف ووقع القتال بينهم طول النهار فلما غربت الشمس عادوا وتباعدوا عن السور بعد ما أهلكتهم المدافع والقلل.

(الغزية السابعة والعشرون)

وهذه ينبغي أن تكون الغزية السابعة والعشرين ولما أصبح الصباح أقبلت على الطائف طوائف الاحزاب وطال بينهم القتال حتى جاء الليل فرجعوا بعد ان قتل كثير منهم الى خيامهم.

(الغزية الثامنة والعشرون)

وهذه الغزية الثامنة والعشرون ووقع هذه الليلة أمر غريب يتحير فيه العقل اللبيب وذلك ان عربان الشريف تفرقوا شذر مذر وعالجهم على العقود ويعطيهم ما أرادوا من المال فما وافقوه وظهر خلل كثير في السور والابراج واتفق السيد عبد الله بن سرور مع جملة من الاشراف أن يرتحلوا من الطائف ويتوجهوا الى مكة وفعلوا ذلك فلما أصبح الصباح أخبر مولانا الشريف غالب بالخبر وقيل له أيضا ان عثمان وسالم بن شكبان ومن معهم من العربان يريدون التوجه الى مكة فارسل من يكشف له الخبر فجاء ذلك الرسول وأخبره انه رآهم نازلين من ريع التمارة فتحقق الامر عنده فعزم أن يجد السير الى مكة من الطريق الثاني فجاء من قصره الذي في حوايا الى الطائف وحرضهم على قتال العدوّ وأعطى للعسكر ومن بقي من البوادي كل واحد عشرة مشاخصة وتوجه الى مكة على طريق المثناة ولما انفصل وغاب عن الطائف انفشل أهل الطائف وذهلت عقولهم وتركوا الحصون والاسوار وخرج من الطائف رجل يسمى دخيل الله بن حريب فاسرع مجدا في طلب الوهابيين

واسترجاعهم بعد ان ولوا مدبرين وأخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا مقبلين وتقدمهم رجل يقال له عبد الله البويحيت وكان من كبارهم يمهد لهم الامور ويخبرهم بمن بقي في السور فدخلها مع دخيل الله بن حريب وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وكان من أعز أهل البلد وأغناها واتفق معه على مبلغ جزيل من المال يدفعه لسلامة أهل البلد.

(ذكر قصة أهل الطائف وما وقع لهم من الوهابية)

فخرج البويحيت على أن يأتيهم بالامان من عثمان وسالم بن شكبان فرماه برصاصة من منارة بعض أهل الطائف فكان فيها موته وهلاكه فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور حملة واحدة ولم يوجد من له قدرة على قتالهم ومدافعتهم وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فادركتهم الخيل وقتلوهم وما سلم منهم الاّ القليل ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلا عاما واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والامير والشريف والوضيع وصاروا يذبحون على صدر الام الطفل الرضيع وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها فيقتلونهم ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من في البيوت جميعا ثم خرجوا الى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ويقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات فويل لهم من جبار السموات ولم يبق من أهل الطائف الاّ شرذمة قدر نيف وعشرين انحازوا لبيت الفتنى وترسوه ومنعوه بالرصاص أن يصلوه وجماعة في بيت الفعر يبلغون مائتين وسبعين قاتلوهم يومهم بما طال وشاغلوهم بكثرة النضال ثم قاتلوهم في اليوم الثاني والثالث فعلم ابن شكبان ان لا سبيل الى هؤلاء الاّ بالمكر والخديعة فراسلهم بالامان وقال لهم انكم في وجه ابن شكبان وعثمان وأعطوهم على ذلك العهود فكفوا عن القتال فادخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح وقالوا لهم حمله للمشركين غير مباح ثم أمروهم بالخروج لمقابلة الامير فلما مثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعا ففازوا بالشهادة وكان قتلهم بقوز

يسمى دقاق اللوز وكان جماعة مفرقون في بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين كانوا مترسين يرموهم برصاص فاخرجوهم أيضا بالامان والعهود على سلامة الارواح والرقاب دون بقية الاسباب ثم أخرجوهم الى وادي وج وتركوهم في البرد والثلج وما زالوا مكشوفي السوأتين حتى رموا عليهم اطمارا بالية من الكساء وجمعوا بين الرجال والنساء وصارت المخدرات في أسوء الحالات ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوما على الدخول في الطين فصاروا يتكففون المسلمين فيعطون السائل الحفنة من الذّرة ملء الكف يقضمها وصار العربان كل يوم يدخلون الطائف وينقلون الاموال الى الخارج فنهبوا النقود والعروض والاساس والفراش ويتهافتون على ذلك تهافت الفراش فصارت الاموال في مخيمهم كامثال الجبال الاّ الكتب فانهم نشروها في تلك البطاح وفي الازقة والاسواق تعصف بها الرياح وكان فيها من المصاحف والرباع ألوف مؤلفة ومن نسخ البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والنحو وغير ذلك من بقية العلوم شئ كثير ومكثت أياما يطؤها بارجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة وأخبرهم بعض شياطينهم ان عزيز الاموال مدفونة في المخابي فحفروا حفيرة في بعض المحال فوجدوا فيها عزيز المال مخبأ فظنوا ان جميع الدور كذلك فحفروا جميع بيوت أهل البلد قاصيها ودانيها وأخربوها من أسفلها وأعاليها حتى حفروا بيوت الخلاء والبالوعات فاخربوا تلك الربوع التي كالت عامرة بالانس والمسامرة فسبحان من بيده ملكوت كل شئ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وما هذه الدنيا الاّ موعظة واستبصار لاولي الفكر والاعتبار ليعلم أهل الدنيا ان نعيمها زوال وزخرفها محال أيّ محال وان القاطن فيها على جناح سفر فليتخذها جسر ممر ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصة فقصة الطائف كانت على المسلمين أعظم غصة وكان حصول هذا الشر في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة وبعد جمعهم تلك الاموال التي أخذوها من الطائف اخرجوا منها الخمس للامير واقتسموا الباقي كما تقسم غنائم الكفار وتوجه سالم بن شكبان وارتحل عن البلاد

وبقي عثمان أميرا على الطائف وأرسلوا كتابا الى سعود بما صار على الطائف من القضاء الموعود فسر بذلك غاية السرور وكان مبرزا بالدهناء راكبا على العراق بغزية له سبعة أيام عن الدرعية فاسرع مقبلا الى هذه الاطراف فالتقى بابن شكبان فاعاده معه بمن معه من العربان فلما وصلوا الى قرية يقال لها العييناة وهي الى مكة على ثلاث مراحل أناخوا بجنودهم على تلك القرية وهم كدود على عود فبلغ الخبر جيران بيت الله الحرام فحصل اضطراب لاهل مكة وحجاج المسلمين وكان ذلك في شهر ذي القعدة ومكة قد امتلأت من الحجاج من جميع الآفاق فاشتد كربهم لا سيما لما سمعوا بما صار على أهل الطائف وجاء للحج في هذا العام من أرض المغرب نحو خمسة عشر ألفا وحج امام مسكت سلطان بن سعيد وحج أيضا نقيب المكلى ولما وصلت الحجوج كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم ومعه كثير من العساكر وأمير الحج المصري عثمان بيك فرجى معه أيضا كثير من العساكر وكثرت الناس بمكة واشتد الزحام ولم يعلم قبل هذه السنة سنة فيها من المخلوقات مثل ما حضر في هذا العام وتراكم الناس بعضهم على بعض حتى ملئت بيوت مكة ونواحيها وجهاتها وضواحيها فلما كان يوم التروية ورد الخبر أن سعودا بجيوشه خيم بعرفة فحصل للناس خوف ووجل كثير فلما صعد الحجاج للوقوف وهي خائفة لم يجدوا أحدا من هذه الطائفة فحج الناس في أمن وأمان وكانت كثرة الحجاج في هذا العام هي السبب في تأخر تلك الطائفة عن الوصول زمن الحج ولله تعالى في كل شئ حكمة بل حكم كثيرة ثم بعد تمام الحج نادى منادي سيدنا الشريف ان يخرج الناس للجهاد ومدافعة أهل البغي والالحاد فأول من خرج شريف باشا والى جدة بمن معه من العساكر فلما سمع سعود هذا الخبر تقهقر يومين عن موضعه وتأخر فعند ذلك جمع مولانا الشريف امراء الحجوج وعقد لهم مجلسا وأشار عليهم بالركوب على هؤلاء البغاة فما وافقه أحد على الخروج والركوب وتعالوا بعدم الذخائر وفوات الوقت للمسافر فتضمن وتعهد لهم بكل ما يحتاجونه من ماله بغير ثمن فما قبلوا قوله

بل قالوا يكاتبه كل منا بكتاب ويرشده الى الصواب فان نأى فهو المطلوب والاّ فحق عليه الركوب وأرسل كل أمير منهم من طرفه رسولا يحذره عن القدوم فلما وصلت اليه المكاتيب علم وتحقق ان عصبة عزمهم وهنت وضعف عراها فأعاد لهم الجوابات وشحنها بكثير من تزويره وأباطيله وأكثر فيها من التهديدات وأظهر لهم انه في غاية القوة ولا يبالي بهم فلما وصلت المكاتيب للامراء علموا انه لا مطمع في رجوعه عما يريد واضطربت آراؤهم وارتبكوا كل الارتباك فأشار عليهم مولانا الشريف ثانيا بالركوب عليه وقال لهم في ركوبنا ناموس للدولة العلية واكتساب عزّ وفخر وتكفل لهم بما يحتاجونه من النقود والذخائر وآلات القتال فقالوا لابد من اعادة المراسيل وراموا حصول أمر مستحيل فأرسلوا رسلهم بمكاتيب مرة ثانية فاعاد جواب كل بخلاف ما أمله وأخافهم حتى عالت المسئلة وهدد كل واحد منهم بقوله من أقام بمكة غير ثلاثة أيام أقتله بالقتل العام وأجعله عبرة للانام ففزعوا وأدركهم الخوف وهموا بالفرار فعالجهم شريف مكة أشد العلاج على الثبات وما حصل لعلاجه انتاج فعند ذلك اجتمع أكابر مكة وأعيانها وذهبوا الى عبد الله باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي وترجوا عنده ان يقيم بمكة عشرة أيام فأبى وسافر في خامس المحرم سنة ثماني عشرة وفي ثاني يوم توجه أمير الحج المصري ثم توجه شريف باشا الى جدة فبقى الشريف وحده لما توجهوا كلهم هاربين فعند ذلك توجه هو أيضا الى جدة فبقيت الرعايا بمكة لا يقر لها من الخوف قرار ونودي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس للبلاد حاكم ولا وزير ولا أمير ولا مشير قد استسلم أهل مكة للشهادة وطلبوا من الله الكريم الحسنى وزيادة لعلمهم ان هذا الرجل لا يدخل أرضا الاّ أفسدها ولو لم يكن الاّ قصة الطائف وما فعله بأهلها لكان في ذلك كفاية فعند ذلك أقام مولانا الشريف عبد المعين بن مساعد وأرسل كتابا الى سعود مع القائد حامد بن سليم آغا على فرس وطلب منه امانا لجيران بيت الله الحرام وان لا يخفر لسكان مكة ذمام وان يكون هو عامله فيها وان أهل مكة تحت طاعته وأرسل

أهل مكة رسلا من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي منهم العلامة الشيخ محمد طاهر سنبل والعلامة الشيخ عبد الحفيظ العجيمي وشيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني ولد مولانا السيد عبد الله ميرغني مفتي مكة بعد هذه المدة كل ذلك لاجل صيانة سكان البلد الامين وشفقة بالفقراء والمساكين فتوجه الجميع واجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة وتكلموا معه بأفصح كلام وطلبوا منه الامان لجيران البيت الحرام وانهم يدخلون في طاعته فقال لهم انما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الاصنام والطواغيت ولا تشركوا بالله الذي يحيي ويميت فأجابه الشيخ طاهر بقوله والله ما عبدنا غير الله فمد لهم يده وقال عاهدتكم على دين الله ورسوله توالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه على هذا المقال من غير بحث ولا جدال فعند ذلك كاد يطير من السرور والفرح واطمأن بخروج الشريف وانشرح وقال أسجد لله شكرا فقد أولانا أرضه فعزا لنا وفخرا وأمر كاتبه ان يكتب كتاب الامان ليحصل لاهل مكة الاطمئنان في كاغد لم يزد عن الخمس الاصابع وهذا ما هو مذكور فيه كما هو الواقع بسم الله الرّحمن الرّحيم من سعود بن عبد العزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والآغاوات وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى اما بعد فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الاّ الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام وكان وصول هذا الكتاب الذي جعل أهل مكة فيه مثل اليهود يوم الجمعة سابع شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر بعد المائتين والالف فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة والناس مجتمعة وقرأ هذا الكتاب على رؤس الاشهاد فقالوا حبا وكرامة وحمدوا الله تعالى على حصول السلامة وفي ثامن

محرم يوم السبت وصل سعود ودخل محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة وصعد بستان الشريف الذي في المحصب وفي ثاني يوم نادى مناديه بان سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غدا ضحوة النهار فاجتمعت الناس على طبقاتها وحضر الشريف عبد المعين ومن بمكة من السادة الاشراف والقاضي ومفتي مكة مولانا الشيخ عبد الملك القلعي وبقية المفاتي والعلماء وما زالت الناس في اجتماع وائتلاف وسعود المذكور في المطاف ثم أقبل وصعد باعلى درج الصفا والناس أفواجا ينظرون له ويسمعون قوله فاخذ المفتي عن يمينه والقاضي عن شماله فحمد الله وأثنى عليه وقال الله أكبر لا اله الاّ الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأنجز وعده وأعزّ جنده لا اله الاّ الله ولا نعبد الاّ اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم صمته بهته وجاءته سكته ثم قال يا أهل مكة أنتم جيران بيته آمنون بأمنه وسكنى حرمه وأنتم في خير بقعة اعلموا أن مكة حرام ما فيها لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من أضعف العرب ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونشتريها منهم و لم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما أسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه البيت الحرام حتى رآه الخاص والعام وقد كنت في هذا العام غازيا نحو العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف واقبلوا عليكم يغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وأنقذكم من الشرك وأنا أدعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه وأطلب منكم أن تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من ولاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة ثم جلس ومدّ يده فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين ثم مولانا المفتي عبد الملك ثم القاضي ثم بقية الناس على طبقاتهم وكان هذا من عادتهم فلما تمت المبايعة ركب فرسه وصعد الى المحصب وقال قبل ركوبه يا أهل مكة انتظروني بعد

صلاة العصر بالمسجد الحرام بين الركن والمقام لابين لكم الدين وشرائط الاسلام فلما كان العصر اجتمعوا فجاء وصعد المقام الذي على ظهر زمزم والمفاتي معه ففهمهم وبلغهم وتشدق وتكلم والناس تحته ملؤا الحرم وصار يعلمهم دين رعاة الغنم وأجهل أهل مكة من أكبرهم أعلم ثم وقف يخاطب المفتي عبد الملك ويعلمه الدين لا يتوقف في قوله ولا يرتبك كلما علمه مسئلة يقول له علمها للناس حتى يعرفها الجهلة فكان أول ما علمه من كلامه فبلغه هو قوله اعلموا أيها الناس ان الامير سعودا يقول لكم ان الخمر حرام والزنا حرام الى آخر الكلام الذي يعلمه البهائم والانعام.

(ذكر هدم القبب)

ثم قال له قل لهم في غد اطلعوا للقبب واهدموها واطرحوا الاصنام وارموها حتى لا يكون لكم معبود غير الله فقالوا سمعا وطاعة وتفرق الناس فما أصبح الصباح الاّ وهم سارحون بالمساحي لهدم القبب فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا أولا ما في المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي صلّى الله عليه وسلّم ومولد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومولد سيدنا علي رضي الله عنه وقبة السيدة خديجة رضي الله عنها وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون وبالغوا في شتم القبور التي هدموها وقالوا ان هي الاّ أسماء سميتموها حتى قيل ان بعض الناس بال على قبر السيد المحجوب وأما أهل مكة فانهم لما حرضهم على الهدم وليس لهم قدرة على ترك الطاعة فارتكبوا أخف الضررين فبعضهم جعل يلتقط الاحجار وبعضهم يمشي خلف أولئك الفجرة فما مضى ثلاثة أيام الاّ ومحوا تلك الآثار وفي اليوم السادس من أيام اقامته نادى مناديه بابطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام فكان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء يصليه كل راكع وساجد وأمر أن يصلي بالناس الجمعة المفتي عبد

الملك القلعي وفي اليوم الثامن أمر أن يأتيه الناس بالشيش وآلات اللهو ذوات الاوتار وأمر على ذلك جماعة من قومه ليحرقوها بالنار بعد كتابة أسماء أصحابها ليعرف من أطاعه ومن عصاه وكان يترل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع ليلة المؤذنين يؤذنون الاذان الاول ويصلون على النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم سمعهم يقولون يا أرحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك أكبر ومنعهم من ذلك كله ثم أمر علماء مكة أن يدرسوا بعقيدته التي ألفها محمد بن عبد الوهاب وسماها كشف الشبهات ووضع فيها شيئا من الكفريات فقرؤها ورأوا ما فيها من التلبيس الذي هو من وساوس ابليس و لم يقدروا على الانكار ثم طلب قبائل العرب التي حول مكة فبايعوه وأخذ منهم من المال شيئا كثيرا يزعم انه نكال ووضع في القلعة مائتين من بيشة وجعل عليهم أميرا فهيدا أخا سالم بن شكبان فأرسل كتابا لاهل جدة مع علي بن عبد الرحمن أخي عثمان المضايفي يطلب منهم الدخول في طاعته فأجابوه بانا رعية سيدنا الشريف غالب فطاعتنا من طاعته واذا فرض انا نطيعك ونعصيه هل تطلب منا شيئا من الدراهم أم يصح الدخول في دينك بدونها فلما قرأ الكتاب فرح بما فيه من الجواب وظن انه حق وهم يسخرون به فارسل يطلب منهم مائتي ألف ريال وستين ألف مشخص ومن القماش ما قيمته ستة آلاف ريال ووجه لتلك الاموال من يقبضها في الحال وعزم على التوجه بجيوشه الى جدة وكان ذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم سنة ألف ومائتين وثماني عشرة ومدة اقامته بمكة أربعة عشر يوما ولما أناخ بجدة استعدّ له مولانا الشريف غالب بالمدافع والقلل فصار يشتتهم ويفرقهم بذلك شذر مذر فحملوا حملة رجل واحد وراموا ان ينفزوا على السور فاذا رمى عليهم بالمدفع ينهزمون لموضع شاسع ويعودون الى مخيمهم وفي اليوم الثاني يقدمون على السور ويفعلون كما فعلوا بالامس فيجدون مثل ما وجدوا من المس فعلوا ذلك مرارا عديدة وقتل منهم خلائق لا يحصون فمضى عليهم ثمانية أيام ثم نادوا بالرحيل والتفت سعود الى عثمان المضايفي

يوبخه ويشتمه لكونه هو الذي أشار عليه بالنزول الى جدة ثم بعد ارتحالهم أناخوا بالوادي ولم يدخلوا مكة وأمر على أهل الوادي السيد ابراهيم بن سليمان البركاتي ثم توجه من الوادي الى الزيما ثم الى الشرق وبعد ارتحاله من الوادي ركب مولانا الشريف من جدة وغزا أهل الوادي لكونهم دخلوا في الطين فقتل وأسر وأما أميرهم فانه فر ثم رجع مولانا الشريف الى جدة.

(الغزية التاسعة والعشرون)

وهذه الغزية التاسعة والشعرون وفي أيام امارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرقات وتنهب الاموال في كل ناحية وليس عنده من العسكر والجند ما يدفعهم به وفي أيام امارته ورد عبد الوهاب أبونقطة أمير عسير ومعه جنود كثيرة وظن انه يدرك سعودا وجنوده قبل رحيلهم فبلغه وهو بالحسينية انهم قد ارتحلوا فلم يدخل مكة وحدثته نفسه انه يقاتل أهل جدة ويأخذها بمن معه من الجند وكتب من الحسينية كتابا لمولانا الشريف عبد المعين وأرسل مع الكتاب خمسة عشر ريالا فقال في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبونقطة الى عبد المعين بن مساعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته اعلم أن قصدي أخذ جدة وقد استعددت لها بالسلاح والقوم ومذ حللت بهذا الوادي نجح زادي فخذ لي بخمسة ريالات دقيقا وبخمسة ريالات سمنا وخمسة ريالات عليقا فلربما يطول علينا زمن الحصار ويلحقنا من عدم الزاد مضار وأرسل لنا قدر مائة سلم ننقز عليها السور ونهجم على البندر المذكور فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بمحضر من أهل مكة وأناس من جماعته فاخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته ثم أرسل له مع الرسول كل ما طلب فوصل الى نصف طريق جدة وحرض قومه على القتال ثم أخر وامتنع عن الاقدام وعاد الى مكة ونزل بالمحصب فسأله بعض الناس وقال له لم رجعت عن القتال فقال قد أسلم على يدي كل من كان بجدة وأطاع ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع فضحك الناس من قوله وعبد الوهاب أبونقطة هذا قتله الشريف حمود الخيراتى

بعد مدة حمل عليه في وسط مخيمه فقتله وخلف ولدا يقال له دوسري أمسكه سيدنا الشريف محمد بن عون حين كان أميرا على عسير لاستشعاره منه بعض الفساد وأرسله الى مصر فبقى بها مدة ثم لما جهز محمد علي باشا على عسير المرة الاخيرة أرسل دوسري المذكور مع الجيوش ثم رجع الى مصر و لم يطب له القرار بهذه الديار وبقى بمصر الى أن مات ولما نزل عبد الوهاب أبونقطة بالمحصب طلع الشريف عبد المعين الى الابطح لمواجهته ومعه نحو خمسمائة من أهل مكة تقلد كل منهم بالسلاح فسلم عليه وآنسه وحياه ثم صنع له ضيافة واستمر مقيما بالابطح أياما ثم ارتحل الى حيث آل وخلف من جماعته أربعمائة أسكنهم في بستان سيدنا الشريف غالب الذي بالابطح وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول عزم سيدنا الشريف غالب على القدوم الى مكة واخراج من فيها من جماعة سعود وأبى نقطة.

(الغزية المكملة ثلاثين)

فكانت هذه الغزية هي المكملة ثلاثين قال بعضهم وهي حرية بأن تسمى غزوة الفتح فتوجه من جدة ومعه الوزير شريف باشا صاحب جدة وكثير من العساكر والجنود وثلاث مدافع منها مدفع كبير أهداه له امام مسكت فنزل أولا بالزاهر ثم أرسل العساكر والعبيد وأحاطوا بالقلعة التي بجياد فيها من خلفهم سعود وترسوا البيوت التي تليها وحصروهم أشد الحصار ودخل مولانا الشريف مكة ومعه شريف باشا بعد الاشراق و لم ينازعه الشريف عبد المعين فيما يروم ثم رتب بعض العسكر وأمرهم أن يحيطوا بالبستان الذي فيه من خلفهم أبونقطة واثار الحرب عليهم وركب عليهم المدفع وصنع لهم لغما تحت الارض فلما أثاروه رفع البرج الى الجو بمن فيه من الجند ومع ذلك ما برحوا عن القتال فطلب مدفعا كبيرا من جدة لا يمكن سيره بدون خمسين بعيرا فلما وصل رموا به الى جدار البستان فصار في كل رمية يطرح جانبا من البنيان حتى وقع منه شئ كثر فطلبوا الامان فاعطاهم الامان واستأجر لهم جمالا يتوجهون عليها الى بلادهم وأما الذين في القلعة فما فتر العسكر

عن قتالهم وكان يخرج جماعة منهم بالليل ويحرقون بعض العشش ويعودون الى القلعة ونزل جماعة منهم يوما في ضحوة النهار ونهبوا أغناما فتفازعت العساكر عليهم فرجعوا الى القلعة فوضع مولانا الشريف لهم حرسا لئلا يخرج أحد منهم من القلعة وأمر على الحرس القائد أحمد بن مثقال وبعد ثلاث أو أربع ليال هربوا من القلعة جنح ليل بالخيبة والويل وما طلب الامان الذين كانوا في البستان الاّ بعد علمهم بخروج الذين كانوا في القلعة وكانت مدة الحصار للجميع خمسة وعشرين يوما ثم أقبلت قبائل هذيل لمبايعة سيدنا الشريف غالب وطلبوا الامان لثقيف فابى أن يعطيهم الامان الاّ ان باينوا عثمان فاظهروا صدق دعواهم لعداوته ونكثوا بعد ذلك ثم جهز مولانا الشريف غالب رتبة لمحافظة الزيماء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف اعانة لثقيف وأمر عليها السيد ناصر بن أبي طالب.

(الغزية الحادية والثلاثون)

فكانت هذه هي الغزية الحادية والثلاثين فاحاطوا بالطائف مع ثقيف وضيقوا على عثمان أكثر من شهر ثم أمده الامير سعود من الشرق بالجنود وأمر عليهم سعد بن قرملة فلما رأى السيد ناصر أمير الغزية هذا الجند مقبلا ارتحل الى قرن وأقام به اياما ثم رجع الى مكة ثم أرسل مولانا الشريف جندا الى قرن.

(الغزية الثانية والثلاثون)

وهي الغزية الثانية والثلاثون فجاءهم جند كثير من عثمان فرجعوا الى مكة ودخل ثقيف في طاعة عثمان فجهز مولانا الشريف غالب غزية أخرى.

(الغزية الثالثة والثلاثون)

وهي الغزية الثالثة والثلاثون وأمر عليها وزير القنفذة أبابكر بن عثمان فتوجه بجنود كثيرة حتى أناخ بركبه فوجد فيها القوم فنازلهم وقاتلهم ذلك اليوم وأخذ حلتهم ومواشيهم وقتل منهم ورجع الى مكة وفي شهر رمضان من سنة ثماني عشرة توجه عثمان وتلاه سالم بن شكبان لقتال هذيل الشام فنزلوا بوادي الزيماء والمضيق

وأخذوا جماعة من هذيل الشام ومن حل بذلك الوادي وسلبوا النساء واهلكوا الرجال ثم ارسلوا لبني مسعود وهم مجتمعون بجبلهم المعهود وطلبوا منهم الدخول في هذا الطين فما قبلوا الدخول واستعدوا للقتال في الجبل وترسوه فاقبلوا عليهم بجنودهم وأحاطوا بهم من كل ناحية وثار القتال بينهم وأهلك بنومسعود منهم جانبا عظيما قيل انهم سبعمائة ومع ذلك ما تركوهم حتى صعدوا خلفهم الجبل وقتلوا من ادركوه منهم ثم رجعوا الى مخيمهم ونادوا لمن يصل اليهم من بني مسعود بالامان في وجه سالم بن شكبان فصاروا يتناسلون اليه من كل حدب ويطلبونه بطلب وغير طلب ولما تملك منهم طلب النكال فما أمكنهم الخلاف فأخذ منهم شيئا كثيرا ثم ركب عثمان ومن معه على الاشراف بني عمر وأهل اللفاع وصار بينه وبينهم قتال عظيم ثم تكاثروا بجنودهم على الاشراف وقتلوا ستة وعشرين شريفا ونهبوا حلتهم وسلبوا نساءهم حتى جردوهم من الثياب فطلبوا الامان وأطاعوه ودخلوا في طينه ثم عاد عثمان الى المضيق واجتمع بسالم بن شكبان وصارا ينتظران عبد الوهاب أبانقطه يأتيهم من أي ناحية وسكة لكونهم تواعدوا على حصار مكة فتأخر عن الوصول اليهم فارتحلوا فلما وصلوا السيل نهبوا كل ما وجدوه في طريقهم من المواشي والنعم وقسموه كما تقسم الغنائم ثم عقبهم ووصل الى الليث أبونقطة بعد تفرق جموعهم حين فات أوان الرابطة فأخذ أبونقطة ينكل أهل الليث وغيرهم من العربان حتى اجتمع له من الاموال شئ كثير وزينت له نفسه أن يطلع على الحجادلة وهم في الجبال لكونهم لم يصلوا له بشئ من المال فلما تمكنوا من نصف جبلهم الشاهق تصيدهم الحجادلة بالبنادق وقتلوا منهم مائة وستين فرجعوا منهزمين فكسروهم كسرة شنيعة بعد القتلة الذريعة وفي موسم سنة ثماني عشرة كان أمير الحاج الشامي سليمان باشا مملوك أحمد الجزار فبعد تمام الحج طلب منه مولانا الشريف ان يبقى جانبا من العسكر تحت يده ويرتب لهم العلائف والمقرر صيانة لحماية هذا البيت الامين فابى وصمم على الامتناع فلم يقبل منه سيدنا الشريف

ذلك الامتناع وقال لابد من أخذ شئ من ذلك فتوسط بينهما عثمان بيك أمين الصرة ان يبقى مائة وخمسين من خيار العسكر ومائة وخمسين من الجمال موسوقة من المهمات وآلات القتال فارسلها أمير الحج على مقتضى الشرط وفي شهر المحرم من سنة تسع عشرة اقبل سالم بن شكبان وعثمان باثني عشر ألفا يريدون محاصرة جدة وأخذها بزعمهم الفاسد فاراد مولانا الشريف غالب التحرز والتحصين لمكة لئلا يدخلوها وعلم ان جدة لا يمكنهم أخذها فنادى مناديه في البلد الحرام بالنفير العام وأمر الناس بحمل السلاح والخروج الى الزاهر فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح يبيتون من وقت المساء الى الصباح حتى مضى لهم سبع ليال على هذا المنوال.

(الغزية الرابعة والثلاثون)

فهذه الغزية الرابعة والثلاثون ثم تحقق انكسار فرقة الضلال ورجوعهم عن جدة بالويل والوبال وجاء البشير من جدة مخبرا بارتحالهم وقال انهم أناخوا بساحل جدة ومعهم اثنا عشر ألف مقاتل وأحاطوا بالسور وفي كل يوم يحملون على البلدة حملة واحدة فيفرق جمعهم المدفع فيعودون الى الخيام حتى أفنى المدفع منهم الكثير فلما مضى لهم ثلاثة أيام و لم يظفروا بمرام ارتحلوا بالخيبة والويل وامتلأت من جيفهم الحفر والقنوات حتى صاروا يجدون العشرة والعشرون مدفونين في محل واحد وتوجه سالم بن شكبان على طريق الوادي واصبح بالمضيق وأخذ عثمان على خلاف هذا الطريق ومعه كثير من ثقيف وغيرهم فقتلوا عربانا في طريقهم وأخذوا ابلا لمولانا الشريف فلما بلغه الخبر أرسل خلفهم غزية فيها مائتان من الخيل الجياد.

(الغزية الخامسة والثلاثون)

فهي الغزية الخامسة والثلاثون وأمرهم ان يتوجهوا على طريق عرفة فاذا صادفوا عثمان ومن معه يقاتلونهم فلم يصادفوه فعند ذلك جهز مولانا الشريف غزية أخرى.

(الغزية السادسة والثلاثون)

وهي الغزية السادسة والثلاثون جهزها من طريق البحر لتتوجه الى الليث فجهز من الداوات الكبار عشرة وشحنها بالذخائر والعساكر والمدافع الكبار والجبخانة وآلات القتال وجعل الامير عليها القائد مفرح عتيق الوزير ريحان وجهز جيشا آخر من طريق البر الى الليث أيضا.

(الغزية السابعة والثلاثون)

فهي الغزية السابعة والثلاثون وفيها مائة من خيل الاروام مع كثير من الجند وجعل الامير عليها السيد حسن بن زين العابدين بن غالب وجعل أميرا على الاتراك حسين آغا تفكجي باشا فتوجهت غزية البر فلما وصلوا الليث وجدوا غزية البحر قد سبقتهم ودخل القائد مفرح البندر بجيشه وأطاعه أهل الليث بغير قتال لكن وقعت قضية بعد وصول غزية البر لم يسبق مثلها وهي ان بعض الاوباش أغرى حسين تفكجي باشا ان يخوزق ثلاثة من الاشراف المناديل فجعل لكل واحد خازوقا وأجلسه عليه وأدخله فيما بين رجليه مع انهم دخلوا في الطاعة مع أهل البلد وقد كانوا من جملة خدم الشريف وبني عمه فقتلوا ظلما وفجورا وكان أمر الله قدرا مقدورا فما مضى بعد ذلك ثلاثة أو أربعة أيام حتى هجم عليهم من طائفة الوهابية جند زهاء أربعة آلاف مقاتل فوقع القتال بينهم وبين جنود مولانا الشريف فكانت ملحمة عظيمة اسفرت عن انهزام الوهابيين بعد ان قتل منهم شئ كثير واستشهد ذلك اليوم السيد حسن بن غالب أمير الغزية البرية التي أرسلها مولانا الشريف من طريق البر وجمع بعض الاتراك رؤوس الوهابيين وأرسلها لمولنا الشريف بعد المعركة فحشاها بالتبن وأرسلها فأمر مولانا الشريف بتعليقها خارج البلد وهرع الناس ينظرون اليها وبعد أيام رجع الى مكة مفرح آغا وحسين آغا وكان مجئ حسين آغا على خلاف مراد مولانا الشريف لانه أحب بقاءه في الليث لكونه مشهورا بالشجاعة فاعتذر بان باعثه على الوصول نفاد الزاد فجهز مولانا الشريف غزية أخرى.

(الغزية الثامنة والثلاثون)

وهي الغزية الثامنة والثلاثون وجعل فيها كثيرا من عساكر العرب ومن الاشراف والعبيد ولم يجعل فيها أحدا من الاروام وجعل الامير عليها السيد حسن بن علي بن سعيد فتوجه بمن معه الى الليث فوجده قاعا صفصفا ليس فيه أنيس ولا من اليعافير والعيس فعادوا من يومهم الى مكة فضحك منهم سيدنا الشريف وتعجب من رجوعهم ثم جهز غزية أخرى الى جهة الوادي.

(الغزية التاسعة والثلاثون)

وهي الغزية التاسعة والثلاثون ومعها كثير من السادة الاشراف ومن الاتراك نحو مائتين وخمسين فارسا وكثير من الرماة المشاة وجعل الامير عليها السيد شنبر بن مبارك بن شنبر المنعمي وأمرهم ان يقيموا بقرية المدرة ليمنعوا العدوّ من الوصول لذلك النادي ويطمئن بهم أهل الوادي ففعلوا ما أمرهم به الاّ ان الماء والهواء تغيرا على الاروام واعتراهم مرض وسقام ومع ذلك صابروا ومكثوا ثلاثة أشهر وهم حامون تلك الحوزة ورجع بعض منهم الى مكة ولم يبق بالوادي الاّ نحو الاربعين فلما بلغ عثمان الخبر أغراه على الوصول اليهم داء الطمع فجمع أربعة آلاف مقاتل ما بين راكب وراجل ودهمهم بغتة فانتشب القتال بينهم وبينه وأنزل الله النصر على أولئك الاربعين حتى صار الواحد منهم يقتل العشرة والعشرين فهزموا ذلك الجند الذي جاء به عثمان وقتلوا فيهم قتلا ذريعا حتى وصلوا الى الزيما هاربين ولا يلتفت أحد منهم الى أحد ولما بلغ مولانا الشريف الخبر أرسل خلفهم مائتين من الخيل تطرد خلفهم ولو أدركوهم لذاقوهم كأس الويل.

(الغزية المكملة أربعين)

فهذه الغزية المكملة أربعين ولما بلغ سعودا هذا الخبر قال كيف يفعل الاربعون هذا الفعل واستغربه غاية الاستغراب واعتبر وقال انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر ثم رجع القوم من الوادي الى مكة فانعم عليهم مولانا الشريف بالدراهم والملابس

الفاخرة وفي مدة هاتين الغزوتين وقعت غزوات أخر وذلك انه في خلال هذه المدة جاءت الاخبار لمولانا الشريف ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغمس يترقبون الفرصة فاذا غفل عنهم بادية الحرم نهبوا ما يجدونه من النعم فجهز غزية عدها أربعة عشر فارسا ونحو عشرين من الرماة.

(الغزية الحادية والأربعون)

وهي الغزية الحادية والأربعون وجعل الامير عليها السيد راجح بن عمرو الشنبري فوصل هو ومن معه الى المغمس فلم يجد أحدا فاخذوا على طريق الزيما فلما أقبل على سولة بدا لهم مواطئ أقدام ماشية فاقبلوا مجدين فرأوا عيانا جماعة ينوفون عن الخمسمائة فصاح السيد راجح صيحة الاسد الضاري واستنجد بمن معه فثار الحرب بينهم وبين القوم حتى صار صوت البنادق كالرعد ودفعت الخيل تركض على القوم واستمر الطعن والضرب وأفنوا الكثير من ذلك الحزب وما سلم الاّ من فرّ منهم وانهزموا هزيمة شنيعة وقتل في ذلك اليوم سعد بن قرملة وقاتله السيد راجح بن عمرو الشنبري وقتل فيها كثير من قحطان وغنم السيد راجح ومن معه كثيرا من الابل الطلائع والخيل الجياد والقلائع ورجعوا الى مكة حاملين للرؤس على الرماح ومعهم ما غنموه من الخيل والابل والسلاح وأصيب يومها السيد راجح في يده صوبا خفيفا ومع هذا قتل فيهم قتلا عنيفا وفرح المؤمنون بنصر الله وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفي شهر صفر جاءت الاخبار ان بداي شيخ حرب دخل ومن معه في الطين واستولوا على ينبع ومعه ابن جبارة شيخ جهينة وخدعا وزيرها بعد قتال وحصار واغارة وكان وزير ينبع محمد الحجري من عسكر اليمن ولم يكن له بمكائد الحرب دراية فحاصروه ليالي مع أيام فلم يتم لهم ارب ولا مرام فسلطوا عليه ابراهيم الرويتي فما زال يخوفه ويصعب عليه الامور حتى طلب بواسطته الامان وهو في غاية التمكن والاحصان فاعطوه الامان ودخل ينبع بداي وابن جبارة مع كثير من حرب وجهينة واستباحوا قتل المسلمين بلا عقل ولا دين وتمكن من البندر ثم توجه وزير

ينبع الى جدة في الداوات ثم طلع الى مكة ورماه بعض العسكر عند مولانا الشريف بانه وقعت منه خيانة في تسليم البندر فاحرى عليه ما حكم بالقضاء والقدر وأمر بسلبه ثم صلبه فسلب وصلب وتوجه يومها مولانا الشريف الى جدة لأخذ الثأر فصادف ان رأى مركبين من مراكب الانكليز مجهزة للسفر فتكلم مع قبطانها ان يسير معهم جماعة للقتال ولو بأخذ ما يطلبه من المال فاطاعه ورضي ثم خان وغدر وسافر بمركبيه فقام مولانا الشريف بهمة قوية وعزمة هاشمية وجهز عشرة داوات من الداوات الكبار وشحنها بكثير من العساكر والذخائر وجعل نصف العسكر من عساكر الاروام والنصف الآخر من عساكره أهل الاقدام.

(الغزية الثانية والأربعون)

وهي الغزية الثانية والاربعون وجعل الامير علي الاروام رسول آغا وعلى العرب القائد مفرح وفي ليالي اقامته بجدة وردت زعيمة من ينبع واذا فيها ابراهيم الرويتي المتقدم ذكره الذي كان سببا في أخذ نبع وخديعته للوزير حتى سلمها لهم وكان وصوله من عجيب الاتفاق فأمر مولانا الشريف باحضاره وسأله عن تلك القضية ووجد عنده أوراقا من بداي يفسد بها الرعية فاجاب مولانا الشريف بكلام كالعدم لا يخلو عن التهم فألان له الكلام حتى وقف على المرام ثم أمر بصلبه بعد سلبه فصلب ثلاثة أيام ولما تمم مولانا الشريف ارسال الغزية رجع الى مكة ثم جاءته الاخبار بان الداوات وصلت بالسلامة وطرحوا بمرسى ينبع وأحاطوا بها ورموا عليها المدافع الى مضي ثلاثة أيام ثم نزل الجند وحملوا على البلد حتى دخلوها وملكوها وقتلوا جماعة ابن بداي قتلا ذريعا و لم يكن ابن بداي هناك لأنه بعد أن ملكها جعل فيها ابن عم له وخرج وبعد أن تمكن جند مولانا الشريف من ينبع أرسلوا له بالبشائر فارسل الخلع الفاخرة لمفرح آغا وأنعم عليه بوزارة ينبع وأكرم رسول آغا بفرو سمور وكثير من النقود له ولبقية الجنود.

(الغزية الثالثة والأربعون)

الغزية الثالثة والأربعون كانت في شهر جمادي الاولى سنة تسع عشرة وذلك أن سيدنا الشريف في الشهر المذكور شمر عن ذيل عزمه وركب بمن لديه من السادة الاشراف والاتراك والعساكر وتوجه الى الطائف من طريق اليمانية وأرسل القائد أحمد بن مثقال من طريق كرا وأحاطوا بالطائف واجتمع معهم كثير من العربان وصار عثمان المضايفي محصورا في الطائف ولم يقدر على ملاقاة الشريف وحملت الجنود بالبنود والرايات على السور وصارت تنقبه بالمعاول في أحجاره فلم يرد الله عزّ وجلّ بلوغ المرام فاقام عشرة أيام ورجع الى البلد الحرام وفي أواخر شهر رمضان جاءت الاخبار بان عبد الوهاب أبانقطة حل بارض اليمن ثم تحقق وصوله الى الليث ومعه كثير من الجند فاستعد مولانا الشريف لقتاله وخرج بجنوده الى الحسينية ثم انتقل الى الشرقية.

(الغزية الرابعة والأربعون)

وهي الغزية الرابعة والاربعون ثم انتقل الى السعدية فوجد جنود الوهابية نازلين بها ومعهم عدد كالرمال فالتقى الجمعان بعاشر شوال وتكافح الفريقان واشتد القتال فكانت النصرة في أول الامر لمولانا الشريف ومن معه حتى صارت الاتراك تقطع في رؤس أولئك القوم قطع رؤس الكباش حتى فني من عسير جم كثير ثم انقلب الدور على الاتراك وقتل منهم كثير فكان القتلى من الفريقين نحو الالفين لكن قتلى الوهابية أكثر بيقين ثم انهزموا وطرد خلفهم مدة جند مولانا الشريف ثم رجعوا ورجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وفي الخامس عشر من شوال وصل عثمان المضايفي الى الزيما بجنود كثيرة وتلاه عثمان بن شكبان ثم انتقلوا الى عرفة ودخل في طينهم بعض قريش وهذيل فقتلوا من لم يطعهم ممن قدروا عليه وأسروا البعض وأتلفوا عين زبيدة بالتهديم والتكسير فقل الماء بمكة وصار الضعيف في جهد وضنك ثم انتقل كثير منهم الى وادي مر في عاشر ذي القعدة وصاروا ينهبون ويقتلون

الوافدين الى مكة حتى غدا طريق جدة أيام اقامتهم أيام نحر وتشريق ولما جاء الحج الشامي لم يدخل الاّ من طريق جدة ولم يصل الوادي وكذلك الحج المصري ثم وصل شريف باشا صاحب جدة وحج الناس لكن لم يحج في هذا العام أحد من أهل مكة وجدة والمدينة ومصر والشام وجميع البلدان غير ما كان في الحج الشامي والمصري بسبب هذه الفتنة والعربان محيطة بمكة محاصرة لها من جميع الجهات حتى ان أكثر البيوت بمنى كانت خالية أيام الحج وكان أمير الحج الشامي ابراهيم باشا والي الشام فتكلم معه مولانا الشريف أن يخرج لقتال هذا الخارجي فامتنع ثم طلب منه أن يرسل عساكر وجمالا الى جدة لاحضار شئ من الذخائر والقوت فوعد وأخلف ثم كرر الطلب عليه ثانيا وثالثا فلم يفعل وفي ليلة من الليالي التي هو مقيم فيها بالزاهر جاء خمسة من الخيل فصاحوا في أطراف العسكر وكبروا وجالوا بخيلهم ففزع وحصل له خوف كثير فكاتب عثمان المضايفي وارتبط بينهما حبل المودة والمواصلة فصار جماعة من قوم عثمان يأتون الى الخيام ويبالغ لهم في الاكرام وفي ليلة عشرين من شهر الحج سافر عند طلوع الفجر ولم يأذن له عثمان في الانتقال الاّ بعد أن دفع له مائتي كيس من المال وقد تقدم انه في سنة ثماني عشرة أبقى أمير الحج الشامي طائفة من العسكر لاعانة مولانا الشريف فأخذهم ابراهيم باشا في هذا العام فنصح العلماء والقضاة وحذروه من غضب السلطان فما ازداد الاّ عتوا ونفورا فقام مولانا الشريف باعباء تحمل الاثقال وسكن روع سكان البلد الامين بمن معه من العسكر والرجال وترس البلاد من الجوانب الاربع لكن اشتد على الناس بقطع الطرق الجوع ووقع الغلاء الذي تسيل له الدموع فلم يجد ما يشتريه الجائع ولا ما يبيعه البائع ودخلت سنة عشرين والناس في بلاء مبين.

(ذكر ابتداء القحط بمكة وانتهائه)

وكان ابتداء القحط والغلاء من أواخر ذي الحجة سنة تسع عشرة واستمر الى ذي القعدة من سنة عشرين ومضت هذه السنة وهو كل يوم في ازدياد حتى انه في

آخر الامر بلغت كيلة القمح والرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر والشحم والزيت ريالين والرطل من البن والتمر ريالا والرطل من السمن ريالا ونصفا وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل اللحم الماعز والجمل نصف ريال وأخرج أهل مكة جميع ما يملكونه من الحلي والثياب والاثاث يبيعونه بابخس الاثمان ويشترون به ما يأكلون ثم عدمت الاقوات بالكلية ولا يجدونها بالاوقية فضلا عن الارطال وصار كثير من الناس يأكلون من أدوية العطار كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الحمر وشرب أناس الدم المسفوح وأكل بعض الناس الجلود والهرات والكلاب وكل حيوان على وجه الارض فهلك الفقير وافتقر الغني وجعل الغلاء يطول ويمتد وأرباب العيال صاروا حيارى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وقاسى أهل مكة في هذا العام ما لم يقاسه أصحاب السبع الشداد وفي أثناء هذه المدة وقعت الخيانة من بعض الناس من الاشراف وغيرهم فكاتبوا عثمان ومن كان في الجند من الامراء وانساب بعض منهم انسياب السيل وهرب جنح ليل ومنهم من ثبت وقعد ودخل معهم في الخيانة بعض شيوخ العبيد الذين كانوا أمناء على القلعة فاراد الله لهم بالفضيحة وأطلع مولانا الشريف على بعض مكايدهم القبيحة واطلع أيضا على مكاتبات من بعض الاشراف الكبار لأولئك الفجار فامر بسجن ابن أخيه السيد مساعد بن مسعود والسيد أحمد بن سرور وسجن كثيرا من غير الاشراف من العسكر والعبيد وقتل بعضا من شيوخ العبيد ودخل في طاعة الوهابي كثير من الاشراف من ذوي بركات وذوي عبد الله وذوي الحرث والمناعمة وغيرهم مما يطول الكلام بذكرهم وقويت عزائم الخارجي بطاعتهم له وما زال الناس ينهالون ويتسللون ويخرجون من مكة ويدخلون في طاعة الخبيث لا سيما لما اشتد الغلاء والجوع وكانت الاقوات في جيوش الخارجي كثيرة تباع بأبخس الاثمان ولما رأى الشريف يحيى بن سرور ما حل ببعض الاشراف من الحبس والاهانة ركب فرسه ليلا وفر ولم يزل سائرا حتى وصل وادي مر وعامل القوم كما عاملهم غره ففرحوا به

فما أقام عندهم غير ثلاثة أيام حتى جاء بمعقودة من الخيل على رأسه ووصل بهم الى عمرة التنعيم وبعضهم أشرف على الزاهر فجاء الخبر لمولانا الشريف غالب فأمر الفرسان بالركوب خلفهم.

(الغزية الخامسة والأربعون)

وهي الغزية الخامسة والاربعون ففروا هاربين و لم يدركوهم وأمر أهل البلاد فترسوا أطرافها وأكنافها وحصل في ذلك اليوم ضجة أيّ ضجة وكان ذلك يوم الربوع لإثنين خلوا من شهر المحرم سنة عشرين وبعد يومين من هذه القضية ارتحل الجنود الذين كانوا بالوادي ونزلوا الحسينية واقبلوا على أطراف مكة وهم منتقلون فاشرف عليهم أهل مكة من رؤس الجبال وما كان منهم هذا الانتقال الاّ لظنهم انهم يدخلون مكة لكن قاتلهم العبيد المترسون في الابراج التي حول مكة ومنعوهم عن الدخول كرها واستمر القتال بينهم من الظهر الى الغروب وهلك من تلك الجنود سبعة فتوجهوا الى الحسينية وقتلوا احد عشر رجلا من أهلها وأخذوا مواشي أهل الحسينينة وتوجهوا الى العابدية لأنه بلغهم ان أبراجها حصينة وهي خلية لان العبيد تركوا الابراج وجاؤا الى مكة لطلب الزاد فلما وصلوا الى مكة غضب عليهم مولانا الشريف لتركهم الحصون وأعاد الجميع مبادرة في الحال وزاد عليهم مثلهم بين راجل وخيال وأمر سراة من الفرسان ان يجدوا بخيلهم مسرعين يسبقوا العبيد الى الابراج قبل ان يستولى العدوّ عليها فلما أقبلوا عليها وجدوا الوهابيين مسارعين اليها فسبقوا الوهابيين وولجوها ومنعوهم عنها بالطبنجات لتأخر أهل البندقية والرماة.

(الغزية السادسة والأربعون)

وهذه الغزية السادسة والاربعون فلما لم يتم للوهابيين أمر رجعوا الى وادي مر ثم ارتحل عثمان بكثير من الجنود وتوجه الى الطائف وكانوا قبل ارتحالهم بنوا حصنا بقرية المدرة وتركوا فيها عصابة من قومهم وأمر عليهم ابن حجي من عدوان وارتحل بعده سالم بن شكبان وكانوا في مدة اقامتهم بالوادي بايعهم أكثر العربان

الذين باطراف مكة كالمطارفة وقريش وبعض هذيل والحجادلة ولحيان وأمروهم بقطع الجلب عن مكة ولما رأى مولانا الشريف ما حل بأهل مكة من القحط والغلاء والجوع أخذته الشفقة والمرحمة فاجتهد في جمع ما أمنكه من الجمال وأرسلها الى جدة لتأتي بالذخائر والاحمال وأرسل معها جماعة من الاشراف والعسكر والعبيد ومعهم نحو المائة من فرسان الخيل وأرسل معهم أحمد كتخدا وهرع معهم كثير من أهل مكة لما حل بهم من الجوع وصاروا كالجراد المنتشر بين مشاة وركبان وبلغ كراء البعير الى جدة سبعين قرشا الى ثمانين وفي ثاني يوم خروجهم من مكة بلغ مولانا الشريف انه خرج عليهم بعض الوهابيين فأعقبهم بما ينوف عن مائة خيال من الصناديد الابطال وأمر عليهم السيد ماضي بن سليمان.

(الغزية السابعة والأربعون)

وهذه الغزية السابعة والاربعون ثم جاء الخبر ان الذين خرجوا أولا لجلب القوت والذخيرة مع أحمد كتخدا لما بلغوا نصف الطريق خرج عليهم ثلاث من خيل ذلك الفريق وهم عيون وجواسيس توصل لهم الاخبار فركض عليهم بعض الخيل وبقى بعض منها لحراسة القافلة فنبع لهم نحو عشرين خيالا كانوا متوارين خلف تلك الجبال فركض عليهم خيل الهوارة فأصابوا رجلا وقتلوا رجلين واقتلعوا حصانا وقتلوا فرسين وفرّ بقية الاشرار للويل والدمار ولما وصلت القافلة للمنتجى وهو جبل معروف وجدوا في حصنه سبعة من الوهابيين فصعدوا لهم بخيل ورجال من أهل مكة ومن العسكر فقتلوهم وقطعوا رؤسهم ودخلوا بتلك الرؤس الى بندر جدة المحروس وفي اليوم الثاني من دخولهم جدة وردت أغنام الى جدة فعدوا عليها وأخذوها فأرسل الوزير خلفهم جريدة من الخيل ليسترجعوها فلم يدركوهم ثم ان القافلة حملت أحمالها وأوسقت جمالها وتوجهت الى مكة ونالت البادية الحظ الاوفر من كراء الجمال وأكروا كل بعير بثلاثين ريالا وكان الشيخ عبد الله عبد الشكور صاحب التاريخ له حمل من القمح من تلك الجمال فاستولى عليه بمكة الناظر عثمان

بلح وفرقه على العسكر وحسب قيمته على مولانا الشريف وأخذها و لم يعط الشيخ عبد الله شيئا من الحمل ولا من قيمته فرفع فيه شكاية لمولانا الشريف وجعل الشكاية في منظومة طويلة مذكورة في التاريخ وبعد وصول القافلة الى مكة أقاموا يومين فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثانيا ليأتوا بذخيرة أخرى وأمدهم بالعسكر وكراء الجمال على حاله كالرد الاول وكان أهل مكة يسمون تلك القوافل بالردود وجعل أميرا على هذا الرد السيد ماضي بن سليمان وهرع كثير من أهل مكة الفقراء مع هذا الرد فتوجه الجميع في الثالث والعشرين من المحرم ووصلوا الى جدة بالسلامة وحملوا الجمال وخرجوا بها وسلكوا غير الطريق المعتاد وحصل لهم تعب لعسر الطريق الذي سلكوه ووصلوا الى مكة بالسلامة وأقاموا أربعة أيام فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثالثا وكراء الجمال على حاله وكثير من أهل الجمال يحملون كيلتين من البر بريال وأكراء الجمالة تحوم حول المنفعة فكانوا يشترون لأنفسهم كيلة البر بشئ قليل من جدة ويبيعونها في مكة بأربعة ريالات وكان رجوعهم الى مكة سادس صفر وكانت تلك الردود سببا لارتخاء الاسعار عما كانت عليه ثم أمر بالرجوع أيضا الى جدة رابعا وخرج معهم في هذا الرد خلق كثير من أهل مكة قيل انهم نحو ثلاثة آلاف حتى قل النّاس من مكة و لم يتكامل الصف الاول بالمسجد الحرام وما حملهم على ذلك الاّ الفقر وكثرة الجوع وكان معهم أيضا من العسكر مثل ما كان اولا والامير عليهم السيد ماضي المذكور وسمع أهل مكة من بعض أهل جدة كلاما شاقا في الازقة والاسواق يقولون لهم جئتم أرضنا لتحاشرونا في الارزاق فتعب لذلك الكلام أهل مكة وضاقت عليهم الارض بما رحبت وما صدر ذلك الكلام الاّ من بعض السفلة والاراذل وأما المعتمدون من أهل جدة فلم يقع منهم شئ من ذلك بل كانوا يتلقونهم بغاية الاكرام وللشيخ محمد البناني مفتي المالكية بمكة قصيدة طويلة يذكر فيها ما وقع لأهل مكة من بعض أولئك الاراذل وهذه القافلة الرابعة أقامت بجدة ثلاثة أيام وحملت جمالها ورجعت لحمى البيت الحرام و لم تزل

هذه الردود تسري الى ان انقطع الطريق بالكلية وأحاطت جنود الوهابيين بمكة من جميع الجوانب في شعبان ورمضان وفي تاسع شهر صفر أرسل مولانا الشريف غزية على قوم من بني لحيان دخلوا في الطين.

(الغزية الثامنة والأربعون)

وهي الغزية الثامنة والاربعون جهز فيها خيلا وركابا ومشاة وأمر عليها السيد راجح بن عمرو الشنبري أمره أن يقصد بغزوه قوما من بني لحيان دخلوا في طاعة عثمان وكانوا نازلين بشعب من وادي الطرفاء يسمى شعب الذئب فاغار بمن معه عليهم فقتلوا ثلاثة وأخذوا من ابلهم نحو الخمسين والباقي من القوم فرّ حين سمعوا سنابك الخيل ورجع السيد راجح ومن معه سالمين ثم أعاده سيدنا الشريف ومن معه وأمرهم ان يغزوا المناعمة.

(الغزية التاسعة والأربعون)

وهي الغزية التاسعة والاربعون فغزوا على المناعمة وعلى جماعة من المطارفة فولوا فارين مدبرين وأخذوا الممكن من مواشيهم وحلتهم ورجعوا سالمين وفي السادس من ربيع الاوّل جهز مولانا الشريف جيشا مكمل القوة والاستعداد فيه جملة من السادة الاشراف والعساكر والعبيد وأمرهم ان يغزو الحصن الذي في المدرة فيه جملة من الوهابيين.

(الغزية المكملة خمسين)

وهي الغزية المكملة خمسين ومعهم مدفع كبير وقنبلة فساروا الى ان نزلوا المدرة وأحاطوا بالحصن وحاصروا القوم ورموهم بالمدفع والقنبلة فلما مضى ثلاثة أيام جاء قوم من بني لحيان يريدون دخول الحصن اعانة لمن فيه فحمل عليهم عسكر مولانا الشريف وطردوا خلفهم حتى أصعدوهم رؤس الجبال وأرسل لهم مولانا الشريف مدفعا آخر وجاء قوم من بني مسعود هذيل الشام يريدون أيضا دخول الحصن اعانة لمن فيه فمنعوهم أيضا من الدخول ووقع القتال بينهم حتى انهزموا

وتعلقوا برؤس الجبال وقتلوا أناسا منهم وقتل عبد من عبيد مولانا الشريف ورجع القوم الى مخيمهم وفي هذه الايام هرب من مكة السيد ماضي بن سليمان وذهب الى الوهابيين وتبعهم على ما هم عليه فاختلفت أقاويل الناس فيه فمنهم من قال ان ذلك باطلاع سيدنا الشريف وله فيه مقصد ومرام ومنهم من قال ان الرجل غلب على قلبه الخوف منهم فعاملهم بعد ان كاتبوه وكاتبهم ثم ان القوم المحاصرين للحصن حملوا عليه وكان محيطا به خندق فأخذوا معهم أخشابا ليضعوها على الخندق ويعبروا عليها فقصرت عن ذلك فرجعوا بعد ان أصابوا من القوم خمسة أشخاص وخرج من الترك مثلهم والجروح قصاص وكان الترك الذين هجموا معهم وصلوا الى باب الحصن فوجدوا على الباب نحو العشرة فقتلوا منهم ستة وفر أربعة ثم رجعوا الى مخيمهم فلما بلغ الخبر مولانا الشريف جهز لهم جيشا نحو المائتين وأمر عليهم القائد أحمد بن مثقال ومعه مدفع كبير.

(الغزية الحادية والخمسون)

وهذه الغزية الحادية والخمسون وكان أكثر هذا الجيش من شبان أهل مكة وجاؤا بالمدفع على نحو خمسين جملا ومدة سيره في الطريق خمسة أيام وانكسر العجل فوصلوا المدرة والحصار على حاله ثم بلغهم ان عثمان المضايفي أمدّ المحاصرين بثلاثة آلاف وخيلهم نحو المائتين فأخذت جنود مولانا الشريف حذرها وجعلوا لهم متارس فلما أقبل القوم رموهم بالمدفع ووقع القتال بينهم الى آخر النهار وقتل من قوم عثمان نحو الخمسين و لم يقتل من جماعة الشريف أحد بل أصيب واحد في يده صوبا خفيفا فلما جاء الليل أشار عليهم بعض من أدركه الخوف والفزع بالرجوع الى مكة وقال لهم قد تم لنا الغلب وطاب لنا حسن المنقلب فارتحلوا فأدركتهم خيل الوهابية قبل ان يصلوا مكة فلما أحسوا بسنابك الخيل في عتمة الليل فر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف نحو العشرة ومن الوهابيين جماعة ممن لهم شهرة واقتلع عسكر مولانا الشريف من خيلهم خمسة من

أنجب الكحائل ورجعوا الى مكة وفي ربيع الآخر ورد الخبر بان سالم بن شكبان حل الطائف بنحو خمسمائة من قومه واستقبله عثمان بمن عنده من القوم وخيموا بالقرب من جبال بني سفيان وأرسلوا لهم يأمروهم بالدخول في الطاعة وخوفوهم وهددوهم فأطاعوهم خوفا بعد ان كانوا ممتنعين أشد الامتناع ونبذوا عهود مولانا الشريف وأرسلوا مشايخهم ليعرفوا المطلب لعثمان وابن شكبان فطوقوا أعناقهم بالحديد ثم وضعوا عليهم نكالا جسيما جعلوا على كل سفياني عشرين ريالا وأخذوا سلاحهم فعند ما سمعت بذلك هذيل طارت قلوبهم من الخوف والفزع فأرسلوا لهم من يأخذ لهم الامان وحملوا ما طلبوه لهم من النكال مع الهم لم يقاتلوه قط وغيرهم انما تبعه بعد قتال شديد فقبلوا منهم الدخول في الدين من غير صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام بل بمجرد أخذ المال وقالوا لهم قد صح اسلامكم فقاتلوا أهل مكة المشركين حتى يدخلوا في الطين فانزلوا من جبالكم واسكنوا تهامة في العابدية والحسينية وامنعوا الخيرات الواردة الى مكة وأقام على كل قبيلة شيخها أميرا على جماعته وأمر بالتجبر على المشركين في زعمه فلما بلغ سيدنا الشريف هذه الاخبار أمر ببناء أبراج في الحسينية زيادة في تحصينها ولما بلغ المقصود عثمان وابن شكبان من هذين القبيلتين وحازوا السلاح وظفروا بالنقدين ارتحلا من الموضع الذي كانا مخيمين فيه وتوجه سالم بن شكبان الى بيشة وعثمان الى الطائف وقد تقدم ذكر الردود التي تأتي من جدة بالميرة مرة بعد أخرى.

(الغزية الثانية والخمسون)

وفي شهر ربيع الثاني من سنة عشرين بلغ مولانا الشريف ان الوهابية عازمة على أخذ الرد في الطريق بجموع اجتمعت لأخذها فجهز غزية زيادة في الحفظ والحماية وهي الغزية الثانية والخمسون فأصبحت الغزية بالركاني وجاءها الخبر ان القوم بصروعة فما لبثوا ان ملؤا القرب بالماء حتى جاءهم القوم كالغمامة الدهماء فحصل بينهم قتال وطالت الملحمة على ظهور الخيل وانحاز ثلاثون من عبيد مولانا

الشريف على جبل شاهق وقتلوا كثيرا بالبنادق ثم انجلى الامر بانهزام الوهابيين وقتل سبع أو ثمان من خيلهم وبعض من رجالهم وأخذت قليعة من خيلهم وقتل أميرهم حجي وصعد جماعة منهم وأحاطوا بالذين في الجبل من العبيد واقتتلوا معهم أشد القتال فقتل من الوهابيين نحو السبعين ومن العبيد خمسة وعشرون ثم توجه جماعة الشريف بعد العراك الى الحرم فلقيت الرد سالما وعوض الله مولانا الشريف فجاءه من جدة من العبيد خمسة وأربعون وفي الرد الذي بعده خمسون وفي شهر جمادي الاولى من هذه السنة عقد سعود مجمعا عاما وطلب جميع الامراء فحضروا عنده منهم عبد الوهاب أبونقطة أمير عسير وسالم بن شكبان أمير بيشة وعثمان المضايفي أمير الطائف وما حوله وغير هؤلاء من الامراء وأمرهم ان يحاصروا أم القرى من جميع الجهات وان يمنعوا عنها جميع الوارد وبالغ في منعهم الاقوات وانصرفوا من المجمع على ذلك وفي عشرين من شهر جمادي الثانية وصل عثمان المضايفي فاستقبله خواص قومه وسألوه عما جاءهم به فقال قد أباح لنا سعود قتل هؤلاء المشركين في الحل والحرم وان علماء الدرعية وجدوا هذا القول في حاشية كتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو صادق النقل فيما روى معصوم من الهوى فقروا عيونا وطيبوا نفوسا ولكن اكتموا هذا الامر فانه سر مكتوم ثم أظهر لبقية الناس خلاف ما أبطن وان سعودا أمره باصلاح عين زبيدة التي هدمها فأخذ يتجهز بشغل المعاول وحرق النورة وجمع المكاتل والرمل بطلب من القبائل فعمارة العين فما مضى برهة من الزمن حتى اجتمع عنده نحو خمسة آلاف من هذيل اليمن والشام وثقيف وغيرهم من الانام وتوجه بهم وخيم في المضيق ثم ارتحل بهم ونزل في حدود الحرم وفي شعبان أرسل عشرين خيالا فانتهت ركضا الى جبل المنحنا وأعلنوا بالتكبير وطلبوا البراز فركبت خيل الشريف خلفهم ففروا ولم يجدوا لهم أثرا وصاروا يفعلون مثل ذلك ثلاثة أيام ثم انتقل بجنوده قاصدا جدة وأحاطوا بالسور ومعهم كثير من السلالم ومعاول الحديد ثم قربوا من السور حتى صعد بعضهم على بعض السلالم بعد وضعها

على جدار السور فجاءهم من كانوا قائمين بحماية السور وأبعدوهم عنه بالبندقية والمدفع وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجعوا منهزمين الى مخيمهم وكان بعيدا عن وقع الرصاص ثم ارتحل الى المدرة بمن معه من الفجرة وأرسل يطلب من بقي من العربان فجعلوا يتسللون اليه من كل مكان فرتبهم لقطع الطرقات فجعل لمحاصرة جدة وقطع طريقها واهس شيخ زبيد ومعه جماعة من أهل الكيد فخيموا تجاه جدة بحيث يردون من آبار غليل ويغيرون على حول البندر بالنهار والليل وكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين وخضبوا أكفهم بدم الموحدين وفي كل يوم يصلون الى الحفر ويقطعون من يرد اليها وكثر العطب في التكارنة الذين يجمعون الحطب وما برحوا على هذا المنوال حتى انقطع الواصلون من جدة بالكلية وأمر الحجادلة وبعضا من هذيل ان يخيموا على الشرفية ويقطعوا من يرد من طريق اليمن وأمر بعضا من هذيل ان يخيموا على وادي نعمان ومعهم العرب النازلون بتلك الجبال من غير هذيل وأمر بني لحيان وعربان الحرم ان يخيموا بالحصن الذي شيده بالوادي والمدرة ثم انتقل هو ومن معه مرة ثانية الى طريق جدة يقتلون ويأخذون من يمر عليهم من الحجاج وغيرهم وكم قتلوا من المحرمين المعلنين بالتلبية ويقولون له يا مشرك مع انهم ما سمعوا منه لفظ الشرك الذي يزعمونه وما عرفوه قط ورأوه الاّ ذلك اليوم فيقتلونه بدعواهم لأجل أخذ ماله.

(الغزية الثالثة والخمسون)

وفي اليوم الثالث من رمضان أرسل عثمان جماعة من قومه نهبوا ابل الشريف التي كانت في العكيشية فركبت خيل مولانا الشريف خلفهم لاسترجاعها فهي الغزية الثالثة والخمسون وساقوا خلفهم الى الشميسي فوجدوهم قد تعلقوا بها في شواهق الجبال فرجعوا وفي اليوم الخامس من رمضان أمر عثمان أربعين من هذيل الندوية ان يقعدوا بين مكة والحسينية فجلسوا عند الشرفة التي عند جبل الثور يقطعون من يمر عليهم فمر عليهم أربعة من جماعة سيدنا الشريف فقبضوهم وأخذوا سلاحهم وحملوا ثلاثة منهم الى عثمان وأطلقوا الرابع وكان رجلا سليمانيا طاعنا

في السن فجاء الى مكة آخر الليل وأخبر بما وقع ومما فعلوه في هذا الشهر المعظم انهم منعوا الناس من الاعتمار من التنعيم ومع هذا لم يمتنع كثير من الناس الاغراب حتى انهم قتلوا شخصا معتمرا عند الزاهر.

(الغزية الرابعة والخمسون)

وفي العاشر من شوال ارتحل عثمان من طريق جدة قاصدا الحسينية فلما بلغ مولانا الشريف ذلك جهز جماعة من الخيل والفرسان والمشاة فهي الغزية الرابعة والخمسون فالتقوا بقوم عثمان باسفل مكة عند بطحاء قريش فوقع القتال بينهم وصالت خيل مولانا الشريف عليهم فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل منهم جماعة منهم ولد السيد ماضي بن سليمان ودخل قوم الشريف برأسه محمولا على رمح وعلق في الاسواق وذبح من جياد خيلهم أربع واستشهد من جماعة الشريف السيد فواز الحسيني أمير المدينة وواحد من الهوارة وقتلت فرس وأصيبت أخرى ثم رجع قوم عثمان على الحسينية وأقاموا يحاربون من فيها يومين فملكوها قيل ان وكيل الشريف بالحسينية خان فملكهم اياها والاّ فقد كان في مكان حصين والامر لله يفعل ما يشا ولو شاء ربك ما فعلوه وكان استيلاؤهم على الحسينية في الثاني عشر من شوال فانثالت عليهم العربان من كل سهل وجبل وأرسل يبشر سعودا بذلك وفي هذا الاثناء وصل سالم بن شكبان بما يزيد عن خمسة آلاف من بيشة وشمران وغامد وزهران وقحطان وفجرة من عصائب الشيطان ثم تلاه بالوصول عبد الوهاب أبونقطة بنحو عشرة آلاف من عسير وعربان اليمن فتكاملوا في الحسينية مع قوم عثمان فكانوا يبلغون ثلاثين ألفا فعند ذلك اشتد الكرب على المسلمين وضاق ذرع سكان البلد الامين ووقع القحط الذي لا مزيد عليه وارتفعت الاسعار حتى بلغت القدر الذي تقدم ذكره وبلوغها ذلك المقدار انما كان هذه المدة وأما الغلاء الذي كان قبل ذلك فانه لم يبلغ هذا السعر فبلغت في هذه المدة الكيلة من القمح أو الرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر أو الشحم أو الزيت ريالين وبلغ الرطل من التمر

والبن ريالا ومن ناله بهذا السعر فقد بلغ الآمال وبلغ رطل السمن ريالين ونصفا ورطل العسل ريالا ونصفا ورطل اللحم من الماعز أو الجمال نصف ريال وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل التنباك ستة ريالات ونصفا وقس على هذا فصار الناس يشترون حتى نفد ما بايديهم من النقود فاشتروا بالاثاث والثياب والحلي ويبيعون ما قيمته مائة بعشرة وأقل ويشترون بالعشرة ما قيمته واحد فأقل حتى فني القليل والكثير ومات كثير من الناس بالجوع وصار كثير من الناس يأكلون الجلود البالية والبطاط بعد حرقها بالنار ويأكلون شيئا يسمى الاخريط وهو نوع من النبات فأثر في وجوه الناس وأرجلهم نفخا وأوراما ثم يموتون بعد ذلك فترى الناس يموتون وهم يمشون في الاسواف وترى كثيرا من الاطفال موتى في كل زقاق وشرب أناس الدم المسفوح وأكل آخرون الهرات والكلاب وكل ما يجدون من الحيوانات ومضى على الناس شئ لم يعهد قط ثم فنيت الاقوات فلم توجد بقليل ولا كثير فصار بعض الناس يأكلون أدوية العطار مثل بزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ العربي ونوى التمر والحمر وكل شئ ألين من الحجر فهلك الضعيف وافتقر الغنى فلما ذهب النقد والنشب وفنيت الذخائر والمكتسب وتحققوا ان المآل الى العطب هرعت الناس الى الحسينية لان الاقوات بها رخية وصاروا يمشون في الطرق الصعاب وعلى رؤس الجبال خوفا من السطوة عليهم في الطريق ومنهم من قتل ومنهم من مات جوعا قبل الوصول اليها ومنهم من دخلها محمولا حتى لم يبق بمكة الاّ القليل ولا يتكامل الصف الاوّل اذا اجتمعوا للصلاة في المسجد الحرام وغلقت الحوانيت واستمر هذا الحال الى السادس والعشرين من ذي القعدة سنة عشرين فوصل من الحسينية عبد الرحمن بن نامى أحد علماء القوم المعتمد عليهم ومعه ثلاثة منهم فاجتمع بسيدنا الشريف غالب وتذاكرا في الصلح وانحسام هذا الجرح ورجع في يومه الى الحسينية يخبر بما وقع بينهما من الاتفاق وبعد يومين نهب عثمان ابلا للشريف كانت ترعى في أرض الحرم فاركب مولانا الشريف ستة من الخيل تقتفيها وتأتيه بالخبر.

(الغزية الخامسة والخمسون)

وهي الغزية الخامسة والخمسون فاحاط بهم نحو الستين من خيل الوهابية كانوا خلف الجبال وقتلوا ثلاثة وقبضوا على اثنين ونجا السادس وهو السيد راجح بن عمرو الشنبري فعند ذلك أرسل مولانا الشريف نحو ستين خيالا.

(الغزية السادسة والخمسون)

وهي الغزية السادسة والخمسون فلما وصلوا لذلك الموضع لم يجدوا أحدا.

(ذكر انعقاد الصلح بين مولانا الشريف وأحد علمائهم على دخول مكة)

ثم رجع عبد الرحمن بن نامي من الحسينية واجتمع بمولانا الشريف وتم معه الصلح على ان الشريف يأذن لهم في الدخول الى الحج ثم يتوجهون الى بلادهم وان الناس يدخلون في الطاعة ويكون أمر مكة وأحكامها تحت نظر مولانا الشريف واشترط عليهم أمورا منها اعادة الحسينية وغرامة ما ذهب فيها من الكثير والقليل حتى دية المقاتيل وغير ذلك مما اشترطه فيما فيه الصلاح والرفق بأهل البلد الحرام وأذن لهم بدخول مكة وانهم يرسلون مكاتيبهم الى سعود يخبرونه بما صار عليه الاتفاق وينتظرون الجواب فدخل بعد هذا كثير من أهل مكة الذين كانوا قد خرجوا الى الحسينية وتنازلت الاسعار واطمأنت القلوب ثم دخل عثمان وسالم بن شكبان لأربع بقين من ذي القعدة وفرج الله على المسلمين تلك الشدة ثم دخل أولئك الجيوش مكة وملؤا كل زقاق وسكة وجعلوا يركضون في الطواف ويشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبواكير ثم خيموا بالابطح وفي اليوم الثالث من ذي الحجة وصل عبد الوهاب أبونقطة بجنوده ونزل أيضا بالابطح وفي اليوم الثامن توجهوا الى عرفة ووصل الحج الشامي يوم الثامن وكان أميره عبد الله باشا ومعه قوة زيادة عن المعتاد وكان معه نحو ألف وخمسمائة خيال وكان في مجيئه وقع بينه وبين قبيلة حرب قتال شديد النهم تعرضوه في الطريق فجلس له بداى شيخ حرب ومعه قوم كثير وابن جبارة شيخ جهينة ومعه قوم كثير في جبال النازية يمينا وشمالا فقاتلهم

ورماهم بالمدفع وأمر بعض العسكر ان تصعد لهم في الجبال بخيولهم فقتل منهم خلقا كثيرا وأذاقهم العذاب الاليم ويوم العيد عرض قوم أبي نقطة على مولانا الشريف وبعد تمام الحج نزلوا بالمحصب وفي هذا الاثناء جاء أبونقطة لمترل مولانا الشريف وسلم عليه وقدم له مولانا الشريف حصانا مرختا وألبسه فروا سمورا وشالا وسيقا وأقاموا بعد سفر الحجوج الى الحادي عشر من محرم ثم ارتحلوا وكانوا مدة اقامتهم بمكة مصابين بداء الجدري فافنى منهم خلقا كثيرا حتى صاروا يحفرون لهم حفرا ويضمون الموتى بعضهم لبعض ويدفنوهم في الحفر وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة أيضا يستأجرون أنفسهم في ما يحتاجه أهل مكة من الخدم كالاحتطاب وحمل القمائم ونزح الغائط من المراحيض ونحو ذلك فانظر كيف أعز الله جيران بيته وأذل أولئك القوم الذين جاؤا لقتلهم وسبى أطفالهم وأخذ أموالهم فمنعهم عنهم وسخرهم لخدمتهم ثم ان سيدنا الشريف في افتتاح سنة احدى وعشرين رتب محاكمه فأرسل وزيرا الى ينبع ومعه خمسون خيالا ومائتان من العسكر وأرسل مائتين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة وأقام بها مدة ورتب أمورها وأمر باصلاح السور وعمارة الخندق وأمر ببناء برج على نفس باب البغاز المسمى بالعلم يمنع الداخل الى المرسي ان قصده عنوة وفي غاية صفر وصل من الدرعية عشرون رجلا وفيهم حمد بن ناصر أحد علمائهم وكان مولانا الشريف بجدة فترلوا لملاقاته فاتجهوا به وأعطوه ما كان معهم من المكاتيب من سعود وفيها اتمام أمر الصلح ونزل حمد بن ناصر الى مسجد عكاش وأمر بجمع الناس له وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التي يكفر فيها المسلمين وحضر التجار والاعيان وطلبة العلم وكافة الناس ثم أمر مولانا الشريف بهدم قبب الصالحين لتطييب قلوب أولئك المعاندين وأمر أهل جدة ومكة بالامساك عن شرب التنباك وان لا يباع في حانوت وأمر الناس ان يدخلوا المسجد حين يسمعون الاذان لأداء صلاة الجماعة وأمر العلماء أن يقرؤا الرسائل التي ألفها ابن عبد الوهاب لتأسيس ما ابتدعه ونهى عن تكرير الجماعة في

المسجد الحرام وان لا يصلي الاّ امام واحد وان يقتصروا على الاذان على المنائر ويتركوا التسليم والتذكير والترحيم وانما وافقهم مولانا الشريف وكافة الناس على ذلك كله مداراة لهم ودفعا لشرهم وأبطل مولانا الشريف ضرب نوبته ونوبة والي جدة فلما ظهر ذلك كله لحمد بن ناصر ظن ان ذلك فعلوه معتقدين فيه ظاهرا وباطنا فتوجه الى الدرعية يعرفهم بتلك الطاعة وأرسل معه مولانا الشريف من جهته شيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس فغاب شهرين ورجع بالجواب وسيدنا الشريف ما زال مقيما بجدة فترل اليه وأعطاه الجواب فاحتاج مولانا الشريف الى اعادة جواب آخر لهم فارسل به محسنا الشبلي فغاب شهرا ويومين ورجع وفي الخامس والعشرين من شهر جمادي الآخرة وقع بمكة قتال شديد بين الاتراك والعبيد وسيدنا الشريف بجدة فأرسل وأمرهم بالكف عن القتال فكفوا وكان من جملة القتلى ولد مرضى العميري وكان أخوه بجدة فجاء مكة لأخذ الثأر فوجد تركيا فطعنه برمح فثار القتال مرة ثانية فبلغ مولانا الشريف الخبر وهو بجدة فعلم ان هذه الفتنة لا تسكن الاّ ان وصل بنفسه فجاء الى مكة في شهر رجب وأسكن تلك الفتنة وكان الفائت في تلك الفتنة نحو عشرين ما بين قتيل وصويب وكانت مدة الحرب أربعة أيام ولياليها ثم بعد وصول سيدنا الشريف سأل عمن كانوا أصول هذه الفتنة فانتقم منهم بالتسفير والحبس والقتل لرئيس تلك الفتنة وهو محمد اوض باشا ولما وقعت هذه الفتنة فرح عثمان المضايفي ليجعلها قدحا في مولانا الشريف وعدم كفايته لضبط مكة فركب من الطائف الى الدرعية ليخبر سعودا بهذه القضية فكان توجهه في الخامس من رجب ورجع بعد خمسة وثلاثين يوما و لم يصادف لكلامه قبولا عند سعود.

(ذكر بناء قلعة الهندي سنة ١٢٢١)

وفي السابع والعشرين من رجب أمر مولانا الشريف ان يبنى له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندي وتم بناؤه في عاشر رمضان فحصنه بالرجال

والذخائر وفي آخر يوم من رمضان وقع قتال أيضا بين العبيد والاتراك وعزلت الاسواق وترس كل منهم بمكان مكين فشمر مولانا الشريف ساعده لإطفاء هذه الفتنة وما خرج الناس من صلاة المغرب الاّ وقد خمدت و لم يقتل من الطرفين سوى اثنين وعيدت الناس.

(ذكر وصول الشريف عبد الله بن سرور وتوجهه الى الدرعية وحبسه في السويرقية)

وفي ثالث شوال وصل الشريف عبد الله بن سرور من القسطنطينية بعد غيابه عن مكة أربع سنوات لانه خرج سنة سبع عشرة ورجع سنة احدى وعشرين بعد ان وصل الى أبواب السلطنة وأراد ان يولوه شرافة مكة فما كان له في ذلك نصيب ولما وصل ما بين الحرمين لم يطب له دخول مكة مدة شرافة عمه لكونه تكلم فيه عند السلطنة فوجه الى الدرعية واتجه بأميرها سعود وأعطاه على الدخول في دينه المواثيق والعهود رجاء ان يوليه شرافة مكة فلم يفعل ذلك سعود فطلب منه امارة الطائف حين ايس من امارة مكة فلم يعطه أيضا فطالت اقامته هناك وضاق به الحال واشتاق الى الوطن فطلب الاذن في الرجوع فلم يأذن له الاّ الى السويرقية فرجع اليها كأنه محبوس فمكث ثلاث سنين وصار يكاتب سعودا ويستأذنه في الرجوع الى مكة فاذن له بعد مضي ثلاث سنين فلما أقبل على مكة وكان بين الجالية وأبى الدود أرسل لعمه كتابا يستأذنه في الدخول فلم يأذن له فتوسط بعض السادة الاشراف بينه وبين عمه وكفلوا لعمه ما يخشى منه من الفساد ومضى على ذلك ثلاثة أيام فلما سمع عثمان المضايفي بكل ما كان وكان قد بلغه أنه طلب امارة الطائف وتكلم فيه عند سعود أرسل جماعة من عدوان وأمرهم بالقبض على عبد الله بن سرور من أي مكان كان فوجدوه في ذلك الموضع فقبضوا عليه ونقلوه محمولا اليه فلما مثل بين يديه أمر بالسجن عليه ومعه جماعة من الاشراف قيل انه مكث في السجن ستة أشهر ثم أطلقه ثم ان الشريف عبد الله بن سرور مكث بعد ذلك في الحال أكثر المدة

والسنين وهو موضع قريب من الطائف ولما جاء محمد علي باشا وقبض على مولانا الشريف غالب وولى مولانا الشريف يحيى بن سرور شرافة مكة كان اخوه الشريف عبد الله بن سرور غائبا بالجال وكان أكبر من أخيه الشريف يحيى فكان يؤمل ان شرافة مكة تكون له مع كثرة طلبه لها ومحاولته عليها فلما تولاها أخوه الشريف يحيى ضاق ذرعه ونزل الى مكة وكان أخوه الشريف يحيى يعظمه ويبجله كثيرا فلم تطب نفسه بذلك بل كان يحقر أخاه ويسفه عليه جهارا في وجهه فشكاه للوزير محمد علي باشا فقبض عليه وأرسله الى مصر محبوسا فمكث فيها مدة ثم أطلق بشفاعة أخيه الشريف يحيى وقيل بل خرج هاربا خفية فرجع الى مكة ثم انتقل الى الجال وأقام به الى ان توفي سنة تسع وثلاثين بالجال فنقل منه الى مكة ودفن بها فانظر الى تقدير الله تعالى حيث لم يجعل له نصيبا في توليته شرافة مكة وما نفعه كثرة جده واجتهاده في ذلك فانه حارب عمه الشريف غالبا في أول مدة ولايته ثم توجه الى أبواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم الى الدرعية فلم ينل ما يروم بل اعقبه ذلك الحبس والاهانة فعلى العاقل أن يستسلم لقضاء الله وقدره ويرضى بقسمته فان قدر له شئ يهيئ الاسباب لذلك الشئ حتى يكون ولما رجع عثمان المضايفي الى الدرعية ولم يحصل له من الطعن في مولانا الشريف طائل أمر العربان بقطع الطرق مشاققة لمولانا الشريف وكان عثمان أعطاه سعود امارة العربان فغلت الاسعار بمكة ووقع للناس شدة وصار الناس كالمحصورين بمكة لقطع الطرق فارسل مولانا الشريف الى سعود وعرفه بما هو حاصل لجيران الله تعالى وعرفه الاسباب الموجبة لذلك فارسل سعود لعثمان ومنعه مما كان ففرج الله على الناس تلك الشدة وكانت مدتها قليلة بالنسبة لما قاسوه من الحصر الذي كان في سنة عشرين قيل ان مدة الشدة هذه الاخيرة كانت ثمانية أيام فزالت لله الحمد بهمة مولانا الشريف ثم ان مولانا الشريف غالبا في جميع السنين التي كان فيها تغلب الوهابي على مكة كان يصانعهم ويهاديهم بالاموال الجزيلة بحيث كانت هداياه تصل الى أكثر امرائهم وعلمائهم وأعوانهم يفعل

ذلك مدافعة عن نفسه وحماية لبقاء ملكه ووقاية لاهل مكة أن ينالهم من أحد الوهابية مكروه ومع ذلك كان يكاتب الدولة العلية سرا ويحثهم على تعجيل تجهيز عساكرهم لانقاذ الحرمين من الوهابية واستمر الحال الى ان انفضت المدة التي قدر الله استيلاءهم على الحرمين فيها وكان سعود وكثير من امرائهم يأتون في كل سنة الى الحج بجنود كثيرة فيكرمهم مولانا الشريف ويهيئ لهم الضيافات الكثيرة وفي سنة عشرين لما جاء الحج الشامي والمصري الى مكة قال الامير سعود لامراء الحجين ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظموها بينكم يعني المحمل الشامي والمحمل المصري فقالوا له قد جرت العادة من قديم الزمان باتخاذ المحملين يجعلونهما علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا بهما بعد هذا العام وان أتيتم بهما فاني أكسرهما وكذا شرط عليهما ان لا يصحبوا معهم شيئا من الطبل والزمر.

(ذكر رجوع الحج الشامي من الطريق من غير حج سنة ١٢٢١)

وفي سنة احدى وعشرين كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا فلما وصل هدية جاءته مكاتيب من الوهابي لا تأت الاّ على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي فلما قرؤا تلك المكاتيب رجعوا من هدية من غير حج.

(ذكر أمر سعود باحراق المحمل المصري سنة ١٢٢١)

وأما المحمل المصري فانه لما وصل أمر سعود باحراقه وأمر بعد الحج أن ينادي لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا المنادى في المناداة يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فانقطع مجئ الحج الشامي والمصري من هذا العام.

(ذكر أخذ الوهابي ما في الحجرة الشريفة سنة ١٢٢١)

وفي سنة احدى وعشرين أيضا أخذ الوهابي كل ما كان في الحجرة النبوية من الاموال والجواهر وطرد قاضي مكة وقاضي المدينة الوصالين لمباشرة القضاء سنة احدى وعشرين وأقاموا الشيخ عبد الحفيظ العجيمي من علماء مكة لمباشرة القضاء

بمكة وأقاموا لقضاء المدينة بعض علماء المدينة ومنعوا الناس من زيارة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(ذكر صدور الامر من السلطان سليم لمحمد علي باشا بالتجهيز سنة ١٢٢٢ هـ. ١٨٠٧ م.)

وفي سنة اثنتين وعشرين صدر الامر من مولانا السلطان سليم لمحمد علي باشا صاحب مصر ان يجهز الجيوش والعساكر لقتال الوهابي واخراجه من الحرمين الشريفين وكان محمد علي باشا قد تولى مصر سنة عشرين ووقع بينه وبين الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر محاربات ووقائع كثيرة والى هذا الوقت لم يصف له ملك مصر بل كان في ارتباك كثير فلم يتيسر له ارسال الجيوش لقتال الوهابي بالحجاز وكانت تتكرر عليه الاوامر السلطانية بتعجيل التجهيز فما تيسر له ذلك الاّ في أوائل سنة ست وعشرين فجهز جيشا عظيما وجعل صارى عسكره ابنه طوسون باشا وجعل معه من العلماء الشيخ المهدي والسيد أحمد الطحطاوي محشي الدر المختار ورئيس التجار السيد محمد المحروقي.

(ذكر وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابي سنة ١٢٢٦)

فتوجهوا من مصر في رمضان سنة ست وعشرين ومائتين وألف فملكوا ينبع وما بعدها بسهولة الى ان وصلوا الصفراء وكان قد اجتمع فيها وفي جبالها ونواحيها كثير من قبائل العرب وأمرائهم وجاء عثمان المضايفي من الطائف ومعه قبائل كثيرة فوقع بينهم وبين العساكر المصرية في ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة قتال شديد بين تلك الجبال فانهزم طوسون باشا ومن معه من العساكر وقتل كثير منهم واستولى العرب على أموالهم وذخائرهم وأكثر ما كان معهم وفرّت العساكر هاربة في كل ناحية ورجع من سلم منهم الى مصر وكذا المشايخ الذين كانوا مع ذلك الجيش وتأخر طوسون باشا بالقصير ينتظر الاذن من والده محمد علي باشا ثم في شهر المحرم افتتاح سنة سبع وعشرين شرع محمد علي باشا في تجهيز جيش آخر

فبعث بعض العساكر من طريق البحر وجعل عليهم خزنداره المسمى بونابرته وأمره ان يكون هو وابنه طوسون باشا في ينبع لمحافظتها وجهز في شهر صفر عساكر غيرهم لتسير من طريق البر وجعل عليهم صالحا آغا السلحدار وجعله صارى عسكر العساكر المتوجهة من طريق البر ثم صار يوالي ارسال العساكر في دفعات برا وبحرا فلما اجتمع كثير من عساكر البر والبحر في ينبع ومعهم صناديق من الاموال أخذوا في تألف العربان واستمالتهم ببذل المال وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرا فكانوا يعملون بتدبيره وبما يعتمد عليه فكان ذلك سبب اقبال مشايخ العربان عليهم وأرسلوا الى شيخ مشايخ حرب كافة فحضر فاكرموه فخلعوا عليه وعلى من حضر معه من أكابر العربان فالبسوهم الفراوى السمور والشالات القشميري ففرقوا عليهم من الشالات ملء أربع سحاحير وصبوا عليهم الاموال وأعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال فرانسة عينا ففرقها على المشايخ وخصه هو بمفرده من ذلك بثمانية عشر ألف ريال ثم رتبوا لهم علائق ونقودا تصرف لهم كل شهر فعند ذلك ملكوهم الارض وصاروا يسعون في خدمتهم وتقدمهم الى ان أدخلوهم المدينة المنورة في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وأخرجوا من كان فيها من الوهابية وقبضوا على ابن مضيان الذي كان متأمرا في المدينة وجاء الامير سعود في هذا العام الى الحج ولم يطلع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية فلما أتم الحج رجع الى بلاده بسرعة فكاتب الشريف غالب العساكر الذين في ينبع فسار بعض العساكر من ينبع الى جدة من طريق البحر فلما وصلوا جدة في أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين أدخلوهم وكان بمكة جماعة من الوهابية جعلوهم عسكرا في القلعة يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول بعض العساكر الى جدة هربوا من القلعة في الليل وأصبحت القلعة ومكة خاليتين منهم ثم توجه بعض العسكر من جدة ودخلوا مكة فقابلهم شريف مكة وأكرمهم فلما بلغ خبرهم الوهابية الذين بالطائف ألقى الله الرعب في قلوبهم

وهربوا من الطائف هم وأميرهم عثمان المضايفي ولما جاءت البشائر الى مصر باستيلاء العساكر على المدينة وجدة ومكة والطائف ضربت المدافع الكثيرة لذلك وأمر الباشا بالزينة خمسة أيام في الاقطار المصرية في شهر صفر سنة ثمان وعشرين وأرسل محمد علي باشا مبشرا لدار السلطنة يبشرهم بفتح الحرمين وكان يسمى لطيفا أفندي ولما وصل الى قرب اسلامبول خرج لمقابلته أعيان رجال الدولة وعند دخوله جعلوا له موكبا عظيما مشى فيه أعيان رجال الدولة وصحبته عدة مفاتيح قالوا انها مفاتيح المدينة ومكة وجدة والطائف ووضعوها على صفائح الذهب والفضة وأمامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وضربوا لذلك مدافع كثيرة وعملوا شنكا وأنعم السلطان على لطيف أفندي وأعطاه خلعا وأنعم عليه بطوخين وجعله باشا وأهداه كثير من رجال الدولة وأنعمت الدولة على محمد علي باشا بخلع وأطواق وخنجرين مجوهرين وسيف مجوهر وعدة أطواخ بولايات الباشوية لمن يريده ويختاره وسأل مولانا الشريف غالب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي وقال له هل جعلتم تاريخا لانتهاء مدة الوهابي فاجابه بقوله (قطع دابر الخوارج) فكان ذلك تاريخا فعدّ ذلك من بدائع المفتي عبد الملك ولا يدري هل كان مهيئا ذلك قبل ان يسأله أو أنه استحضر ذلك حالا وعلى كل حال فهو من بدائعه فانه كان عالما متفننا متضلعا من العلوم رحمه الله تعالى ثم بعد استقرار كثير من العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية الذين كانوا قريبا من الطائف وخرج الشريف غالب بنفسه مع العساكر وتلك الوقائع يطول الكلام بذكرها الى ان قتلوا كثيرا منهم وفرقوا جموعهم وقبضوا على كثير من امرائهم ومنهم عثمان المضايفي ولما قبضوا عليه سلموه لشريف مكة مولانا الشريف غالب فوضعه في الحديد وحبسه ثم أرسله الى جدة ليوجهوه الى مصر وجاءت البشائر لمحمد علي باشا قد تهيأ الى التوجه الى الحجاز بنفسه فجاءته البشائر بالقبض على المذكور قبل توجهه ثم توجه في الرابع عشر من شوال من السنة

المذكورة ووصل الى جدة في أواخر شوال ونزل مولانا الشريف غالب الى جدة لمقابلته وكان عثمان المضايفي قد بعثوا به الى مصر ومعه ابن مضيان قبل وصول محمد علي باشا الى جدة فلم يلتق به ووصل عثمان المضايفي الى مصر في منتصف ذي القعدة فاركبوه على هجين وأدخلوه في ألاي ليراه الناس ثم أرسلوه الى دار السلطنة ومعه ابن مضيان فطافوا بهما في اسلامبول ثم قتلوهما ولما كان عثمان المضايفي في مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد علي باشا وحادثوه ساعة فرأوه فصيحا يجيبهم بجنس كلامهم باحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وعليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفا على مثل هذا اذا ذهب الى دار السلطنة يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم الى أن حضر الطعام فواكلهم وأقام عندهم ثلاثة أيام ثم وجهوا به الى دار السلطنة مع المحافظة عليه ولما وصل محمد علي باشا الى جدة جاءته رسل من الامير سعود يطلبون الافراج عن عثمان المضايفي ويفتديه سعود بمائة ألف ريال وقالوا ان الامير سعودا يريد اجراء الصلح بينكم وبينه والكف عن القتال فتقابل هؤلاء الرسل أوّلا مع الشريف غالب وطوسون باشا وأخبروهما بما جاؤا لاجله ثم أوصلوهم الى مقابلة محمد علي باشا فلما بلغوه رسالتهم بالمكالمة مشافهة وفهم مطلبهم فقال لهم أما عثمان المضايفي فقد توجه الى أبواب السلطنة وأما الصلح فلا نمتنع منه لكن بشروط منها ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الامر الى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما أخذه من الجواهر والاموال التي كانت بالحجرة الشريفة وكذلك ثمن ما استهلك منها وان يأتي بنفسه ويتلاقى معي وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان أبى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا أكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا له كذلك فلما أصبح الصباح أمر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصب ديوانا وأجروا فيه تعليما على صورة الحرب وتابعوا الرمي بالبنادق والمدافع ليشاهد الرسل

ذلك ويخبروا به مرسلهم ولما وصل محمد علي باشا مكة احتفل به مولانا الشريف غالب غاية الاحتفال وبالغ في ضيافته واكرامه مع التحذر منه غاية التحذر وأنزله في الشامية في بيت القطرسي المعروف الآن ببيت باناعمة وأنزل ولده طوسون باشا في الشامية أيضا في بيت السقاط المقابل لبيت السيد علي نائب الحرم الآن وكان محمد علي باشا يعظم الشريف غالبا غاية التعظيم ويقبل يده ودخل معه الكعبة وتعاهد معه وكان محمد علي باشا اذا ذهب اليه يذهب في قلة من العسكر والاتباع من تحذر الشريف غالب منه انه حسن له ان العساكر الواردة ينبغي أنها اذا وصلت جدة من البحر تتوجه الى الطائف من جدة ولا تدخل مكة لئلا يحصل للناس ضيق في الماء لكثرة الحجاج الواردين في ذلك العام فوافقه محمد علي باشا على ذلك فكانت العساكر تتوجه من جدة الى الطائف ولا تدخل مكة ولم يكن في مكة الاّ العساكر الذين مع محمد علي باشا ومع ولده طوسون باشا بقدر الحاجة وكان عند الشريف غالب عساكر موظفون من أهل اليمن أربعمائة ومثلهم من الحضارمة ومثلهم من يافع ومثلهم من المغاربة ومثلهم من السليمانية الجميع نحو الالفين مفرقين قلقات في اطراف مكة لاجل محافظة الاطراف وكان عنده من العبيد نحو الألف لمحافظة القلاع ولا يغني حذر عن قدر وكان محمد علي باشا مأمورا من السلطنة بالقبض على الشريف غالب وارساله الى دار السلطنة فصار متحيرا في كيفية الوصول الى ذلك المطلب مع تحفظ مولانا الشريف هذا التحفظ ومع المعاهدة التي صارت بينهما فاستحسن ان يكون القبض عليه بمباشرة ابنه طوسون باشا لا بمباشرته وفاء بالعهد على زعمه فاظهر ان بينه وبين ابنه منافرة لسبب من الاسباب فتوجه ابنه الى جدة مظهرا انه مغاضب لوالده وأشيع ذلك بين الناس ثم كتب من جدة لحضرة مولانا الشريف أن يتوسط بالصلح بينه وبين والده وان يشفع له عند والده في حصول الرضا ففعل ذلك حضرة الشريف فقبل محمد علي باشا شفاعته فكتب حضرة الشريف لطوسون باشا بحصول قبول الشفاعة وطلب منه الحضور الى مكة ليجمع

بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما فتوجه الى مكة فلما وصل ذهب مولانا الشريف اليه في بيته للسلام عليه وليأخذه معه ويجمع بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما وكان طوسون باشا قد عزم على القبض على الشريف اذا جاء اليه في ذلك اليوم باشارة من والده وكان ذلك بتدبير الشيخ أحمد تركي فلما وصل حضرة مولانا الشريف الى بيت طوسون باشا وجد أكثر عساكر محمد علي باشا مجتمعة مع عساكر ابنه طوسون باشا فلم ينكر ذلك لكون ذلك اليوم كان وصول طوسون باشا فظن انهم جاؤا للسلام عليه وكان مولانا الشريف في قلة من الخدم والاتباع فلما دخل الديوان عند طوسون باشا تفرق خدمه وأتباعه في الدهليز يتحدثون مع أتباع طوسون باشا ولما اقبل حضرة مولانا الشريف على الديوان خرج طوسون باشا لمقابلته وقبل يده وعظمه غاية التعظيم ودخل معه الديوان وجلسا يتحدثان ومنعا الناس من الدخول عليهما على عادة الامراء اذا اجتمعوا مع بعضهم وبعد قليل دخل عليهم من كبار العسكر عابدين بيك فدنا من حضرة الشريف وقبل يده وقبض على الجنبية التي تحزم بها مولانا الشريف ليأخذها من وسطه وقال له أنت مطلوب للدولة العلية فنظر مولانا الشريف فلم يجد عنده أحدا من أتباعه وباب الديوان مغلق بحيث لا يعلم من هو خارجه من العسكر وغيرهم ما هو حاصل داخله فلم ير مولانا الشريف الاّ الامتثال فقال له سمعا وطاعة ولكن أقضي أشغالي في ظرف ثلاثة أيام ثم أتوجه فقال لا سبيل الى ذلك فامتثل ما قالوه فأدخلوه في مخلوان الديوان وكان مهيئا مفروشا ولا يعلم أحد من العسكر وغيرهم ممن هو خارج الديوان بما صار في داخله وكان ذلك في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة أعني سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ومكة ممتلئة من الحجاج والاسواق قائمة بالبيع والشراء ولم يشعر أحد بذلك بل كان الناس يخوضون ويتحدثون في قدوم طوسون باشا من جدة لاتمام الصلح بينه وبين والده وفي وصول حضرة مولانا الشريف اليه للسلام عليه والذهاب به الى والده لاتمام الصلح بينهما ولم يخطر على قلب أحد شئ مما حصل ثم ان طوسون

باشا كتب ورقة صغيرة وارسلها الى والده يخبره بما فعل وينتظر بقية التدبير منه وكان الشيخ أحمد تركي عند محمد علي باشا حين مجئ الورقة اليه فتشاور معه فيما يفعلونه بعد ذلك فقال له الشيخ أحمد تركي ان الشريف غالبا له أولاد ثلاثة كبار فيخشى أن يحدثوا فتنة اذا علموا بالقبض على والدهم والقلاع بايدي عبيدهم وعندهم كثير من العساكر الموظفة وهم تحت طوعهم فلابد من الاحتيال على أولاده حتى نقبض عليهم قبل ان يعلموا بالقبض على والدهم ثم ذهب الشيخ أحمد تركي الى مولانا الشريف غالب فدخل عليه وقبل يده وقال له ان أفندينا يسلم عليكم ويقول لا تهموا ولا يكون لكم فكرة في شئ والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم في أقرب زمن ويكون في مدة غيبتكم أحد أولادكم نائبا عنكم في مكة وقائما مقامكم فاذا طلبتموهم يحضرون عندكم وأخبرتموهم بحقيقة الامر لاجل أن يطمئنوا ولا يحصل لهم تشويش فصدق مقالته وأمر بكتابة ورقة لاولاده ليحضروا عنده وختمها وارسلها اليهم ولم يعلم أحد ممن هو خارج الدار بما هو حاصل باطنها فلما وصلت الورقة لاولاده الثلاثة الكبار حضروا فلما دخلوا دار طوسون باشا ادخلوهم في موضع لائق بهم قبل ان يصلوا لوالدهم ويجتمعوا به وأرسل طوسون باشا لوالده يخبره بذلك فتشاور محمد علي باشا مع الشيخ أحمد تركي فيمن يوجهون له امارة مكة قبل شيوع الخبر عند الناس ليحصل الامن والاطمئنان فصار الاستحسان ان تكون الامارة للشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن أخي الشريف غالب بن مساعد فارسلوا من أحضره فالبسه محمد علي باشا فروا سمورا وشالا ثمينا وأحضر له صندوقا من المال وأركبوه على فرس مزين بالرخت ومشت القواسة بين يديه الى أن أوصلوه الى داره التي تجاه باب الصفا فحينئذ علم الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعزلت الاسواق خوفا من حصول فتنة ولم يقع شئ من تلك الفتنة التي خافوا وقوعها وضربت النوبة عند دار الشريف يحيى وجاءت الاشراف ووجوه الناس للسلام عليه والتهنئة له وسكن اضطراب الناس

هذه الرواية هي الصحيحة وقيل ان أولاده قبل القبض عليهم علموا بالقبض على أبيهم فارادوا احداث فتنة فارسل اليهم محمد علي باشا يقول لهم ان وقع منكم حرب أحرقت البلاد وقتلت استاذكم ثم أرسل اليهم الشريف غالب وكفهم عن ذلك وجاءهم الشيخ أحمد تركي وقال لهم لم يكن هنا بأس وانما والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم النيابة عن أبيه الى حين رجوعه ولم يزل بهم حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى بيت طوسون باشا وجعلوا في موضع غير الموضع الذي فيه والدهم متحفظا عليهم فلما كان الليل أركبوهم مع العسكر وتوجهوا بالجميع الى جدة وقيل كان ارسالهم الى جدة بعد القبض عليهم بثلاثة أيام وبعد القبض على الشريف غالب نهبت العساكر داره التي بجياد وأخذوا منها أموالا كثيرة وأخرجوا أهله منها بصورة شنيعة ثم بعد وصول الشريف غالب وأولاده الى جدة أركبوهم البحر وسيروهم على طريق القصير الى ان وصلوا الى مصر في شهر المحرم في سابع عشرة من سنة تسع وعشرين فضربوا عدة مدافع اعلاما بوصوله واكراما له وقابله كبار رجال محمد علي باشا وقبلوا يده وعظموه وأنزلوه في منزل لائق به وأحضروا له ما يليق به من الاطعمة ولم يأذنوا لاحد من الاشياخ والتجار ان يأتوا للسلام عليه الاّ السيد المحروقي فانه كان رئيس التجار وكان معدودا من رجال محمد علي باشا وكان عندهم بمصر اقامة فرح لزواج اسماعيل باشا ابن محمد علي باشا فاعدوا مكانا على حدته في بيت الشرائبي واحضروا فيه مولانا الشريف غالبا وأولاده ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الصورة التي كانوا عليها بالمنزل الذي أنزلوا فيه أولا وصنعوا في ذلك الفرح أشياء يطول الكلام بذكرها ثم وصل في شهر صفر حريم الشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه فسكنها ومعه أولاده وعليهم الحرس المحافظون وتجري عليهم النفقات اللائقة بهم وفصل لهم كساوى من مقصبات

وقشمير وتفاصيل هندية وفي التاسع عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة حضر الى مصر الشريف عبد الله بن سرور أرسله الباشا محمد علي منفيا من أرض الحجاز لاختلاف وقع بينه وبين أخيه الشريف يحيى قيل انه اذا جاء عند أخيه يتهاون به ويتعاظم عليه لكونه أكبر منه سنا ويخاطبه بغلظة وبكلمات فيها احتقار له فشكاه أخوه الشريف يحيى لمحمد علي باشا فقبض عليه ونفاه الى مصر فانزلوه في منزل و لم يجتمع بعمه الشريف غالب ثم اجتمع به وفي الحادي عشر من شهر رجب هرب الشريف عبد الله بن سرور في وقت الفجر و لم يشعروا به الاّ بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بيك الخبر تكدر لذلك وأرسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان في الجهات فظفروا به بعد ثلاثة أيام فمن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الدخول والخروج بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيته الذي هو فيه ويذهب الى بيت عمه ويعود وحده فبعد هذا الهرب منعوه من الخروج وضيقوا عليه وعلى عمه أيضا وفي التاسع عشر من شعبان أنزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وأعطوه خمسمائة كيس بدلا عما انتهب من أمواله بمكة بعد القبض عليه وكانت تلك الاموال كثيرة أكثر من خمسمائة كيس التي أعطوه اياها وزودوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشرابات وغير ذلك ليتوجه الى سلانيك حسبما صدر الامر بذلك من السلطنة السنية وفي شهر ذي القعدة جاءت مكاتيب من محمد علي باشا بارجاع الشريف عبد الله بن سرور الى الحجاز وكان ذلك بشفاعة أخيه الشريف يحيى فيه فوجهوه بعد ان أعطوه أكياسا فقضى أشغاله وخرج مسافرا ورجع الى الحجاز وأما مولانا الشريف غالب فأقام بسلانيك الى ان توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى وكانت مدة امارته على مكة نحوا من سبع وعشرين سنة ولنرجع الى ذكر اتمام الكلام السابق فنقول قد تقدم ان الشيخ أحمد تركي كان يشاوره محمد علي باشا عند القبض على الشريف غالب وأولاده وسبب ذلك ان الشيخ أحمد تركي كان رجلا مطوفا وله دراية باحوال الحجاز وكان ذا عقل ومعرفة وكان أوّلا

من خدم الشريف غالب المختصين به وكان يعتمد عليه في مهمات أموره وكان يبعثه الى دار السلطنة في المدة السابقة عند الاحتياج الى قضاء أشغاله فلما قدم محمد علي باشا الى الحجاز جعله ملازما له فوجده محمد علي باشا ذا خبرة ودراية بالامور فأحبه وقرّبه وصار يستشيره في كثير من الامور ويعتمد على قوله ويعمل بما يشير به فيحصل النجاح بتدبيره ولما أراد الرجوع الى مصر أقام حسن باشا بمكة قائما مقامه وأمره ان يستشير الشيخ أحمد تركي في مهماته وان يعتمد على ما يقوله له فكان الامر على ذلك فكان الحل والعقد بيد الشيخ أحمد تركي وله أخبار وحكايات مشهورة بين الناس تشهد بعقله ودرايته بحسن السياسة وبقى الى ان توفي سنة خمس وثلاثين وصار له صيت وشهرة بين الناس وتقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى امارة مكة وهو ابن أخي مولانا الشريف غالب لانه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي وكانت ولايته في أواخر شهر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف بعد القبض على عمه مولانا الشريف غالب ولما ولاه محمد علي باشا امارة مكة رتب له المرتبات الكثيرة من الدراهم والذخائر الاّ ان محمد علي باشا كان يعتمد في تدبير أمور الاشراف والعرب على الشريف شنبر بن مبارك المنعمي وكان ذلك بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان بينه وبين الشريف شنبر المذكور محبة وصداقة فقربه وجعل تدبير أمور العرب بمعرفته وكان الشريف شنبر مشهورا بالعقل والديانة وحسن التدبير فصارت تلك الامور كلها بيده وكان ذلك سبب وقوع العداوة بينه وبين الشريف يحيى بن سرور الى أن قتله كما سيأتي وفي شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين جهز محمد علي باشا ابنه طوسون باشا وعابدين بيك بعساكر كثيرة ووجههم الى ناحية تربة وكان القائم بامارة تربة امرأة يقال لها غالية مشهورة بالشجاعة في القتال واجتمع عندها كثير من أمراء الوهابية وجنودهم فوقع بينهم وبين العساكر المتوجهة اليهم مع طوسون باشا قتال شديد ثمانية أيام ثم رجع العسكر

منهزمين و لم يظفروا بطائل لان العربان لما وقع القبض على الشريف غالب نفرت طباعهم من محمد علي باشا وهاجر كثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا في النواحي ومنهم الشريف راجح بن عمرو الشنبري وكان مشهورا بالشجاعة فأتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد وقلت الجمال عند محمد علي باشا وصار يشتريها من العربان المسالمين له بأغلى الاثمان ووقع غلاء شديد بمكة واحتكر الباشا الغلال الواصلة له من مصر لاحتياج العساكر وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة توفي سعود أمير الوهابية بالدرعية دار ملكه وتولى مكانه ابنه عبد الله وفي شهر ربيع الثاني أرسل محمد علي باشا عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة برا وبحرا فاستولوا عليها وهرب من كان بها من الوهابية من قبائل عسير فلم يجدوا بها غير أهلها وكان كبير العساكر المذكورة محمود بيك فقتلوا من وجدوه بها وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى الباشا فأرسلها الى مصر ثم منها الى اسلامبول فلما سمع قبائل عسير بذلك تجمع كثير منهم وكان كبيرهم يسمى طامي أبا نقطة وساروا الى القنفذة بعد مضي ثمانية أيام من دخول العساكر فيها وحاصروا العساكر وأحاطوا بالقنفذة ومنعوا العساكر من الماء فركبت العساكر وحاربوهم فانهزم العساكر وقتل كثير منهم وركب الباقون في سفينة فغضب الباشا فارسل نجدة فحاربهم العرب فرجع العسكر أيضا منهزمين وفي شهر جمادي الثانية توجه محمد علي باشا بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية وأبقى حسنا باشا بمكة وما زالت العساكر تأتيه من مصر متوالية دفعة بعد دفعة وكذا الذخائر وخزائن الاموال وورد الى جدة في هذه السنة أموال كثيرة للتجار حتى بلغ قدر العشور التي أخذها الباشا أربعة وعشرين لكا فصار محمد علي باشا يرغب الناس ببذل الاموال وصالح الشريف راجحا الشنبري وكثيرا من الاشراف ومشايخ العربان الذين كانوا فارين منه قيل انه أعطى الشريف راجحا مائتي كيس ورتب له مرتبات كثيرة فصار من جملة جنوده ثم توجه الباشا من الطائف الى كلاخ ورتب

كثيرا من العساكر ووجههم الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون باشا الى المدينة المنورة ثم رجع الى مكة وجعل عابدين بيك مع العساكر ثم أرسل اليه أيضا حسن باشا وبقي محمد علي باشا بمكة الى ان حج سنة تسع وعشرين وبعد الحج توجه الى العساكر التي بالطائف وما فوقه في افتتاح سنة ثلاثين وسار بهم بنفسه ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر فيها له عليهم فملك تربة ورنية وبيشة وتوجه الى بلاد عسير وكان معه كثير من الاشراف من أعظمهم الشريف محمد بن عون والشريف راجح الشنبري وكان يستشيرهما في كثير من الامور ويعمل بتدبيرهما فوصل الى بلاد عسير بعد ان ملك ما قبلها ثم ملكها وقتل في محارباته كلها كثير من العرب وقبض على طامي كبير عسير وكان ذلك بتدبير الشريف راجح لم يزل ينصب الحبائل لطامي حتى قبض عليه فوضعه الباشا في الحديد ثم أرسله الى مكة ثم منها الى مصر ثم الى دار السلطنة فقتلوه بها قيل ان الشريف راجحا جعل مالا جزيلا لابن أخي طامي وطلب منه القبض على عمه فصنع له وليمة فأتاه آمنا فقبض عليه وأرسله الى الشريف راجح فسلمه للباشا ولما دخلوا به مصر أركبوه على هجين وفي رقبته الجنزير مربوطا في عنق الهجين وكان رجلا شهما عظيم اللحية وهو لابس عباءة ويقرأ القرآن وهو راكب لانه كان حافظا للقرآن وعملوا لدخوله شنكا وضربوا مدافع ثم أرسلوه الى دار السلطنة فطافوا به في البلاد ثم قتلوه ولم يزل محمد علي باشا يجول في بلاد العرب ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامراء في كل موضع يستولي عليه الى شهر جمادي الاولى من السنة المذكورة أعني سنة ثلاثين ثم رجع الى مكة ورتب بها مرتبات ومعاشات لكثير من الاشراف وغيرهم وهي باقية الى الآن لاولادهم وجدد ترتيب دفاتر الجراية المرتبة لاهالي مكة وكانت انقطعت في مدة الوهابية ووجد محمد علي باشا ترتيب تلك الدفاتر غير واقع موقعه لان كثيرا من الناس التجار والاغنياء استولوا عليها بالفراغات وصار كل واحد بيده نحو مائة اردب والناس الفقراء ليس لهم شئ فابطل ذلك كله ورتبها ترتيبا جديدا وهي باقية

الى الآن ثم توجه الى مصر وأقام بمكة حسن باشا الارنؤطي قبل توجهه الى مصر ووصل اليها في النصف من رجب وأبقى ابنه طوسون باشا مع العساكر بالحجاز وفي شهر شعبان انعقد صلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود على ترك الحروب والقتال وانه يذعن بالطاعة وتحتقن الدماء وأرسل نحو العشرين من الوهابية لطوسون باشا لعقد الصلح فارسل منهم الى مصر لمحمد علي باشا فلم يعجبه هذا الصلح و لم يرتض به و لم يحسن نزل الواصلين اليه واجتمع به اثنان منهم فخاطبهما وعاتبهما على المخالفة فاعتذرا بأن الامير سعودا المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك واقامة الدين وأما ابنه الامير عبد الله فانه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة جده عبد العزيز فانه كان مسالما للدولة حتى ان الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة و لم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شئ و لم يحصل التفاقم والخلاف الاّ في أيام الامير سعود ومعظم الامر للشريف غالب بخلاف الامير عبد الله فانه أحسن السيرة وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من العبارات والكلمات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذي أمرا بالنزول فيه ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما في الركوب والذهاب والاياب فانه أطلق لهما الاذن الى أيّ محل أرادا فكانا يركبان ويمران في الشوارع باتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا في الجامع الازهر في وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس ومكثا بمصر أياما ورجعا الى الحجاز واستمر طوسون باشا في الحجاز الى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ثم رجع الى مصر بأمر من أبيه فكان وصوله الى مصر في شهر ذي الحجة وضربوا لقدومه المدافع وزينت مصر وكان قد ولد له مولود في مدة غيبته سموه عباسا وهو الذي تولى مصر لما كبر بعد عمه ابراهيم باشا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وتوفي طوسون باشا سنة احدى وثلاثين بطاعون وقع بمصر تلك السنة وعمره نحو عشرين سنة وبقى أمر محمد علي باشا نافذا بالحجاز

وعساكره في كل ناحية ونائبه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ أحمد تركي والشريف شنبر المنعمي ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر الى الحجاز ثم أرسل محمد علي باشا ابنه ابراهيم باشا الى الحجاز في المحرم من سنة اثنتين وثلاثين لاستكمال محاربة الوهابية وللاستيلاء على الدرعية وهي دار الملك لعبد الله بن سعود واسلافه فتوجه ابراهيم باشا ومعه عساكر كثيرة زيادة على ما أرسل قبل ذلك من العساكر وأصحبه من صناديق الاموال ما لا يدخل تحت الحصر ولم يزل سائرا حتى وصل الى مكة ثم توجه بالعرضي الى الدرعية ويملك كل أرض وصل اليها بلا معارض ومعه كثير من العرب الذين دخلوا في الطاعة الى ان وصل الى محل يقال له الموتان في شهر جمادي الاولى من السنة المذكورة فوقع بينه وبين الوهابية قتال شديد وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياما ومدفعين ولما وصلت البشائر الى مكة ضربوا لذلك مدافع وكذا فعلوا في مصر لما جاءهم البشائر ثم قصد ابراهيم باشا قرية تسمى الشقراء كان بها عبد الله بن سعود فلما سمع بقرب ابراهيم باشا منه خرج هاربا الى الدرعية ليلا فجاء ابراهيم باشا الشقراء وملكها وكان بينها وبين الدرعية يومان ثم تقدم الى ان حاصر الدرعية بعساكره ومن كان معه من العرب واتفق في مدة الحصار ان ابراهيم باشا غاب مدة في جهة من نواحي الدرعية لامر يبتغيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيبته وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر جملة وافرة وأحرقوا الجبخانة فلما وصلت الاخبار الى مصر بذلك قوى اهتمام محمد علي باشا وأرسل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برا وبحرا يتلو بعضهم بعضا وأصحبهم كثيرا من الجبخانة والدراهم والذخائر ولم يزل ابراهيم باشا يغير على أطرافهم ويشدد الحصار عليهم ولما وصلت العساكر المرسلة ازدادت قوته وقوى عزمه ووقع له معهم وقائع الى ان استولى على الدرعية وملكها في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف وجاءت البشائر الى مكة فضربت المدافع ولما وصلت البشائر الى مصر فرح محمد علي باشا لذلك وصار له

سرور عظيم وضرب لذلك نحو ألف مدفع وصنعوا لذلك شنكا وزينه قيل ان عدد المدافع التي ضربت في أيام الزينة بلغت ثمانين ألف مدفع وكان محمد علي باشا قبل ذلك مهتما بأمر ابراهيم باشا وكان يوالي ويتابع له ارسال الذخائر والاموال من الذهب والفضة بالاحمال حتى انهم في مرة من المرات حملوا ذخيرة على جمال العرب خاصة من ينبع الى المدينة بلغت أجرة تلك الجمال في تلك المرة خمسة وأربعين ألف ريال عن أجرة كل بعير ستة ريالات يدفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول ذلك ثم صرفوا على تلك الدفعة بعينها من المدينة الى الدرعية ما يبلغ مائة وأربعين ألف ريال وكان مثل ذلك مستمر التكرار والبعوث ويحتاج الى كنوز قارون وهامان واكسير جابر بن حيان واذا نظرت الى هذا والى ما أنفقه محمد علي باشا من ابتداء التجهيز الى الحجاز الى آخره تعلم ان ذلك شئ لا يعد ولا يحصى ولا يمكن فيه الاستقصا ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية قبض على عبد الله بن سعود أمير الدرعية وعلى كثير من قرابته وعشيرته وأولاده وأعوانه وأخرب الدرعية بحيث صارت لا تسكن فاستبدل من بقى من أهلها سكنى الرياض وجعلوها بدلا عنها وتركوها خرابا ثم ان ابراهيم باشا أرسل عبد الله بن سعود وكثيرا ممن قبض عليهم من عشيرته الى مصر فكان ورود عبد الله بن سعود الى مصر في أوائل المحرم افتتاح سنة أربع وثلاثين وأدخلوه مصر وهو راكب على هجين وأمامه كثير من العساكر وخرج الناس أفواجا للتفرج ركبانا ومشاة رجالا ونساء وأطفالا وكان يوما مشهودا لا يكاد يوصف ما وقع فيه من نصب الملاعب وشدة الازدحام وضربوا عند دخوله مدافع كثيرة وذهبوا به الى بيت اسماعيل باشا ابن محمد علي باشا ببولاق فاقام يومه ثم ذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرى فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى فقال الباشا أنا ان شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال

المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت اسماعيل باشا ببولاق وكان صحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان وفتحه فوجد فيه ثلاثة مصاحف قرآنا مكللة ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرذ كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند أبي فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف غالب أشياء من ذلك وفي التاسع عشر من محرم من السنة المذكورة سافر عبد الله بن سعود الى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من العسكر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه وفي هذه السنة أرسل محمد علي باشا خليلا باشا ابن أخته بعساكر الى الحجاز فتوجه الى اليمن واستولى عليه صلحا ثم صار محافظا لمكة بدل حسن باشا وتوجه حسن باشا الى مصر ولما وصل عبد الله بن سعود الى دار السلطنة طافوا به البلدة ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا كثيرا من أتباعه في نواح متفرقة وفي شهر رجب من السنة المذكورة وصل كثير من الوهابية الى مصر أرسلهم ابراهيم باشا بحريمهم وأولادهم نحو الاربعمائة ومعهم أيضا أولاد عبد الله بن سعود وكثير من عشيرته وأقاربه فاسكنوا بالقشلة التي بالازبكية وأولاد عبد الله بن سعود وخواصه بدار عند جامع مسكة وطفقوا يذهبون ويجيئون من غير حرج عليهم وكانوا يترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات وبعد ان حج ابراهيم باشا سنة أربع وثلاثين توجه الى مصر فوصل حريمه اليها في أواخر ذي الحجة من السنة المذكورة ووصل هو في الحادي والعشرين من شهر صفر سنة خمس وثلاثين ونودي بالزينة سبعة أيام وضربت المدافع عند قدومه ودخل في موكب حافل وفي أوائل رجب من سنة خمس وثلاثين توفي خليل باشا بالحجاز فخلع محمد علي باشا على أخيه أحمد بيك وقلده منصب أخيه بالحجاز عوضا عنه ثم

صيره باشا بعد ذلك وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجاز فانه تولى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة أربع وأربعين وأعيد سنة ثمان وأربعين ومكث الى سنة ست وخمسين وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وفي سنة ست وثلاثين قبض حسين بيك على كثير من كبار الوهابية وأرسلهم الى مصر وسبب ذلك انهم كانوا هربوا من ابراهيم باشا حين أخذ الدرعية فلما ارتحل ابراهيم باشا وعساكره من الدرعية رجعوا اليها وكان منهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه وتركي[١] بن عبد الله بن أخي عبد العزيز وولد عم سعود ومشاري بن سعود لكن مشاري كان ممن قبض عليه ابراهيم باشا وهرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر وكان هربه في الحمراء وهي قرية قريبة من الصفراء وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فرّ حين قدمت العساكر مع ابراهيم باشا وأخذوا في تعمير الدرعية ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشاريا ودعا الناس الى طاعته فأجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ محمد علي باشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك فأوثقوا مشاريا وأرسلوه الى مصر فمات في الطريق وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بيك وحاصرهم وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة فطلبوا الامان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فاعطاهم الامان على أنفسهم فخرجوا له الاّ تركيا فانه خرج من القلعة ليلا وهرب ثم صار له ملك بالرياض بعد سنين ثم ثار عليه رجل من آل سعود يقال له مشاري[٢] فقتله وكان لتركي ولد يقال له فيصل كان وقت مقتل أبيه في الغزو فلما بلغه مقتل أبيه جاء بمن معه من رجال الغزو فقتل مشاريا الذي قتل أباه واستقل فيصل بالملك وسيأتي ان شاء الله تمام الكلام عليه وأما حسين بيك

---

(١) تركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز قُتل بيد مشاري سنة ١٢٣٦ هـ. [١٨٢٠ م.] في الرياض

(٢) مشاري من آل سعود قُتل بيد فيصل بن تركي سنة ١٢٣٦ هـ. [١٨٢٠]

فانه قيد الجماعة وأرسلهم الى مصر فصاروا مع جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت وفي هذه السنة جهز محمد علي باشا عساكر كثيرة الى السودان مع ابنه اسماعيل باشا فاستولى على سنار ومواضع من السودان ثم قتل فتابع محمد علي باشا ارسال العساكر على السودان حتى استولى على كثير منها وقد تقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى بن سرور بن مساعد امارة مكة سنة ثمان وعشرين في أواخر ذي القعدة بعد القبض على مولانا الشريف غالب وكانت مباشرة أحكام الاشراف والعرب عند محمد علي باشا وممن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر وكانوا يستعينون بالشريف شنبر بن مبارك المنعمي بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان صديقا للشريف شنبر فقربه وأدناه وتوفي الشيخ أحمد تركي سنة خمس وثلاثين كما تقدم وبقي الشريف شنبر مقربا عند أحمد باشا يفوض اليه أكثر أحكام الاشراف والعرب وما يتعلق بهم فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى والشريف شنبر وحصل بينهما معارضات ومنافسات في قضايا كثيرة واستمر الحال الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف والناس يوشون بينهما ويوقعون الفتن بنقل كثير من الكلام الذي يحصل منه تكدير النفوس فعزم الشريف يحيى وصمم على قتل الشريف شنبر فجاءه الشريف يحيى وهو في المسجد عند باب الصفا بعد صلاة المغرب فقتله بيده بالسلاح ليلة الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف فارتج المسجد والبلاد وعزلت الاسواق وفزع الناس فزعا شديدا وكانت ليلة مهولة فأحضر أحمد باشا العساكر وصب الرصاص وأحضر آلات الحرب وترس الشريف يحيى في داره التي عند باب الوداع وأراد أحمد باشا القبض عليه فلم يتمكن له ذلك وأدار المدافع التي في قلعة جياد على الشريف يحيى لقربها منه وهدده بان يضرب بها داره وتردد الشيخ محمد الشيبي فاتح بيت الله الحرام بينهما الى أن تم الامر على أن الشريف يحيى يتوجه الى مصر من طريق البر وأقر واعترف بانه هو الذي قتل الشريف شنبرا بيده حتى انه قيل له انكر قتله وأسنده الى بعض العبيد فأبى وقال بل

قتلته بيدي ولا أنكر ذلك ثم لما أصبح الصباح أخذ في التجهز للسفر وركب بعد الظهر على ركائبه ومعه بعض أتباعه وعبيده وتوجه على طريق الوادي فأدركه دخول شهر رمضان وهو ببدر فصام رمضان ببدر ونكص عن التوجه الى مصر وجاءه مشايخ حرب ووعدوه بالاعانة والنصرة له وانهم يقومون معه حتى يرجعوه الى دار ملكه فاغتر بقولهم ومكث في بدر الى تمام السنة ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين أخذ في الشروع في جمع القبائل ليرجع الى مكة وكان أحمد باشا بعد مقتل الشريف شنبر أنهى الامر الى محمد علي باشا والتمس منه ان تكون امارة مكة للشريف عبد المطلب بن الشريف غالب وكان الشريف عبد المطلب وأخواه الشريف علي والشريف يحيى حين صار القبض على أبيهم صغارا فكبروا وصاروا في هذا الوقت رجالا وكان الشريف عبد المطلب أكبرهم فاستحسن أحمد باشا ان تكون الامارة للمذكور وعرض ذلك لمحمد علي باشا فأبطأ عليه الجواب الى تمام سنة اثنتين وأربعين فلما بلغه ان الشريف يحيى يجمع قبائل حرب ويريد المجئ للقتال استحسن أن يعجل بتولية الشريف عبد المطلب ليجمع جموعا يقابل بها الشريف يحيى اذا جاء للقتال فعقد مجمعا في ديوان الحكومة وأحضر العلماء وكبار الاشراف ووجوه الناس وأبرز صورة فرمان بولاية الشريف عبد المطلب ونودي له في البلاد وضربت المدافع وضربت النوبة عند داره وجلس للناس فجاؤه للسلام عليه والتهنئة له وكتب للقبائل وشرع في جمعها ليقاتل بها الشريف يحيى بن سرور وفي أثناء ذلك جاءت الاخبار من مصر في شهر صفر بان محمد علي باشا استحسن ان تكون امارة مكة للشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي وأنه أرسل يطلب له الفرمان السلطاني[١] من مولانا السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الاول وكان الشريف محمد بن عون اذ ذاك بمصر نزيلا عند محمد علي باشا في عز واكرام لانه لما كان محمد علي باشا بالحجاز

---

(١) السلطان محمود الثاني توفي سنة ١٢٥٥ هـ. [١٨٣٩ م.] في استنبول

كان قد أقام الشريف محمد المذكور أميرا على تربة ثم أقامه أميرا على قبائل عسير ومن يتبعهم من القبائل والقرى ثم بعد سنين من امارته فيهم وقع بينه وبينهم اختلاف فخرج عنهم وكتب الى مصر لمحمد علي باشا يطلب منه تجهيز عساكر لمحاربة قبائل عسير فأرسل محمد علي باشا عساكر كثيرة من العساكر النظامية وكان ذلك في ابتداء حدوث العساكر النظامية فتوجه الشريف محمد بتلك العساكر لمحاربة عسير سنة تسع وثلاثين فوقع انهزام لتلك العساكر وقتل في ذلك القتال الشريف راجح بن عمرو الشنبري فرجع الشريف محمد بن عون الى مصر وبقى بها الى افتتاح سنة ثلاث وأربعين نزيلا عند محمد علي باشا في عز واكرام فلما وقع قتل الشريف يحيى للشريف شنبر المنعمي استحسن محمد علي باشا ولاية الشريف محمد بن عون لما يعلم فيه من الشجاعة والكفاية واللياقة لامارة مكة فجعل الامر مكتوما وأرسل يطلب الفرمان من مولانا السطان محمود فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد بن عون بعد ان ولى أحمد باشا الشريف عبد المطلب حسبما تقدم ذكره وقع الاختلاف والتنافر بين أحمد باشا والشريف عبد المطلب وكان أحمد باشا بالطائف وكذا الشريف عبد المطلب أيضا كان بالطائف يجمع القبائل لمحاربة الشريف يحيى بن سرور فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد وقع الاختلاف بين الشريف عبد المطلب وأحمد باشا وأراد أحمد باشا التوجه الى مكة ثم بلغه ان الطرق كلها مقعود فيها وان الشريف مرزوق بن عبد العزيز الحرث أمير المضيق وهذيل الشام جمع قبائل وجلس بها في الربعان ليمنع أحمد باشا من العبور وشاع انه فعل ذلك باشارة من الشريف عبد المطلب فأخذ أحمد باشا وجها من الشريف علي بن غالب وطلب منه ان يسير معه الى أن يوصله الى مكة ففعل الشريف علي ذلك ولما وصلوا قريبا من الربعان تحققوا ان الشريف مرزوقا الحرث في الربعان ومعه القبائل كما شاع فتقدم الشريف علي وارسل اليهم يقول ان أحمد باشا في وجهه ومنعهم ان يتعرضوا له بشئ فامتنعوا مما كانوا أرادوا ان يفعلوه وبعد ان وصل أحمد باشا الى مكة رجع

الشريف علي بن غالب الى أخيه الشريف عبد المطلب ثم عزم الشريف عبد المطلب على محاربة أحمد باشا واخراج العساكر المصرية قبل قدوم الشريف محمد بن عون فضم الى القبائل التي كانت اجتمعت عنده قبائل غيرهم وتوجه بها الى مكة فوقع بينه وبين أحمد باشا وقائع متعددة يطول الكلام بذكرها وقتل فيها كثير من العرب وكثير من عساكر أحمد باشا وكان تلك الوقائع بعضها في عرفة وبعضها في العابدية وبعضها في الحسينية وبعضها في منى واستمر الحال الى شهر جمادي الاولى من السنة المذكورة وكان آخر الوقائع في جمادي الاولى تقوى فيها الشريف عبد المطلب وكثرت القبائل معه ودام الحرب ثلاثة أيام وأيس أحمد باشا من النصر وطلع القلعة بأهله وحريمه وانحصر العسكر بعضهم في القلعة وبعضهم في البياضية وبعضهم في بيت بنت جعفر الذي عند القبور وأحاطت القبائل بجبال مكة وطرقاتها ونزل بعضهم من الجبال وعقر بعض الخيل التي كانت مربوطة في اصطبل خيل أحمد باشا الذي في جياد وضربت العساكر من القلعتين بالمدافع المشحونة بالقلل على القبائل التي في الجبال كل ذلك كان يوم السادس والسابع والثامن من جمادي الاولى وخاف كثير من الناس الذين بمكة ان يقع النهب من القبائل اذا دخلوا مكة فادخلوا أموالهم في المخابئ تحت الارض وبنى بعض الناس متارس في بيوتهم وأحضروا البنادق والبارود والرصاص ليحموا أنفسهم ودورهم من نهب العرب اذا دخلوا مكة قيل ان عدد القبائل كان تسعة آلاف وشاع ان الشريف عبد المطلب تكاتب مع الشريف يحيى بن سرور وعقد صلحا معه واتفقا على أن تكون كلمتهما واحدة وان الشريف يحيى يأتي من طريق الوادي ومعه ثلاثة آلاف من قبائل حرب وغيرها وانه يدخل من أسفل مكة والشريف عبد المطلب من أعلاها وان دخولهما يكون في صبح التاسع من جمادي الاولى ووقعت أراجيف كثيرة فبات الناس بمكة في تلك الليلة في كرب شديد فلما أصبح صبح ذلك اليوم جاء الخبر بان الشريف محمد بن عون وصل الهجالية وفي أثر ورود الخبر دخل مكة بنفسه بعد الاشراق ومعه سبعة خيالة من

أتباعه وذلك انه وصل الى جدة يوم الثامن فاخبروه ان الحرب على مكة فحين نزوله من البحر ركب وتوجه الى مكة فلما وصل بعد الاشراق جلس أولا في بيت أحمد باشا الذي عند باب علي وكان ديوانا للحكومة وطلب حضور أحمد باشا ونزوله من القلعة فنزل وجلس معه قليلا ثم ركب هو والسبعة الذين جاؤا معه وتوجه الى الابطح موضع شدة الحرب وأمر باخراج العساكر المحصورة في البياضية وبيت بنت جعفر وصار يرتبهم للحرب وكان الشريف عبد المطلب عند المفجر وقد أحضر الخيول الجنائب وصار يرتب الموكب الذي يريد دخول مكة به والحرب قائم والقلعتان يرمى منهما بالمدافع المشحونة بالقلل على قبائل العرب التي انتشرت في الجبال ولما طلع الشريف محمد بن عون الى الابطح ومعه السبعة الخيالة الذين جاؤا معه صار كثير من الناس يسخرون به ويقولون أين يذهب بهؤلاء السبعة الى هذه الجنود المجندة فبينما الامر كذلك اذ جاء للشريف عبد المطلب رجل من جنوده من شيوخ ثقيف يقال له مساعد الوحشي وكلمه سرا وقال له ان الشريف محمد بن عون قد وصل وان القبائل قد بادرت وطلبت منه الامان والحال انه لم يقع ذلك من أحد منهم وانما هذا شئ أراده الله وأنطقه به فصدق الشريف عبد المطلب مقالته وركب وتوجه الى الطائف من طريق كرى وترك القبائل والقتال وركب معه بعض خواصه وأتباعه فلما علمت القبائل ذلك أمسكوا عن القتال وأرسلوا للشريف محمد بن عون يطلبون منه الامان فأمنهم وأرسل الى أهل القلعتين وأمرهم بالكف عن رمي المدافع بالقلل ونصب له صيوان بالابطح وجلس فيه فجاءه شيوخ القبائل مع قبائلهم وعرضوا عليه فكساهم الجوخ والشيلان وأعطاهم الجوائز ثم ركب ورجع الى مكة والقبائل يعرضون بين يديه وكان رجوعه قبيل الظهر ونزل في دار الشريف يحيى ابن سرور التي عند باب الوداع وضربت له المدافع وضربت النوبة عند باب داره وجاء الناس أفواجا للسلام عليه والتهنئة وأمنت البلاد واطمأنت العباد وعاد الخوف أمنا وسرورا وكانت تلك الفتنة لم تكن في لمح البصر وكان الشريف يحيى بن سرور قد

أقبل بقبائل من الحربية على الامر الذي اتفق مع الشريف عبد المطلب عليه فلما كان بالوادي تحقق عنده قدوم الشريف محمد بن عون في آخر النهار الذي وصل فيه الشريف محمد بن عون الى جدة فقيل له لو تقدمت بالقبائل التي معك الى طريق جدة لمنعته العبور الى مكة فامتنع وقال حيثما وصل الشريف محمد بن عون فالامارة له ولا أتعرض له ولا أمنعه العبور الى مكة ثم لما تحقق عنده هزيمة الشريف عبد المطلب وانه توجه الى الطائف فرق تلك القبائل واستحسن التوجه الى الطائف ليكاتب الشريف محمدا هو والشريف عبد المطلب وينعقد الصلح معه للجميع فلما وصل الى الطائف جاءهم المكاتيب من الشريف محمد بن عون بالتأمين والاستعطاف وانه يترجي عند محمد علي باشا في العفو عن الجميع وانه يرتب لكل منهما الترتيب اللائق وان تكون اقامتهما حيثما أرادا اما بالطائف أو بمكة أو المدينة المنورة فاستحسن الشريف يحيى انعقاد الصلح وامتنع الشريف عبد المطلب من قبول ذلك وقال ليس بيننا وبينه الاّ الحرب وحصن الطائف وتحصن به وأمر أهل الطائف بحمل السلاح وأن يقوموا معه فلم يقدروا على الامتناع وبعث أخاه الشريف عليا الى الحجاز ليجمع له قبائل بني سعد وناصرة وأهل بجيلة وغامد وزهران وأظهر كل الجد والاجتهاد في ذلك ولم يتمكن الشريف يحيى بن سرور من مخالفته لقلة من معه بالنسبة اليه فبقى معه بالطائف ومعه ولداه الشريف منصور والشريف حسن وبعض أولاد أخيه الشريف عبد الله بن سرور ومعهم أيضا الشريف عبد الله بن فهيد بن عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد وكان من كبار الاشراف ذوي زيد ومعهم أيضا السيد محمد بن محسن العطاس شيخ السادة العلوية وقبض الشريف عبد المطلب على بعض الاشراف العبادلة الذين كانوا بالطائف منهم الشريف زيد بن سليم بن عبد الله الفعر ووضعه في الحديد وحبسه في القلعة مع من قبض عليهم معه فلما جاءت هذه الاخبار للشريف محمد بن عون تجهز للمسير الى الطائف لقتاله وجاءته عساكر كثيرة من مصر من الخيالة والعساكر النظامية وعليها أمير اللواء سليم بيك فلما

استكمل وصول العساكر والذخائر وخزائن الاموال في صناديق كثيرة وسحاحير كثيرة فيها الجوخ والشيلان والفراوى السمور والقماقم وكان استكمال وصول الجميع في شهر جمادي الثانية من السنة المذكورة توجه بها ومعه أمير اللواء سليم بيك وساروا الى أن وصلوا الطائف وجاء كثير من قبائل هذيل وثقيف وغيرهما ليكونوا معهم فاكرمهم الشريف محمد بن عون بالكساوى والجوائز والضيافات فانزلوا العرضي بالعقيق وهو قريب من الطائف بحيث تصل المدافع منه الى الطائف وأرسلوا للشريف عبد المطلب يعرضون عليه الامان فامتنع وكان عنده بالطائف بعض الطبجية في قلعة الطائف فامرهم بالرمي بالمدافع المشحونة بالقلل على العرضي فلم يقدروا على مخالفته ففعلوا ذلك وثار الحرب بين الفريقين ورمت المدافع أيضا من العرضي على الطائف وكان عنده بالطائف بعض قبائل بني سفيان وهذيل أهل الشفاء من الطلحات وآل خالد فتسللوا وهربوا الى ان وصلوا الى العرضي وأخذوا الامان لهم ولقبائلهم وصاروا مع الشريف محمد بن عون ولم يبق معه بالطائف الاّ أهل الطائف وهو يأمرهم بحمل السلاح والقتال ولم يترك أحدا منهم حتى الشيخ عثمان القارئ حمل البندقية ولبس السلاح وكان من العلماء وكان من أصدقاء الشريف محمد بن عون فامتثل أمر الشريف عبد المطلب فكان مع أهل الطائف في جميع ما يأمرهم به الشريف عبد المطلب وكانوا مفرقين في الطائف وعند السور والابراج ليلا ونهارا وأصابهم في ذلك غاية الجهد والعناء والشريف عبد المطلب يعدهم بحضور القبائل الذين ذهب أخوه الشريف علي يجمعهم من الحجاز فمضت الايام والليالي ولم يحضر أحد منهم وكان للشريف محمد بن عون بيت بالطائف له فيه عيال من حين توجهه الى مصر سنة تسع وثلاثين وكان له معهم ابنه الشريف عبد الله وعمره اذ ذاك نحو ست سنين وذلك البيت الذي كانوا فيه في حارة وسط وهو المعروف ببيت محمد علي طيب فوسط الشريف محمد من أتاه بابنه الشريف عبد الله خفية وأخرجوه اليه في العرضي ولم يشعر بذلك الشريف عبد المطلب

واستمر الحرب والرمي بالمدافع نحو اثنين وعشرين يوما وعجز أهل الطائف وقلت أقواهم وناهم غاية المشقة فخرج أناس منهم خفية ووصلوا الى العرضي وأخذوا الامان لانفسهم ولاهل الطائف ووعدوا بانهم بفتحون الابواب لدخول العساكر فلما علم الشريف عبد المطلب بذلك تدارك الامر قبل وقوعه وأرسل وطلب الامان له وللشريف يحيى بن سرور ولكل من كان معهم فاعطاهم الشريف محمد بن عون وسليم بيك ذلك وأطلق الشريف زيد بن سليم الفعر وكل من كان محبوسا معه ثم خرج الشريف عبد المطلب والشريف يحيى بن سرور ومن كان معهما الى العرضي وتقابلوا مع الشريف محمد بن عون وسليم بيك ووقع بين الجميع عهود ومواثيق وتم الصلح ووعدهم الشريف محمد وسليم بيك بانهما يشفعان عند محمد علي باشا في قضاء كل ما يريدون ثم رجعوا الى الطائف وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة فلما كان الليل عزم الشريف عبد المطلب على الهرب والخروج من الطائف فشد بعض ركائبه وبعض خيله وركبها وخرج ومعه أخوه الشريف يحيى بن غالب وبعض أتباعه وكان خروجهم خفية من باب السور الذي عند ضريح ابن عباس رضي الله عنهما لانه لم يكن عنده شئ من حرس العسكر وبعد خروجهم بقليل علم بذلك الشريف يحيى بن سرور فاركب واحدا من أتباعه يقال له ناصر بن رشيد وأرسله للشريف محمد بن عون وسليم بيك يخبرهما بذلك فلما أخبرهما بذلك أمرا بركوب العساكر الخيالة ليسيروا على طريق لية خلف الشريف عبد المطلب ومن معه فساروا الى لية فلم يدركوهم ثم رجعوا الاّ أنهم قبضوا على الشريف يحيى بن غالب لانه عثرت به فرسه وسقط عنها فظفروا به وقبضوا عليه وأتوا به ثم دخل الطائف الشريف محمد بن عون وسليم بيك وحصل الامن والاطمئنان للبلاد والعباد وعرضت القبائل وبعد أيام رجعوا الى مكة ومعهم الشريف يحيى بن سرور والشريف بيحيى بن غالب ومن كان معهم وكتب الشريف محمد بن عون وسليم بيك لمحمد علي باشا بجميع ما صار فلما كان شهر شوال من السنة المذكورة صنع سليم بيك

ضيافة للشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهما وكانت الضيافة في دار سليم بيك التي كان ساكنا بها من حين وصوله مع العسكر من مصر وهي دار السيد محد العطاس التي في الشبيكة عند المحجوب فحضروا للضيافة وبعد تمام الطعام أبرز لهم سليم بيك أمرا جاءه من محمد علي باشا مضمونه انه يطلب حضورهم الى مصر فامتثلوا الامر فقبض عليهم ووجههم الى مصر وهم الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب والشريف عبد الله بن فهيد والشريف حسن بن يحيى وبعض أولاد الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وأما الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور فكان قد توجه الى بلاد عسير حين كانوا بالطائف ولما وصل الى مصر هؤلاء الجماعة الذين قبض عليهم سليم بيك أكرمهم محمد علي باشا وأحسن نزلهم وأجرى عليهم ما يليق بهم من الطعام وغيرهم ثم بعد مضي سنة أذن بالرجوع الى مكة للشريف يحيى بن غالب بطلب من أخته الشريفة مزينة عرضت لمحمد علي باشا تترجى عنده في ارجاع أخيها ليقوم بمصالحهم فقبل رجاءها وأذن له بالرجوع وبقي بمكة الى أن توفي سنة اثنتين وخمسين وكذلك أذن للشريف عبد الله بن فهيد ومحمد بن الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وبقى بمصر الشريف يحيى بن سرور وابنه الشريف حسن واستمر الشريف يحيى بن سرور بمصر الى أن توفي سنة أربع وخمسين فرجع الى مكة ابنه الشريف حسن وكذلك ابنه الشريف حسين بن يحيى وكان صغيرا لانه ولد للشريف يحيى وهو بمصر وتوفي بمصر أيضا سعد ومسعود وسرور ابناء الشريف عبد الله بن سرور وكانوا مع عمهم الشريف يحيى بن سرور وبقى الشريف منصور بن يحيى بن سرور في بلاد عسير الى أن توفي والده بمصر فقدم الى مكة سنة ست وخمسين وأما الشريف عبد المطلب فانه بعد أن توجه من الطائف مر على الحجاز واجتمع باخيه الشريف علي بن غالب وتوجها جميعا ومن كان معهما الى بلاد عسير وكان أمير عسير علي بن مجثل فاكرمهما ومن معهما وأحسن نزل الجميع وأقاموا عنده سنتين

ثم توجهوا الى الشرق ثم الى بغداد وتنقلوا في بلاد كثيرة الى سنة ست وأربعين ثم صار لهم عزم على التوجه الى الشام ليتوصلوا الى دار السلطنة فترقبوا رجوع الحاج الشامي بعد خروجه من المدينة ورافقوه وكان أمير الحاج الشامي في تلك السنة رؤف باشا فصار لهم صحبة معه وبعد وصولهم الى الشام توصلوا الى دار السلطنة فاقاموا بها في عزّ واكرام فلما حصل الاختلاف بين محمد علي باشا ومولانا السلطان محمود سنة سبع وأربعين ثم حصل القتال الذي تملك الشام بعده محمد علي باشا ولى في تلك المدة مولانا السلطان محمود الشريف عبد المطلب امارة مكة و لم يتمكن من ايصاله الى مكة بسبب تلك الفتنة بل كان في كل سنة يبعث الخلعة وفرمان التأييد للشريف محمد بن عون وطالت تلك الفتنة الى أن توفي السلطان محمود سنة خمس وخمسين وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واشترط على محمد علي باشا ارجاع الشام والحجاز لمولانا السلطان فحصلت تلك الشروط فلما صار الحجاز لمولانا السلطان عبد المجيد أبقى مولانا الشريف محمد بن عون على امارة مكة كما كان وصار كل سنة يرسل له الخلعة وفرمان التأييد وولى ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي لعثمان باشا وبقى الشريف عبد المطلب مقيما بدار السلطنة الى سنة سبع وستين وسيأتي اتمام الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ولنرجع الى اتما الكلام على امارة مولانا الشريف محمد بن عون فان ولايته كما تقدم كانت سنة ثلاث وأربعين فاستقامت له الامور وباشر أحكام العرب والاشراف وغيرهم وانتظمت أحكامه على أتم النظام وأقام في مشيخة السادة العلوية السيد اسحاق بن عقيل وكان مجلس مولانا الشريف محمد دائما منتظما بالعلماء والادباء وطلبة العلم وتجري فيه المذاكرات في كثير من الفنون ومدحه كثير من الشعراء بالقصائد فاجازهم عليها بالجوائز السنية وغزا غزوات بناحية الشرق والحجاز وتربة ورنية وبيشة كان له فيها كلها النصر والظفر وكان محافظ مكة أحمد باشا مقاما من محمد علي باشا من سنة خمس وثلاثين كما تقدم ثم عزله محمد علي باشا سنة أربع وأربعين وتوجه الى مصر وولى محافظة مكة

سليم بيك أمير اللواء الذي كان مجيئه أولا مع العساكر التي جاءت مع سيدنا الشريف محمد بن عون فاقام سليم بيك في محافظة مكة نحو شهرين ثم عزله محمد علي باشا وولى عابدين بيك أمير اللواء واستمر الى ان توفي بمكة سنة ست وأربعين بمرض الوباء بالاسهال والقئ وكانت تلك السنة هي أوّل السنين التي حدث فيها ذلك الوباء بمكة و لم يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات لكنه ما جاء في السنين التي بعد هذه السنة مثل هذه السنة فانه كان شديد الكثرة مات فيه خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا احصاؤهم وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة وكان ابتداء وقوعه في التكرر والجبروت فلم يكترث الناس به و لم يترعجوا منه ثم انه في النصف من شهر ذي القعدة أصاب كثيرا من أهل مكة ومن الحجاج من كل صنف و لم يزل يتزايد واشتد أمره في أيام منى حتى صار الموتى مطروحين في الطرقات ونزل الناس من منى والجمال محملة من الاموات واشتد أيضا بمكة بعد النزول من منى وامتلأت الاسواق والطرقات من الاموات وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم فخرج مولانا الشريف محمد بن عون بنفسه راكبا ومعه بعض أتباعه وصار يمر على بعض الطرقات والاسواق ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه من الاكفان وامتلأت القبور من الاموات فحفروا حفائر كثيرة وصاروا يضعون في كل حفرة جملة من الاموات وقاسى الناس من ذلك الوباء هولا شديدا واستمر ذلك الوباء الى عشرين من ذي الحجة ثم ارتفع شيئا فشيئا فكان ممن توفي في منى من ذلك الوباء عابدين بيك محافظ مكة فولى محمد علي باشا بدله أمير اللواء خورشيد بيك ثم صار بعد مدة باشا فكانت ولايته في افتتاح سنة سبع وأربعين ثم في شهر رجب من السنة المذكورة حصل بينه وبين العساكر الخيالة والقرابة من الاتراك فتنة سببها أنهم أغلظوا عليه في طلب جوامكهم و لم يكن عنده ما يقوم بمطلبهم فحاصروا خورشيد بيك المذكور وتخلص ونزل الى جدة ثم سافر الى مصر وأبقى نائبا عنه بمكة اسماعيل بيك كبير العساكر النظامية ومعه شريم بيك أيضا

من كبار العساكر النظامية والفتنة باقية بينهم وبين الاتراك الخيالة والقرابة وكان كبير تلك العساكر تركي بلماز ولهذا صارت هذه الفتنة تعرف بفتنة تركي بلماز وأرسل محمد علي باشا من مصر على أغارزقلي لتسكين تلك الفتنة والاصلاح بين عساكر الترك والعساكر النظامية فلم يتمكن له ذلك بل ازداد الامر شدة لان عساكر الاتراك اشتد خوفهم من محمد علي باشا في احداثهم تلك التفنة فصاروا يقترحون أشياء زادت بها الفتنة وكذلك سيدنا الشريف محمد بن عون أراد تسكين الفتنة والاصلاح بين الفريقين فلم يوافقوه فاعتزل الفريقين وطلع الى الهدا بعد ان حج في تلك السنة ومكث الى أن انقضت تلك الفتنة و لم يحضر الحرب الذي وقع بين الفريقين وذلك انه في شهر المحرم من سنة ثمان وأربعين ثار الحرب بمكة بين الفريقين عساكر الاتراك والعساكر النظامية وتغلبت عساكر الاتراك على العساكر النظامية وحصروهم في البياضية وفي بيت بنت جعفر الذي عند مقبرة مكة واستمر الحرب بينهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرجت العساكر النظامية من البياضية وقاتلوا الاتراك قتالا شديدا الى أن هزموهم هزيمة قبيحة وقتلوا كثيرا منهم فتوجه من بقى من الاتراك الى جدة فنزلت العساكر النظامية الى مكة وأمنوا الناس و لم يقع منهم خلاف على أحد الاّ أنهم دخلوا خان الترك الذي عند المروة وكسروا دكاكينه وأخذوا ما فيها ثم بعد مضي هذه الفتنة أعطى محمد علي باشا أهل تلك الدكاكين قيمة أموالهم التي أخذتها العساكر النظامية من تلك الدكاكين على حسب ما ادعوه وكان الذي ادعوا به شيئا كثيرا فأعطاهم اياه ثم ان تركي بلماز ومن معه من الاتراك لما انهزموا ونزلوا الى جدة أخذوا كثيرا من أموال الميري وكان بمرسى جدة مراكب لمحمد علي باشا فأطلعوا الاموال التي أخذوها في المراكب المذكورة وركبوا فيها وساروا الى اليمن وتملكوا الحديدة والمخا بالتغلب ثم خافوا أن يجهز عليهم محمد علي باشا فتركوا اليمن وتفرقوا في كل ناحية والكلام على هذه الفتنة طويل ولكن هذا حاصلها ثم ان محمد علي باشا ولى أحمد باشا الحجازي محافظة مكة كما كان

فيها سابقا فجاء في وسط سنة ثمان وأربعين وفي سنة تسع وأربعين ولد لسيدنا الشريف محمد بن عون ولده الشريف علي وفي سنة تسع وأربعين أيضا صدر الامر من محمد علي باشا بالتجهيز لمحاربة عسير وكان قد توفي أميرهم علي بن مجثل وكان من بني مفيد وأقيم بعده أميرا عليهم عائض بن مرعي وكان أيضا من بني مفيد فاستفحل ملكه وتقوى وتغلب على بعض الممالك التي بقيت تحت طوع الدولة مثل بني شهر وبيشة وبلاد غامد وزهران فجهز محمد علي باشا عساكر كثيرة ليتوجه بها مولانا الشريف محمد بن عون ويستخلص تلك الممالك فتوجه العساكر وبقى أحمد باشا بمكة يمده بارسال الذخائر والخزائن ووقع بينه وبينهم وقائع واستخلص تلك المواضع التي تغلبوا عليها وأرجعها الى حكم الدولة فصارت بلاد غامد وزهران وبيشة وبني شهر تحت طوعه وتقدم الى بلاد عسير ليتخلصها منهم ويرجعها كما كانت عند مجئ محمد علي باشا الى الحجاز فحصل من أحمد باشا تقصير في ارسال الذخائر والخزائن وما يحتاجون اليه فحصل للعساكر ضيق شديد من ذلك وهم محاصرون بلاد عسير فوقع الفشل في الجيوش وأدى ذلك الى انهزام تلك العساكر فرجع الشريف محمد بن عون الى مكة وكذلك العساكر وكان ذلك سنة احدى وخمسين وأنكر أحمد باشا وقوع التقصير منه ونسب التقصير الى سيدنا الشريف محمد بن عون فطلبهما محمد علي باشا ليحضرا عنده بمصر ليتحاكما في ذلك فتوجها الى مصر في سنة اثنتين وخمسين وأبقى الشريف محمد بن عون وكيلا عنه بمكة الشريف مبارك بن عبد الله الحمودي العبدلي وأبقى أحمد باشا وكيلا عنه أمير اللواء أمين بيك فلما وصلا الى مصر تحاكما عند محمد علي باشا وثبت ان التقصير انما كان من أحمد باشا ولم يثبت على مولانا الشريف محمد شئ من التقصير فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد بالرجوع الى مكة فوسط أحمد باشا وسائط لمحمد علي باشا وبذل لهم في ذلك مالا جزيلا على انه هو الذي يرجع الى مكة ويبقى مولانا الشريف محمد بمصر وتعهد أحمد باشا بأنه يستولي على عسير بالعسكر

في ثلاثة أشهر فحضر مولانا الشريف محمد عند محمد علي باشا وأخبره بأن أحمد باشا يطلب الرجوع الى مكة وانه يتعهد بانه يستولي على عسير في ثلاثة أشهر فقال له الشريف محمد لا يقدر على ذلك ولا بعد ثلاث سنين فقال محمد علي باشا نجربه وننظر ما ذا يصير وتبقى أنت عندي بمصر ويتوجه هو فقال مولانا الشريف محمد لا بأس بذلك فبقى مولانا الشريف محمد بمصر ورجع أحمد باشا وكان معتمدا على بعض الاشراف مثل الشريف منصور بن زيد الشنبري فانه كان مصطحبا مع أحمد باشا وكان يتعهد له بحصول هذا الامر وكان قد تولى امارة غامد وزهران في بعض السنين ويريد رجوعه الى امارته وكان أحمد باشا أيضا معتمدا على سلطان بن عبدة العسيري والمذكور كان أميرا على قبيلة من قبائل عسير يقال لهم علكم وكان قد وقع بينه وبين أمير عسير اختلاف فاراد أن يقتله فهرب وجاء الى مكة ملتجئا قبل هذه الوقائع بسنين فسعى له أحمد باشا عند محمد علي باشا في ترتيب معاش جزيل ومرتبات جزيلة فبقى بمكة مصطحبا مع أحمد باشا ويداهن مولانا الشريف محمدا ظاهرا وميله في الباطن مع أحمد باشا فكان يعده ان قبائل عسير لا تخرج عن طوعه وانه اذا توجه مع أحمد باشا والعساكر يملكه بلاد عسير فلما رجع أحمد باشا من مصر أبقى أمين بيك قائما مقامه وتوجه هو بالعساكر الى الحجاز بلاد غامد وزهران ومعه الشريف منصور بن زيد وكثير من الاشراف وسلطان بن عبدة العسيري فوقع بينه وبين عسير وقائع في الحجاز وانتصر أحمد باشا في وقعة منها في سنة ثلاث وخمسين[١] تسمى وقعة الباحة واستخلص منهم بلاد غامد وزهران ثم رجعوا بعد ذلك وأخذوها ولما حصلت له هذه النصرة أرسل البشائر الى مكة وضربت المدافع وأمروا بالزينة بمكة وجدة والطائف ثلاثة أيام وأرسلوا الى مصر لمحمد علي باشا وعظموا هذه النصرة مع انهم ما قدروا ان يتقدموا بالعساكر الى بلاد بني شهر ولا الى بلاد عسير بل في سنة أربع وخمسين رجع العسيري الى بلاد غامد وزهران

---

(١) سنة ١٢٥٣ هـ. [١٨٣٧ م.]

واسترجعها والحاصل أن الامر استمر بلا نتيجة ولا فائدة الى سنة ست وخمسين ومولانا الشريف محمد بن عون مقيم بمصر ومعه ولده الشريف عبد الله والجميع في عز واكرام وولد لسيدنا الشريف محمد بمصر ولده الشريف حسين في أواخر سنة أربع وخمسين وأرسله الى مكة ليكن عند المراضع فوصل الى مكة في المحرم سنة خمس وخمسين فلما كانت سنة ست وخمسين بعد انعقاد الصلح بين مولانا السلطان عبد المجيد ومحمد علي باشا كان من جملة شروط الصلح ان يترك محمد علي باشا الحجاز والشام ويفوض الجميع لمولانا السلطان ويبقى له ولاولاده ملك مصر وأعمالها فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد ان يرجع الى مكة في امارته كما كان وان يجهز له عساكره التي بالحجاز ويرسلها الى مصر لانه كان له عساكر كثيرة بالحجاز والحربية أعني بلاد حرب وخشي انه اذا شاع زوال حكمه عن الحجاز يحصل اضطراب بالحجاز فيقع ضرر على عساكره ورأى انه لا يحصل التسكين والامن في الحجاز ويتسهل ارسال العساكر الاّ بمولانا الشريف محمد بن عون وكانت العساكر التي في حرب بمعية سليم باشا الملقب أطزبير وكان مخيما بعساكر في الغازية والخيف وكان قد ملك تلك البنادر والخيوف وضايق قبائل حرب أشدّ المضايقة وقطع كثيرا من نخيلهم وفروا هاربين الى رؤس الجبال وصاروا منحصرين فيها وتقطعت الطرق وحصل لاهل المدينة ضيق شديد وانقطعت عنهم الذخائر واشتد الغلاء عندهم حتى بلغ الاردب القمح ثلاثين ريالا فاستحسن محمد علي باشا أن يكون توجه مولانا الشريف محمد أولا الى بلاد حرب لازالة هذه المشكلات وارسال عساكره التي هناك فتوجه من مصر في سنة ست وخمسين فلما وصل الى موضع العساكر شاع خبر وصوله عند قبائل حرب المنحصرين في الجبال فحصل لهم خوف شديد وأيقنوا بالهلاك والاستئصال فارسلوا له يطلبون الامان وانهم يكونون تحت الطاعة على حسب ما يشترطه عليهم فامتنع من اعطائهم الامان حتى يقهرهم بالسيف ويطلع الفقرة فتجهر بتلك العساكر وقصد الفقرة وهي أعظم جبل لهم يتحصنون فيه ولهم

في الفقرة نخيل ومزارع وأموال كثيرة فلما أقبل على الفقرة ما قدروا على قتاله بل فروا في كل جهة فطلع الفقرة وأحرق فيها أماكن وقطع بعض النخيل وصار لقبائل حرب غاية الذل والهوان ثم أرسلوا يطلبون منه الامان فأمنهم فأقبلوا عليه أفواجا وعاهدوه واشترط عليهم شروطا فقبلوها ثم رجع من الفقرة وأرسل العساكر الى مصر بغاية الامن والراحة ثم توجه الى المدينة وسلكت الطرق وارتخت الاسعار وزالت تلك الشدة ولما دخل المدينة كان بها عثمان باشا من طرف الدولة شيخا على الحرم النبوي وشريف بيك مديرا على الحرم ثم صار باشا بعد ذلك ولما دخلا على مولانا الشريف محمد يوم قدومه المدينة للسلام عليه والتهنئة بالقدوم قالا له أنت غوث الحرمين أغاث الله بك أهل مكة في سنة ثلاث وأربعين وأغاث بك أهل المدينة في هذا العام فأجابهم ارتجالا حالا بقوله وأنا ابن عون وابن عون اذا صحف يكون أنت غوث فتعجبا من استحضاره لهذا الجواب.

ثم انه بعد قدومه المدينة حصل له مرض شديد وأرسل الى مكة وطلب أهله فأرسلوا اليه الى ان شفاه الله تعالى من المرض وتمم الاصلاحات المتعلقة بالمدينة واعمالها ورجع الى مكة في آخر سنة ست وخمسين وفي آخر شهر ذي الحجة من السنة المذكورة كانت ولادة ابنه الشريف عون الرفيق كانت أمه حملت به وهم في المدينة فهو مدني مكي وسماه السيد اسحاق شيخ السادة في الدار التي بالشامية لسيدنا الشريف محمد بن عون المشهورة بدار الجيلاني وحضرت تسميته وكان في مدة مكثه في المدينة أرسل ابنه مولانا الشريف عبد الله الى مكة وكان ارساله له من مصر حين عزم على التوجه الى بلاد حرب فلم يتوجه معه ابنه المذكور الى بلاد حرب بل قدم الى مكة وصار قائما مقامه وكان عمره اذ ذاك نحو عشرين سنة فقام بالامر وكالة عن أبيه أتم القيام وحصل بعد قدومه تجهيز العساكر المصرية التي بالحجاز وأرسلت الى مصر في غاية الامن والاطمئنان وتوجه أحمد باشا وأمين بيك الى مصر ثم وجهت الدولة ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي لعثمان باشا الذي كان

شيخا للحرم النبوي ووجهت مشيخة الحرم النبوي لشريف بيك الذي كان مديرا بالمدينة وصار شريف باشا وقدم عثمان باشا مكة أيضا سنة ست وخمسين ثم أقام عثمان باشا مولانا الشريف عبد الله بن سيدنا الشريف محمد بن عون قائما مقامه فصار قائما لمقام الامارة والولاية جامعا بينهما.

ولما رجع سيدنا الشريف محمد بن عون من المدينة أبقى في المدينة الشريف محمد بن عبد الله بن سرور قائما مقامه واستمر الامر بين مولانا الشريف محمد وعثمان باشا بغاية الاتفاق والمحبة الى سنة ستين فوقع بينهما اختلاف سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ولما توجهت العساكر المصرية الى مصر كان لمحمد علي باشا بالحجاز كثير من الذخائر والمهمات والجبخانات فقومت جميعها بالقيمة واستقبلتها الدولة لتخصم من الخراج المقرر على محمد علي باشا في مقابلة ولايته مصر وكانت تلك الذخائر والمهمات شئ لا يمكن حصره ولا ضبطه من جملة ذلك انه وجد له من صنف العدس بمكة وحده ثلاثة وعشرون ألف اردب وقس على ذلك بقية الاشياء.

وتقدم ان محمد علي باشا لما كان بالحجاز رتب معاشات ومرتبات لكثير من الاشراف وغيرهم فاستقبل عثمان باشا ذلك كله وعرف به الدولة فأجازته وأمرت ببقائه وصيرته في دفاترها وكذلك تقدم ان محمد علي باشا جدد دفاتر قمح الجراية المرتبة لاهالي مكة ورتبها على ترتيب غير الذي كانت عليه لانه وجدها بأيدي التجار والاغنياء بالفراغات وليس بأيدي الفقراء منها شئ فأبطل تلك الدفاتر ورتبها على ما هي عليه الآن فلما وصل عثمان باشا وصار الحجاز للدولة أبقى دفاتر الجراية على الترتيب الذي رتبه محمد علي باشا وينبغي ان يذكر هنا تجهيز محمد علي باشا على الدرعية والرياض لقتال فيصل بن تركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز والد سعود فيكون عبد الله والد تركي ابن عم سعود كما تقدم وقد تقدم أيضا ان فيصل بن تركي تملك نجدا بعد أبيه ثم قوى واستفحل ملكه ورجع الى اشهار الدعوى التي كان عليها اسلافه فلما بلغت الاخبار محمد علي باشا أمر بتجهيز

العساكر الى قتاله وجعل على تلك العساكر خورشيد باشا الذي كان محافظ مكة سنة سبع وأربعين ووقعت الفتنة بينه وبين تركي بلماز كما تقدم بيان ذلك فتجهز خورشيد باشا بالعساكر الكثيرة للمسير الى نجد وكان مسيره من المدينة المنورة سنة ثلاث وخمسين فلما وصل الى نجد وقع بينه وبين فيصل بن تركي وقائع حصل فيها قتال شديد يطول الكلام بذكره واستمر الامر بينهما الى ان قبض على فيصل واستولى على الدرعية والرياض وغيرهما وأرسل فيصل الى مصر لمحمد علي باشا سنة أربع وخمسين وكان صحبة خورشيد باشا خالد بيك ابن سعود وكان خالد من الاسرى الذين قبض عليهم ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وأرسلهم الى مصر فكبر خالد بن سعود وتربى بمصر فاستحسن محمد علي باشا ان يجعله أميرا في نجد بلاد آبائه فأرسله صحبة خورشيد باشا ورتب له المرتبات الجزيلة فلما قبض خورشيد باشا على فيصل بن تركي وأرسله الى مصر أقام خالد بن سعود أميرا في الرياض ومهد له الامور الى ان استقر أمره ورجع خورشيد باشا بالعساكر فاستمر خالد بن سعود سنتين ثم ظهر منه عدم استقامته وعدم سلوكه على الطريقة التي يرتضيها أهل نجد فثار عليه رجل يقال له عبد الله بن ثنيان قيل انه ليس من آل سعود أهل الامارة وقيل انه منهم فتغلب وعاهده الناس وأراد الفتك بخالد بن سعود فهرب خالد وجاء الى مكة هاربا وكان يتردد بين مكة وجدة الى ان توفي وكان له معاش جزيل مرتب من محمد علي باشا وصار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان فلما بلغ الخبر فيصل ابن تركي الذي أرسله خورشيد باشا الى مصر محبوسا صار فيصل يدبر الامر في هربه من مصر ليصل الى نجد وينتزع الملك من عبد الله بن ثنيان فسهل الله له ذلك باعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا وكان الامر في ذلك الوقت لمحمد علي باشا ولابنه ابراهيم وليس لعباس باشا شئ من الامر الاّ انه كان محبا عند جده محمد علي باشا ومسموع الكلمة عند رجال دولته وكان يجتمع كثيرا بفيصل بن تركي وهو محبوس فقال له فيصل يوما ان نجدا صارت بيد عبد الله بن ثنيان فلو أتخلص من

الحبس وأصل الى نجد انتزع الملك منه ان شاء الله تعالى وأصير خادما لافندينا تحت أمره فوعده عباس باشا بأنه يدبر هذا الامر له وأمر بكتمانه ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال في اخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرا فخرج في ليلة ووصل الى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض اتباعه وركبوها وتوجهوا الى نجد وبعد يومين بلغ خبر هروبه ابراهيم باشا فأركب كثيرا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا و لم يزل فيصل سائرا هو ومن معه الى ان وصلوا جبل شمر وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم.

ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم فصار الجميع جيشا فقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو في الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقا في الحبس وكان ذلك سنة ثمان وخمسين واستقل فيصل بالملك واستقامت له الامور واستمر الى ان توفي سنة اثنتين وثمانين[١] وأصابه في آخر عمره غشاوة في عينيه فصار لا يبصر فكان يوقف عنده بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل ان يصل اليه ولما توفي فيصل قام بالامر بعده ابنه عبد الله ثم وقع بينه وبين اخوته اختلاف فانتزعوا الامر منه وقام به أخوه سعود بن فيصل ثم مات ورجع الامر الى عبد الله وهو باق الى الآن أعني سنة ألف وثلاثمائة[٢] الاّ ان ملكه صار ضعيفا جدا لان الدولة العلية انتزعت منه الحساء والقطيف وخرج عن طاعته أهل القصيم وصاروا تحت أمر الدولة وكذلك ابن رشيد أمير جبل شمر قوى ملكه وخرج عن طاعة عبد الله بن فيصل وصار تحت طاعة

---

(١) سنة ١٢٨٢ هـ. [١٨٦٥ م.]

(٢) سنة ١٣٠٠ هـ. [١٨٨٢ م.]

الدولة ويدفع لهم خراجا وكذلك أهل القصيم يدفعون للدولة خراجا وأميرهم منهم ولم يبق تحت طاعة عبد الله بن فيصل سوى القبائل القريبة منه ولنرجع الى اتمام مدة امارة سيدنا الشريف محمد بن عون.

وقد تقدم انه كان بينه وبين عثمان باشا غاية المحبة والالفة الى سنة ستين ثم حصل بينهما تنافر واختلاف سببه ان عثمان باشا أغراه بعض الناس على بعض الامراء من الاشراف منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبد الله بن زيد بن سليم وقالوا له انهم يأخذون أكثر المتحصل من الزكوات المتحصلة من رعاياهم ولا يدخلون الخزانة الاّ النزر اليسير فتهدد عثمان باشا بعض الامراء الذين قيل فيهم ذلك فلما بلغ الخبر مولانا الشريف محمدا غضب لذلك وحصل بينه وبين عثمان باشا التنافر ونزل عثمان باشا الى جدة وأقام بها وتوجه مولانا الشريف محمد الى الطائف ثم الى المبعوث وأقام به وصار كل منهما ينتظر الجواب من دار السلطنة لان كلا منهما أنهى الى الدولة الشكاية وفي تلك المدة كثر القيل والقال وصار الناس أهل الفساد يثيرون الشر بينهما ويختلقون كثيرا من الاكاذيب وأمر عثمان باشا كرد عثمان كبير العساكر الخيالة ان يتوجه بالعساكر الى المبعوث ويكون في مقابلة سيدنا الشريف محمد وقصد بذلك التخويف والمحافظة عليه فلم يكترث بهم مولانا الشريف بل أذن لهم بالنزول في مقابلته وكان كرد عثمان يأتي اليه ويقبل يده ويجلس عنده وهو يقابله ويكرمه وأرسل عثمان باشا الى الدولة يطلب منهم ارسال الشريف علي بن غالب الى مكة وأظهر ان القصد بذلك حضوره عند أهله لحفظ أموالهم فأذنت الدولة للشريف علي بن غالب بالتوجه وكان مولانا الشريف محمد بن عون عرف محمد علي باشا بما هو حاصل بينه وبين عثمان باشا وكان محمد علي باشا يحب الشريف محمدا لكونه السبب في أصل ولايته امارة مكة فصار محمد علي باشا مجتهدا في نصرته وكان مسموع الكلمة عند الدولة ورجالها فلما توجه الشريف علي بن غالب من دار السلطنة وجاءت الاخبار الى مكة بتوجهه كثرت الاراجيف بمكة

وشاع بين الناس انه اذا وصل يتم مراد عثمان باشا ويقبض على مولانا الشريف محمد ويأتي بعد ذلك الشريف عبد المطلب أميرا على مكة وكثرت هذه الاشاعات ولما وصل الشريف علي بن غالب الى مصر أكرمه محمد علي باشا غاية الاكرام واحتفل به غاية الاحتفال وكان ذلك سنة احدى وستين ثم بعد ذلك بثلاثة أيام توفي وانتقل الى رحمة الله تعالى بمصر فقيل انه مرض وقيل مات مسموما والله أعلم بحقيقة ذلك ثم ان محمد علي باشا عرف الدولة العلية بما هو حاصل من عثمان باشا من المضاررة للشريف محمد بن عون وطلب منهم ان يعزلوا عثمان باشا من ولاية جدة ويرجعوه الى مشيخة حرم المدينة وان شريفا باشا الذي في المدينة يكون واليا على جدة وشيخ الحرم المكي فاجيب محمد علي باشا الى ذلك وصدر الامر من الدولة بذلك فلما جاءت الاخبار لعثمان باشا بما صدر به الامر اغتم ومات من ليلته وقيل انه سمّ نفسه وكان ذلك أيضا سنة احدى وستين ثم جاء شريف باشا من المدينة بعد وصول الامر له من الدولة العلية ووقع بينه وبين مولانا الشريف محمد بن عون غاية المحبة والالفة واستقامت الاحوال على أتم النظام وفي سنة اثنتين أو ثلاث وستين توجه مولانا الشريف محمد بن عون الى نجد بأمر من الدولة العلية لاخماد فيصل بن تركي أمير الرياض لانه بلغ الدولة انه استفحل ملكه ويخشى من تطاوله كما كان من أسلافه فصدر الامر من الدولة بتوجيه العساكر لقتاله واخماده وان يكون ذلك بمعرفة الشريف محمد بن عون وتدبيره فأخذ العساكر وتوجه بنفسه وكان توجهه من المدينة ولم يزل سائرا بالعساكر والقبائل تطيعه وسار معه ابن رشيد أمير جبل شمر بكثير من القبائل فلما وصلوا الى القصيم نزلوا به فقابلهم أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم النصر فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي دخله غاية الرعب وأرسل لاهل القصيم وطلب منهم ان يجتهدوا له في عقد صلح ويضعوا عليه خراجا فاجتهدوا مع مولانا الشريف محمد في الصلح الى ان رضي ووضعوا على فيصل بن تركي خراجا لكل سنة عشرة آلاف ريال فرضي بذلك فيصل وتم الصلح ورجع

مولانا الشريف محمد بالعساكر في سنته تلك وكان رجوعه من الشرق الى الطائف واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة الى ان توفي فيصل ثم انقطع دفع ذلك الخراج وتقدم ان وفاة فيصل[١] كانت سنة اثنتين وثمانين وفي سنة أربع وستين تحلى محمد علي باشا عن ملك مصر لمرض أصابه فقلده ولده ابراهيم باشا[٢] ومكث نحو احد عشر شهرا وتوفي في ذي الحجة من السنة المذكورة فاقيم في ولاية مصر عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا[٣] وفي رمضان سنة خمس وستين توفي محمد علي باشا وعمره تسع وسبعون وفي سنة أربع وستين وجهت الدولة للشريف عبد الله بن مولانا الشريف محمد بن عون رتبة باشا مير ميران بنيشان ولاخيه الشريف علي رتبة باشا أمير الامراء بنيشان ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف الحسين ثم جاء بعد مدة مثل ذلك لاخيه الشريف عون الرفيق ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف عبد الله ثم بعد مدة ترقى الجميع الى ان أعطوا رتبة الوزارة وفي سنة خمس وستين عزل شريف باشا وتولى بدله حسيب باشا وفي هذه السنة توجه الشريف عبد الله باشا بكثير من العساكر الى بيشة لاخماد عسير لانهم تطاولوا واستولوا على بيشة وبنى شهر فسار بالعساكر وأرجع تلك المواضع الى حكم الدولة وعقد صلحا مع عسير على أنهم لا يتجاوزون بلادهم وفي هذه السنة أيضا توجه سيدنا الشريف محمد بن عون الى الحديدة بكثير من العساكر الباقية بعد الذين توجهوا الى بيشة مع الشريف عبد الله وكان توجه مولانا الشريف محمد الى اليمن من طريق البحر وانتزع الحديدة والمخا وزبيد وبيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن علي بن حيدر لانه كان تغلب عليها وملكها فلما وصل مولانا الشريف محمد بالعساكر خاف الشريف الحسين وسلم البنادر المذكورة لسيدنا الشريف محمد

---

(١) فيصل بن تركي مات سنة ١٢٨٢ هـــ. [١٨٦٥ م.]

(٢) ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا توفي سنة ١٢٦٤ هـــ. [١٧٥٠ م.] في مصر

(٣) محمد علي باشا حاكم مصر توفي سنة ١٢٦٥ هـــ. [١٧٥١ م.] في مصر

بلا قتال ووعده بان الدولة ترتب له مرتبات في مقابلة ذلك ووفى له بذلك ثم بعد تملكه تلك النادر رتبها وجعل فيها أمراء وجعل الشريف عبد الله بن شرف في المخا وكان قد أعطي رتبة باشا ومكث هناك أميرا الى أن توفي بعد سنة وأما سيدنا الشريف محمد فانه بعد تملكه البنادر أرسل العساكر الى صنعاء ومعها معاونه توفيق باشا والسيد اسحاق شيخ السادة ومعهم محمد بن يحيى من أبناء أئمة صنعاء فتملكوا صنعاء ووضعوا فيها اماما محمد بن يحيى ثم بعد أيام ثار عليه أهل صنعاء وقتلوه وقتلوا توفيقا باشا وبعض العسكر وأخرجوا الباقين وأما الحديدة وبقية البنادر فبقيت على ما رتبها عليه سيدنا الشريف محمد بن عون ورجع من سنته وكان رجوع ابنه الشريف عبد الله من بيشة قبل رجوعه وفي مدة غيبتهما كانت أكثر الاحكام بتصرف حسيب باشا ورتب مجلسا من العلماء والمفاتي الاربعة في كل أسبوع وصار يصنع لهم طعاما من أفخر الاطعمة الملوكية في كل أسبوع وأظهر في أول الامر انه يريد التحقيق في الاحكام الشرعية واجرائها على طبق الشرع الشريف وقسم هدايا جزيلة على العلماء ثم ظهر بعد ذلك انه انما يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها بالفراغات الشرعية فلم يمكنوه من ذلك وقال له مفتي مكة السيد عبد الله المرغني لا يسوغ لك ذلك بحال فعزله وقلد منصب الافتاء للسيد محمد الكتبي الحنفي الازهري وظن أنه يوافقه على مراده فصار السيد محمد الكتبي متحيرا في هذا الامر وانعقد لذلك مجالس كثيرة في كل أسبوع فأراد حسيب باشا فتح دعوى على السيد عبد الله بن عقيل أخي السيد اسحاق شيخ السادة لينتزع منه دارا بناها السيد عبد الله المذكور بالقرب من الصفا وأصلها من الاوقاف السلطانية فلما تحقق السيد عبد الله بن عقيل انه يريد فتح الدعوى عليه ركب بالليل على ركائب وتوجه من طريق البر الى مصر ثم منها الى دار السلطنة وكتب أهل مكة محضرا خفية عن حسيب باشا وبعثوا به الى السيد عبد الله بن عقيل ليقدمه الى مولانا السلطان وفيه جملة من أختام أعيان أهل مكة من العلماء والاشراف والسادة

وغيرهم مضمونه الشكاية من حسيب باشا وانه يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي أهلها الواضعين أيديهم عليها بالفراغات الشرعية فقدمه السيد عبد الله بن عقيل لمولانا السلطان وانعقد لذلك مجالس في دار السلطنة ثم برز الامر من السلطنة السنية بمنع حسيب باشا عن التعرض للاوقاف السلطانية وابقاء ما كان على ما كان وتحرر لذلك فرمان سلطاني بطرة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وجاء به السيد بن عقيل وكان حسيب باشا بعد ان تحقق توجه السيد عبد الله بن عقيل الى دار السلطنة أمسك عن فتح الدعاوي في الاوقاف السلطانية ينتظر ما ذا يكون بعد وصول السيد عبد الله بن عقيل فلما جاء السيد عبد الله بن عقيل بالفرمان المذكور بطل كل ما أراده حسيب باشا واطمأن الناس وكان الفرمان المذكور بالعربي والخطاب فيه لامير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون فقرئ الفرمان بحضوره وحضور حسيب باشا ومجمع من وجوه الناس فامتثل ذلك حسيب باشا ورجع عما كان في عزمه وبقي هذا الفرمان محفوظا عند السيد عبد الله المرغني بعد ان سجل في سجل قاضي مكة ثم جاء الامر من شيخ الاسلام عارف عصمت بيك لحسيب باشا بارجاع منصب الفتوى للسيد عبد الله المرغني ففعل ذلك ثم جاء بعد ذلك العزل لحسيب باشا في شوال سنة ست وستين وكان ابتداء ولايته في آخر سنة أربع وستين ووصل الى مكة في المحرم سنة خمس وستين فكانت مدة ولايته بمكة سنة وتسعة أشهر وولى بدله عبد العزيز باشا الملقب آقه باشا واشتهر بلقبه فوصل الى مكة في شوّال سنة ست وستين وتوجه حسيب باشا الى المدينة للزيارة ثم منها الى دار السلطنة كان معه شريف باشا لانه لما عزل حسيب باشا لم يتوجه الى دار السلطنة بل بقى بمكة مصطحبا مع حسيب باشا الى أن توجها معا بعد عزل حسيب باشا ومجئ آقه باشا لمكة وفي سنة سبع وستين نزل الشريف عبد الله باشا الى جدة ومعه أخوه الشريف علي باشا لقضاء بعض أشغال لهما فحضرا يوما عند آقه باشا وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة فابرز لهما أمرا ساميا من الصدر

الاعظم رشيد باشا مضمونه حضورهما مع والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون الى دار السلطنة فامتثلا الامر وطلعا الى المراكب وكتب آقه باشا الى والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون بمضمون ذلك الامر فامتثل الامر ونزل الى جدة وركب مع ولديه في المركب وتوجهوا الى دار السلطنة ومعهم بعض العسكر من طرف آقه باشا وأقام آقه باشا في مكة الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور قائما مقام أمير مكة وشاع بين الناس ان الدولة تريد توجيه الامارة لسيدنا الشريف عبد المطلب وحسن السيد اسحاق لآقه باشا انه يطلب توجيه الامارة للشريف منصور بن يحيى فكتب في ذلك وأصحبه محضرا من الاشراف وغيرهم من أعيان الناس مضمونه طلب الامارة للشريف منصور فلم يصادف ذلك عند الدولة العلية قبولا بل وجهت الامارة لمولانا الشريف عبد المطلب في شهر رمضان ووصل الى مكة في ذي القعدة من السنة المذكورة ولما وصل مولانا الشريف محمد وأولاده الى دار السلطنة حصل لهم غاية العز والاكرام وانزلوا في المترل اللائق بهم وأجرى عليهم الضيافة اللائقة ثم الترتيب اللائق بهم مدة اقامتهم وولد الشريف عبد الله بمكة وهو في دار السلطنة مولود تركه في بطن أمه سموه شرفا كانت ولادته في آخر سنة سبع وستين وولد لاخيه الشريف علي بدار السلطنة ولده الشريف حسين وكانت ولادته سنة سبعين وفي شهر المحرم من سنة ثمان وستين توجه سيدنا الشريف عبد المطلب لاصلاح قبائل حرب ولبناء قلاع في الحربية فقابله قبائل حرب بالطاعة ومكنوه من بناء القلاع فبناها وأقام بها عسكرا ثم توجه الى المدينة وأقام بها مدة ورجع الى مكة في آخر السنة المذكورة وقد وقع بينه وبين آقه باشا اختلاف وتنافر وادعى على آقه باشا انه ضارره مدة اقامته في الحربية في ارسال الذخائر والخزائن والمهمات وانعقد بينهما مجلس في شهر الحج في دار أمير الحاج الشامي الذي جاء في ذلك العام وهو أحمد عزت باشا الارزنجاني فأعان الشريف عبد المطلب وأثبتوا الخطأ على آقه باشا فأرسل مولانا الشريف عبد المطلب للصدر الاعظم رشيد باشا يطلب عزل آقه باشا وتوجيه

ولاية جدة لاحمد عزت باشا الارزنجاني فأجيب الى ذلك لانه كان بين الشريف عبد المطلب ورشيد باشا صداقة فلما رجع أحمد عزت باشا بالحج الى الشام وجهت له ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وعزل آقه باشا فجاء أحمد عزت باشا المذكور الى مكة صحبة الحج الشامي في شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومائتين وألف وأحمد عزت باشا هذا هو الذي بنى البيت الذي بالزاهر بالقرب من شهداء فخ في مدة ولايته هذه وفي سنة سبعين توفي عباس باشا صاحب مصر وأقيم في ولاية مصر سعيد باشا ابن محمد علي باشا.

وفي سنة سبعين كان الشروع في عمارة المسجد النبوي[١] عمره السلطان عبد المجيد بعمارة عجيبة لم ير الراؤن أحسن منها واستمر في تعميره نحو أربع سنين والبناء الذي كان قبله تعمير السلطان قايتباي سلطان مصر ثم ان أحمد عزت باشا المتولى ولاية جدة لما وصل الى مكة حصل بينه وبين الشريف عبد المطلب اختلاف ومنافرة بعد وصوله بأيام قلائل حتى صار الناس يتعجبون من سرعة وقوع الاختلاف بينهما ثم طلع كل منهما الى الطائف مع وجود تلك المنافرة فاتفق ان عزت باشا المذكور طلع يوما الى الوهط لزيارة عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما على ما يزعمه كثير من الناس والصحيح أن عكرمة مدفون بالشام فلما رجع عزت باشا من الوهط قرب المغرب صار عليه رمي بالبنادق من الجبال القريبة من المثنى فقيل ان بعض الرصاص أصاب طربوشه وسلمه الله منها فوقع في ظنه ان وقوع هذا الامر انما كان باغراء الشريف عبد المطلب فاستحكمت العداوة بينهما فنزل الى مكة و لم ينزل الشريف عبد المطلب في تلك السنة من الطائف.

وكتب كل منهما الى الدولة العلية يشكو من صاحبه بشكيات فعزلت الدولة أحمد عزت باشا وولوا كاملا باشا فوصل الى مكة سنة سبعين في شهر رجب فنزل الشريف عبد المطلب من الطائف قبل قدومه وقابله وأضافه وصار بينهما محبة وألفة

---

(١) الشروع في عمارة المسجد النبوي في سنة ١٢٧٠ هـ. [١٨٧٠ م.] عمره السلطان عبد المجيد خان

وكان بينهما محبة سابقة حين كان الشريف عبد المطلب في دار السلطنة ثم بعد أيام صنع كامل باشا تعليما للعساكر النظامية بالابطح وحضر هو والشريف عبد المطلب وغيرهما ممن يعتاد حضورهم وفي أثناء حصول ذلك التعليم جاء شخص للشريف عبد المطلب وأخبره بانهم يريدون القبض عليه في هذا اليوم فقام كانه يريد قضاء حاجة وخرج من المجلس وغاب طويلا ثم جاء الخبر لكامل باشا انه ركب وتوجه الى الطائف فتفرق الجمع الذين كانوا مجتمعين لحضور التعليم وكان تفرقهم بعد تمام التعليم على ما هو المعتاد و لم يعلم أحد بحقيقة الحال الاّ بعد مدة وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف واستحكمت العداوة بينهما أكثر مما كانت مع عزت باشا وآقه باشا وكان الشريف عبد المطلب يتهم السيد اسحاق لانه هو الذي يلقى العداوة بينه وبين الولاة لان السيد اسحاق كان من أكبر المحبين للشريف محمد بن عون فلما تولى الشريف عبد المطلب نزل الى جدة واستقبله عند قدومه ومدحه بقصيدة وصار يصانعه ويظهر له الصداقة فلم يأمنه الشريف عبد المطلب لكونه يراه مصطحبا مع الولاة فان آقه باشا كان مقربا للسيد اسحاق يستشيره في كثير من مهمات الامور ثم صار بعده عزت باشا كذلك ثم كامل باشا كذلك وكانت تأتيهم مكاتيب من الصدارة ومن شيخ الاسلام بالتوصية على السيد اسحاق وكان استخراج تلك المكاتيب من الصدارة ومشيخة الاسلام بواسطة الشريف محمد بن عون وابنه الشريف عبد الله.

فلما رأى الشريف عبد المطلب شدة اتصال السيد اسحاق بالولاة ورأى محبتهم له لم يأمنه وصار يظهر له الكراهة واذا حضر عنده لم يلتفت له كل الالتفات وكان قد عزله من مشيخة السادة سنة تسع وستين بعد عزل آقه باشا وتولية عزت باشا وأقام في مشيخة السادة أخاه السيد عبد الله بن عقيل وبعد عزله زاد اتصاله بالولاة وزاد تقريبهم له ومحبتهم اياه لا سيما والمكاتيب من دار السلطنة يتوالى تكرارها عليهم فاستحكمت العداوة بين السيد اسحاق والشريف عبد المطلب

وزيادة على ذلك ان الناس الذين يسعون بالفساد صاروا يوشون بينهما وينقلون أشياء تتوغر منها الصدور ويشيعونها بين الناس ففي سنة احدى وسبعين والشريف عبد المطلب بالطائف وكامل باشا بجدة أرسل الشريف عبد المطلب من الطائف عسكرا من عسكر بيشة للقبض على السيد اسحاق والاتيان به الى الطائف فجاؤا خفية من طريق الحسينية والسيد اسحاق بداره المعروفة بالهجالية فوجدوه بالبستان المتصل بالدار وعنده نجار يصطنع له ساقية فقبضوا عليه وذهبوا به على طريق الحفائر ثم على الحسينية وتوجهوا به الى الطائف فلما جاء الخبر الى مكة لقائم مقام كامل باشا أركب العساكر ليدركوهم ويخلصوه منهم فلم يدركوهم فلما وصل السيد اسحاق الى الطائف أركبوه حمارا اسود قصيرا وكان السيد اسحاق طويلا ذا هيئة بهية فكان ذلك تعزيرا له وطافوا به في الطائف وسوقه وعسكر بيشة والعبيد محيطون به ثم حبسوه في القلعة التي في المثناة المسماة مشرفة تجاه دار الشريف عبد المطلب الكبيرة التي بناها في العام الذي قبله ثم بعد ليلتين أخرجوه منها ميتا فصار بذلك تهمة على الشريف عبد المطلب فمن قائل انه مات خنقا وقائل انهم عصروا خصيتيه حتى مات والله أعلم بحقيقة الحال فلما بلغ خبر موته كاملا باشا وهو بجدة غضب غضبا شديدا وأرسل رمزي أفندي مدير الحرم الى دار السلطنة ليبلغ هذا الخبر وكثر في ذلك القيل والقال وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف وما نزل ولا في وقت الحج وانقضت السنة والاراجيف كثيرة.

فلما كان شهر صفر من سنة اثنتين وسبعين وصل الى جدة من دار السلطنة باشا فريق يسمى راشد باشا وشاع بين الناس انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويقيم الشريف عبد الله بن ناصر بن فواز بن عون قائما مقام الشريف محمد بن عون وكان متزوجا ببنت الشريف محمد وأبوه ابن عم الشريف محمد وكان وكيلا على بيته وأمواله في مدة غيبته واتفق في تلك الايام التي قدم فيها راشد باشا انه ورد التنبيه من كامل باشا لقائم مقامه بمكة ان يجمع دلالي الرقيق ويمنعهم من بيع

الرقيق بمقتضى أمر جاء لكامل باشا من الدولة ففعل قائم مقام الباشا ما أمره به فصار للناس من ذلك انزعاج واضطراب وصاروا يقولون كيف يمنع بيع الرقيق الذي أجازه الشارع وهاج الناس هيجانا شديدا فاجتمع جماعة من طلبة العلم عند الشيخ جمال شيخ عمر وكان رئيس العلماء وقالوا نذهب الى القاضي ونذاكره في ذلك ليراجع كاملا باشا وهو يراجع الدولة في ذلك فاجتمع معهم وهم ذاهبون الى بيت القاضي خلق كثير من غوغاء الناس فلما دخلوا على القاضي فزع منهم وهرب ودخل الى بيت حريمه فزاد هيجان الناس واضطرابهم وهاج بسبب ذلك بعض العساكر الضابطية الذين كانوا في دار الحكومة ورأوا بعض الناس حاملين السلاح ويقولون الجهاد فثار من ذلك فتنة عظيمة وصار الرمي بالبندقية من الفريقين وانتشرت الفتنة ورمى البندقية في الاسواق والطرقات وصار القتل لكثير من العسكر وغيرهم وتوقف بعض العسكر مع بعض أهل البلد في المسجد الحرام وصاروا يترامون بالبندقية وقتل في المسجد أناس من ذلك الرمي ففزع بعض الناس الى الشريف منصور ابن الشريف يحيى بن سرور وهو في داره وسألوه تسكين هذه الفتنة فاطلق مناديا في مكة لمنع الناس من الفتنة فامتثلوا أمره وأمن الناس وتحفظ على العساكر الشاهانية وأطلع كثيرا منهم القلعة وكذلك الشريف عبد الله بن ناصر أدخل كثيرا من العسكر في دار الشريف محمد بن عون وسكنت الفتنة فلما جاء الخبر في الطائف للشريف عبد المطلب جمع القبائل وقال اني أريد حماية أهل مكة لئلا يصيبهم ضرر من كامل باشا بسبب ما صار منهم فلما وصلت لكامل باشا الاخبار الاولى التي حصل منها الفتنة أرسل الى أهل مكة بالامان وانه يراجع الدولة في أمر الرقيق فلم يطمئن الناس بذلك بل صاروا خائفين من سطوته ثم لما بلغه ان الشريف عبد المطلب جمع القبائل ويريد المجئ بهم الى مكة أرسل وطلب الشريف عبد الله بن ناصر الى جدة.

وكذلك طلب الشريف منصور بن يحيى وقيل ان الشريف منصورا توجه الى

جدة بلا طلب خوفا من الشريف عبد المطلب وتباعدا عن الفتنة ثم توجه الشريف عبد المطلب بالقبائل من الطائف وجاء بهم الى مكة وكان العساكر الشاهانية بالقلعة ومعهم أويس باشا قمندان العساكر فاقام كامل باشا الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وكتب للشريف عبد المطلب انك معزول وان الدولة وجهت امارة مكة للشريف محمد بن عون وقد أقمنا الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقامه فلم يقبل منه الشريف عبد المطلب ذلك وعقد مجمعا في داره التي في القرارة وأحضر فيه كثيرا من الاشراف والسادة والعلماء وأعيان الناس وأخبرهم اني انما جئت بالقبائل لحمايتكم ونصرة الدين وعقد عهودا ومواثيق بينهم وصار أهل الحارات حاملين للسلاح ويعسون في البلاد طول الليل ثم ان كاملا باشا جهز عسكرا من جدة بعد ان أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وأرسله مع العسكر الذين جهزهم الى بحره ومعهم أيضا راشد باشا الفريق الذي قدم من دار السلطنة فنصبوا العرضي في بحره وكتب الشريف عبد الله بن ناصر للامراء من الاشراف وللقبائل وأهالي مكة يخبرهم بحقيقة الحال ولم يقبل ذلك الشريف عبد المطلب وقال هذا كله تزوير واختلاق من كامل باشا وجهز كثيرا من القبائل وأرسلهم مع بعض الامراء من الاشراف وغيرهم لقتال العسكر الذين في بحره فهجموا على العرضي ووقع القتال بين الفريقين ثم انهزمت تلك القبائل ورجعت الى مكة وتكرر ذلك ثلاث مرات وهم ينهزمون في كل مرة منها وتكررت مكاتبات الشريف عبد الله بن ناصر لكثير من الاشراف وشيوخ القبائل وبقية الناس فصاروا يتأخرون عن الشريف عبد المطلب ودخلهم الفشل وذهب كثير من الاشراف وشيوخ القبائل الى العرضي في بحره عند الشريف عبد الله بن ناصر فصار يكرمهم بالكساوي وعطايا الدراهم ثم انتقل بالعرضي الى الشميسي فلما تحقق الشريف عبد المطلب ان كثيرا من الناس تخلوا عنه وأخذوا الامان من الشريف عبد الله بن ناصر عزم على الخروج من مكة والتوجه الى الطائف وقال

للاشراف ولاهل مكة ومن بقي معه من القبائل قد أعذرتكم فخذوا الامان لانفسكم من الشريف عبد الله بن ناصر واني أريد التوجه الى الطائف وأتجهز منه ثم أتوجه الى دار السلطنة من طريق البر ثم توجه الى الطائف ومعه بعض أتباعه وكان ذلك في آخر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ثم سار الشريف عبد الله بن ناصر وراشد باشا ومن معهما من العساكر من الشميسي ودخلوا مكة وأطلقوا المنادي بولاية سيدنا الشريف محمد بن عون امارة مكة وأمنوا الناس ولم يعاقبوا أحدا من الناس الذين قاموا في تلك الفتنة فاطمأنت البلاد وسكنت الفتنة ونصبوا العرضي الذي فيه العسكر الذين جاؤا معهم في الابطح وصار الشريف عبد الله بن ناصر يطلع في الليل يبيت في العرضي في صيوان نصب له هناك ويجلس فيه في النهار أيضا في بعض الاوقات وفي بعضها يترل الى دار سيدنا الشريف محمد بن عون وصارت أحكام البلد كلها مفوضة اليه.

وأما الشريف عبد المطلب فانه لما وصل الى الطائف وهو عازم على التجهز والتوجه الى دار السلطنة من طريق البر جاءه بعض الناس ونقضوا عزمه عن التوجه الى دار السلطنة وحسنوا له ان يجمع قبائل الحجاز كبني سعد وغامد وزهران ويجعلهم مع قبائل الطائف كثقيف وبني سفيان ويقاتل بالجميع الشريف عبد الله بن ناصر ومن معه ويخرجهم من مكة فوافقهم على ذلك وترك التوجه الى دار السلطنة وأرسل للقبائل المذكورة وجمعهم ودفع لهم أموالا من عنده وكان في قلعة الطائف عسكر من عساكر الدولة فأخرجهم منها واستولى على القلعة ثم أمر عسكر الدولة الذين كانوا في القلعة ان يتوجهوا الى مكة وكانت الطرق كلها مخوفة لانتشار العربان والقبائل فيها وكان الشريف فواز بن ناصر أخو الشريف عبد الله بن ناصر في بلاد لهم تسمى رحاب ومعه اخوانه وأهله فخاف على عسكر الدولة الذين أخرجوهم من الطائف ان تتخطفهم الاعراب في الطريق فعارضهم بعد أن خرجوا من الطائف وذهب بهم الى رحاب وأضافهم وأكرمهم ثم سير معهم من أوصلهم الى

الشريف عبد الله بن ناصر ولما اجتمع كثير من القبائل عند الشريف عبد المطلب في شهر جمادي الاولى من السنة المذكورة أرسلهم الى مكة وجعل عليهم أميرا الشريف الحسين بن منصور الشنبري ومعه جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف عبد المطلب فهجموا على العرضي الذي في الابطح وثار الحرب بين الفريقين وكان الشريف عبد الله بن ناصر في ذلك الوقت بمكة فلما جاءه الخبر ركب مسرعا وتواقف الفريقان الى ان جاء الليل فصعد القبائل التي جاءت من عند الشريف عبد المطلب الى الجبال وتحصنوا فيها وباتوا الى ان أصبح الصباح فاعادوا الحرب ثم انهزموا هزيمة شنيعة وقتل كثير منهم وجاؤا برؤسهم الى مكة ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل آخر شهر رجب وسيرهم كالاولين فخرج الشريف عبد الله بن ناصر بالعساكر الى عرفة حين بلغه اقبالهم ليقاتلهم هناك فلما أقبلوا انتشب القتال بعرفة.

ثم انهزموا مثل الهزيمة الاولى ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل في أواخر شعبان وسيرهم كالذين قبلهم ومعهم الشريف الحسين بن منصور الشنبري وبعض الاشراف وقيل ان الشريف عبد المطلب سار معهم بنفسه في هذه المرة فهجموا على العرضي الذي في الابطح واقتتلوا الى ان جاء الليل فتحصن القبائل بالجبال واتخذوا لهم متارس وبات الشريف عبد الله بن ناصر تلك الليلة في العرضي بغاية الاحتراس خوفا على العساكر الشاهانية ان تهجم عليهم القبائل في الليل وفي تلك الليلة جاء البشير من جدة بخبر وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى جدة وكان ذلك في ثامن شعبان فبات العساكر تلك الليلة في العرضي في فرح وسرور مظهرين الزينة في العرضي حين ورد الخبر اليهم باطلاق المدافع والصواريخ وغير ذلك فلما أصبحوا انتشب القتال قليلا ثم انهزمت تلك القبائل هزيمة أقبح من اللتين كانتا قبل ذلك ورجعوا الى الطائف بعد ان قتل كثير منهم وجئ برؤسهم الى مكة ثم بعد يومين وصل سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة ومعه ابنه الشريف علي

باشا وأما ابنه الشريف عبد الله باشا فانه تأخر في دار السلطنة ثم أعطي رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ثم بعد وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة بأيام تجهز بالعساكر وتوجه بهم الى الطائف ومعه ابنه الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وكثير من الاشراف والقبائل وكان توجههم بعد ان أرسلوا للشريف عبد المطلب يعطونه الامان وان يترك القتال فامتنع وتحصن بالطائف واستعد للقتال وأمر أهل الطائف بحمل السلاح على مثل الحال الذي كان سنة ثلاث وأربعين وكان عنده بالطائف بعض من قبائل هذيل وثقيف وبنى سفيان فلما قرب الشريف محمد بالعرضي من الطائف هربوا من الطائف وذهبوا للشريف محمد بن عون.

ولما توجه الشريف محمد بالعرضي من مكة في أواخر شعبان ولم يزل سائرا والقبائل تقبل عليه من كل ناحية يعرضون عليه ويطلبون الامان وهو يؤمنهم ويكرمهم بالضيافة والدراهم والكساوى من الجوخ والشيلان فلما قرب من الطائف أمر بنصب العرضي في العقيق في الموضع الذي نصب فيه سنة ثلاث وأربعين وحاصروا الطائف وضربوا عليهم المدافع ولم يبق عند الشريف عبد المطلب أحد غير أهل الطائف والشريف الحسين بن منصور الشنبري وبعض الاشراف فلما اشتد الحصار على أهل الطائف خرج جماعة منهم بالخفية ووصلوا الى العرضي وقابلوا سيدنا الشريف محمدا وأخذوا منه أمانا لانفسهم ولاهل الطائف وللشريف الحسين بن منصور الشنبري ومن معه من الاشراف ثم فتحوا باب السور وأدخلوا العساكر فأحاطوا بالدار التي كان فيها الشريف عبد المطلب ثم أعطوه الامان على نفسه وقبضوا عليه وأكبوه على فرس وأحاط به الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وأتباعهما وساروا به الى ان أوصلوه العرضي وسلموه للشريف محمد بن عون وكان ذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة فأنزله الشريف محمد بن عون في داره التي بالطائف عند باب الحرم وجعل عليه عسكرا للتحفظ واطمأنت الناس

وزالت الفتنة وأمنت الطرق وفي شهر شوال أنزلوا الشريف عبد المطلب من الطائف الى مكة والعساكر محيطة به للتحفظ وبعد وصوله الى مكة أنزلوه الى جدة وسلموه لكامل باشا فأركبه البحر ووجهه الى دار السلطنة ومعه عساكر للتحفظ وشاع ان الدولة أمرت بتوجهه الى سلانيك فارسل الشريف عبد المطلب الى الصدر الاعظم رشيد باشا يطلب ان تكون اقامته بدار السلطنة فاجيب الى ذلك فجئ به الى دار السلطنة ونزل بالدار التي كان فيها أولا فبقي فيها في عزّ واكرام و لم تعاقبه الدولة على شئ مما كان.

وأقام سيدنا الشريف محمد بن عون في مكة بعد هذه الفتنة سنتين والناس في أمن وأمان وسرور وقدم لمباشرة أكثر الامور ابنه الشريف علي باشا ومعه الشريف عبد الله بن ناصر وفي سنة ثلاث وسبعين عزل كامل باشا وتولى بدله محمود باشا الكردي وكان واليا على اليمن وقبل ولايته اليمن كان فريقا قمندان العساكر بمكة فلما ولى اليمن أعطي رتبة الوزارة ثم عزل من اليمن وأعطي ولاية جدة بعد ان عزل كامل باشا فجاء الى مكة ومكث نحو سنة ثم عزل وتولى بدله نامق باشا فوصل الى مكة في أوائل سنة أربع وسبعين.

{ذكر وفاة الشريف عبد الله بن ناصر سنة ١٢٧٤}

وقبل وصوله بأيام توفي الشريف عبد الله بن ناصر بعد ان مرض أياما.

{ذكر وفاة سيّدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٧٤}

وفي الثالث عشر من شعبان في هذه السنة توفي سيّدنا الشريف محمد بن عون وانتقل الى رحمة الله تعالى بعد ان مرض أياما رحمه الله تعالى وعمره نحو السبعين ودفن في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلّى الله عليه وسلّم بجانب قبرها وخلف ستة من الذكور وهم عبد الله وعلي وحسين وعون وسلطان وعبد الله وكلهم في غاية الفطنة والنجابة والكمال وخلف أربعة من الاناث فلما توفي أقام نامق باشا الشريف عليا باشا وكيلا للامارة الى أن يأتي الخبر من دار السلطنة.

{ذكر ولاية سيّدنا الشريف عبد الله باشا سنة ١٢٧٤}

ولما بلغ الخبر بالوفاة دار السلطنة وجهت الدولة امارة مكة لابنه مولانا الشريف عبد الله وقد تقدم ذكر بقائه هناك بعد مجئ والده الى مكة وانه وجهت له رتبة الوزارة وجعل من أعضاء المجلس الخاص وزيادة على ذلك اشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الاحكام وكان قد قرأ في علم النحو وصار له به دراية واشتغل كثيرا بمطالعة كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والادب واقتنى من الكتب شيئا كثيرا وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والادب ويحضر في مجلسه كثير من العلماء والأدباء في كثير من الاوقات وكان يحبهم ويعظمهم ويكرمهم ويقضي حوائجهم وكان توجيه الامارة له في شهر رمضان بعد مجئ خبر وفاة والده.

ومكث في دار السلطنة بعد توجيه الامارة له شهورا لقضاء مهماته وتوجه الى مكة في شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين ودخل مكة في موكب عظيم وفرح الناس بولايته وصارت له هيبة في قلوب الاشراف والعربان وكافة الناس لعلمهم بدرايته وحسن سياسته حين كان قائما مقام والده في الولاية الاولى ولما قدم جاء معه بميزاب للكعبة محلى بالذهب لم ير الراؤن أحسن منه بعثه السلطان عبد الميجد وأرسلوا القديم الى دار السلطنة.

{ذكر فتنة جدة سنة ١٢٧٤}

وينبغي ان نذكر هنا الفتنة التي كانت بجدة قبل وصوله من دار السلطنة وكانت بعد وفاة والده لان الفتنة المذكورة كانت في السادس من ذي القعدة سنة أربع وسبعين وملخصها اجمالا ان صالحا جوهرا أحد التجار بجدة كان له مركب منشور فيه بنديرة الانكليز والبنديرة هي البيرق فأراد ان يغيرها ويجعل فيه بنديرة من بنديرات الدولة العلية فسمع بذلك قنصل الانكليز فمنعه من ذلك فلم يمتنع وأخذ رخصة من نامق باشا فأذن له بوضع بنديرة لدولة العلية وكتب له منشورا بذلك

فوضعها ونشرها وأزال بنديرة الانكليز فطلع قنصل الانكليز البحر ودخل المركب المذكور وأنزل بنديرة الدولة التي نشرت ونشر بنديرة الانكليز وشاع انه لما أنزل بنديرة الدولة وطئها برجله وتكلم بكلام غير لائق فغضب لذلك المسلمون الذين في جدة فهاجوا هيجة عظيمة وقصدوا دار القنصل وقتلوه وثار من ذلك فتنة عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم وأرادوا ان يقتلوا فرج يسر أحد التجار المشهورين بجدة لكونه كان محاميا عن قنصل الانكليز ومعدودا من رعيتهم فاختفى فأراد عوام الناس ان ينهبوا داره فمنعهم من ذلك عبد الله نصيف وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة وكان نامق باشا بمكة والشريف علي باشا القائم مقام الامارة كان قد توجه الى المدينة المنورة فمقابلة الحج فلما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك ثم توجه الى جدة وسكن الفتنة وقبض على بعض الناس الذين نسب لهم القتل والنهب ووضعهم في السجن وأرسل الى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة وطلع الى مكة لاداء الحج فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للانكليز وصار يرمي بالمدافع المحشوة بالقلل على جدة فخرج كثير من الناس من جدة هاربين بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركبانا ومشاة فانزعج الناس من ذلك انزعاجا شديدا فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد نامق باشا في مكة مجلسا في ديوان الحكومة أحضر فيه كثيرا من العلماء والتجار وأعيان الناس وأحضر كثيرا من تجار جدة الذين قدموا مكة لاداء الحج وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة وأخبرهم بمجئ المركب الحربي الذي جاء من الانكليز وبضربه القلل على جدة وبخروج كثير من الناس منها وقال لهم القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الامر فقال له كثير من الحاضرين ان الاسلام لله الحمد قوي وأهله كثيرون وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وغامد وزهران وعسير وانكم لو تعطون الناس رخصة ينفرون نفيرا عاما فيجتمع من

ذلك الالوف بل اللكوك فيدفعون تعدي الانكليز ولا يرضون ان يقع عليهم هذا الذل فقال لهم نامق باشا هذا العدد الذي ذكرتموه من قبائل العرب صحيح بل يوجد مثله أضعافا مضاعفة لكن اذا اجتمعت هذه القبائل غاية ما يقدرون عليه انهم يصلون الى مكة وجدة وبعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة فيحصل من الانكليز وغيرهم من النصارى تسلط على بقية مدائن الاسلام ويجتمعون على محاربة الدولة العلية وليس عند هؤلاء القبائل التي اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الاسلام لانه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها ولا ذخائر ولا جبخانات ولا مدافع ولا شئ مما يحتاجون اليه وأيضا مرادنا دفع هذا الضرر الآن ولا يجتمع هؤلاء القبائل الاّ بعد مدة طويلة فلابدّ من التدبير الآن في دفع هذا الضرر بالسرعة فقال بعض التجار الحاضرين يأذن لنا أفندينا في تغريق هذا المركب الحربي الذي جاء يرمي بالمدافع المشحونة بالقلل على جدة فان كثيرا من أهل البحر الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق المراكب يأتونها من تحت الماء ويغرقونها ببرامات يجعلونها في المراكب فقال لهم ليس هذا صوابا فانكم اذا أغرقتم مركبا يأتيكم بعده عشرة مراكب واذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة وهكذا فيتسلسل الامر ولا يزول الضرر وأيضا ربما يتركون جدة ويتوجهون الى اضرار بقية مدائن الاسلام وانما الاحسن في تدبير هذا الامر انا نتداركه باللطف وحسن السياسة بان نتوجه الى جدة أنا وكثير من أعيانكم ونجتمع بقبطان هذا المركب ونعقد معه أمرا يندفع به الضرر فاستحسنوا رأيه فتوجهوا الى جدة وأخذ معه رئيس العلماء الشيخ جمال شيخ عمر ومعه من العلماء الشيخ صديق كمال والشيخ ابراهيم الفتا والشيخ محمد جاد الله وشيخ السادة السيد محمد بن اسحاق بن عقيل وتجار جدة الذين كانوا جاؤا للحج فلما وصلوا الى جدة صار اجتماعهم بالقبطان المذكور وعقدوا مجلسا صار القرار فيه على انه يصير تحقيق هذه القضية ويحصل الانتقام ممن وقع منه التعدي في هذه الفتنة ويكون ذلك بعد رفع الامر الى الدولة العلية وانتظار الجواب منها بما تأمرون به

ورضي الجميع بذلك وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل الى جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الانكليز والفرنسيس وكان نامق باشا بجدة فعقدوا مجلسا معه واتفقوا على انهم يحضرون الناس المتهمين في احداث هذه الفتنة ويقررونهم ويستنطقونهم كل واحد وحده حتى يقفوا على حقيقة الامر ويعرفوا الذين قتلوا والذين نهبوا والذين هيجوا فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا وانما يحضر هؤلاء المرخصون الذين جاؤا مرسلين من الدولة ومن الانكليز والفرنسيس وصاروا يقبضون على كل من صارت عليه تهمة ويحبسونه في موضع وحده ثم يحضرون كل واحد منهم وحده ويسألونه ويستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل ويحتالون عليهم بكل حيلة ويكتبون كل ما يقول فكان ملخص تلك الاستنطاقات ان أهل جدة الذين هاجوا في الفتنة وحصل منهم القتل والنهب قالوا انما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضي جدة الشيخ عبد القادر شيخ والاعيان وسموا أناسا منهم.

وقال الحضارم أمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون وكبير الحضارم الشيخ سعيد العامودي وقال شيخ السادة وسعيد العامودي وقاضي جدة وبقية التجار والاعيان انما كان ذلك منا بأمر من عبد الله المحتسب وقال عبد الله المحتسب انما كان ذلك مني بأمر من ابراهيم آغا القائم مقام نامق باشا هذا ملخص استنطاقاتهم فانها تتضمن الاعتراف بما وقع والاعتراف بانهم تسببوا في ذلك الاّ انهم أسندوا ذلك لسعيد العامودي وعبد الله المحتسب والقائم مقام نامق باشا وكان نامق باشا وهو بجدة يرسل اليهم سرا ويقول لهم الحذر ان تقروا بشئ من ذلك فانه يصير عليكم ضرر كثير فلم يمتثلوا ذلك بل أقروا بذلك وسببه ان المرخصين الذين حضروا من الدولة والانكليز والفرنسيس كانوا يتلطفون بهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة ويقولون لهم اخبروا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر ويسألون كل واحد وحده

فاذا نطق بشئ مخالف للواقع يقولون له ان فلانا وفلانا أخبرا بما هو كذا وكذا وذلك يخالف ما تقول ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره فلما انتهت الاسانيد كلها الى ابراهيم آغا القائم مقام نامق باشا أحضروه وسألوه فأنكر جميع ما نسبوه له وكذبهم و لم يقر بشئ فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر بشئ فحبسوه في موضع وحده ثم حكموا عليه بالنفي مؤبدا ثم بحثوا أيضا عن الاشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب فعرفوهم وحبسوهم.

ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الانكليز والفرنسيس فيما بينهم واتفقوا على انه يقتل عبد الله المحتسب وسعيد العامودي ونحو اثني عشر نفسا من عوام الناس الذين وقع منهم القتل وانه ينفى من جدة شيخ السادة وقاضي جدة وبعض التجار بعضهم مؤبدا وبعضهم الى مدة مؤقتة ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد ان أحضروا كثيرا مما أخذوه وان ما بقي من الاموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية فلما تم قرار مجلسهم على ذلك كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم وأعطوها لنامق باشا وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاؤه به من الامر من الدولة فانهم جاؤه بأوامر فيها الامر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنفذه فأخرجوا عبد الله المحتسب وسعيد العامودي من الحبس وقتلوهما في سوق جدة على رؤس الاشهاد وقتلوا الاثني عشر الذين من عوام الناس خارج جدة وكان ذلك اليوم يوما مهولا في جدة اشتد فيه الكرب على جميع المسلمين ثم نفوا من حكموا عليه بالنفي فمنهم من قضى السنين التي أفتوها له ورجع الى جدة ومنهم من مات و لم يرجع اليها فمن الذين رجعوا الشيخ عبد القادر شيخ قاضي جدة والشيخ عمر بادرب والشيخ سعيد بغلف ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم منفيون السيد عبد الله باهارون والشيخ عبد الغفار والشيخ يوسف باناجه رحمهم الله تعالى وقبضوا من الدولة قيمة بقية الاموال المنهوبة وكان شيئا كثيرا هذا ملخص تلك الفتنة باختصار ولا حول ولا قوّة الاّ بالله فان هذه القضية كانت من أعظم المصائب على أهل

الاسلام وكان قدوم سيدنا الشريف عبد الله المتولى امارة مكة بعد تمام هذه الامور كلها وكان تأخره بدار السلطنة الى هذه المدة لاجل أن لا يناله شئ من الدخول في هذه القضية ولا يمكنه المعارضة لما يتفقون عليه ولما وصل الى جدة كان هؤلاء المرخصون الذين حضروا لتحقيق هذه القضية من الدولة والانكليز والفرنسيس موجودين بجدة لم يسافروا فحضروا عنده يوم وصوله جدة للسلام عليه وقالوا له صرنا ممنونين بقدومك الى جدة قبل ان نسافر لانا نريد الوصول الى مكة للتفرج عليها وخشينا أن يمنعنا أهل مكة من دخولها ولما حضرت أنت تحقق عندنا أن نتمكن من ذلك ولا يستطيع أحد أن يمنعنا لانك أنت الامير المطاع النافذ الامر قال انهم لما طلبوا مني ذلك تحيرت ولا يقبلون مني في الجواب اني أقول لهم ان ذلك ممنوع في شرعنا ولا يرضى المسلمون بذلك فألهمني الله لهم جوابا عقليا اقناعيا فقلت لهم أنتم رأيتم صورة مكة في الخرائط والجغرافيات ليس فيها بساتين ولا أنهار ولا شئ من الزخارف وانما هي واد غير ذي زرع بين الجبال فلو أتيتم اليها ما تكسبون شيئا زائدا عما علمتموها من صورتها التي رأيتموها في الخرائط والجغرافيات فأرى ان وصولكم اليها تعب لكم بلا فائدة فقنعوا بهذا الجواب وأعرضوا عن طلب الوصول اليها وتوجهوا الى دار السلطنة وكان سيدنا الشريف عبد الله باشا لما قدم أميرا على مكة معه معاون من الدولة يسمى زكي باشا في مرتبة فريق وفي سنة ست وسبعين غزا غزوة الى الشرق لقمع بعض المخالفين وعاد منصورا مظفرا وكان ذلك في مدة نامق باشا قبل عزله ثم عزل نامق باشا في آخر هذه السنة وتولى بدله علي باشا الكتاهيلي وفي هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف علي.

{ذكر زيارة سعيد باشا والي مصر المدينة سنة ١٢٧٧}

وفي سنة سبع وسبعين توجه سيدنا الشريف عبد الله الى المدينة لمقابلة سعيد باشا والي مصر ابن محمد علي باشا حين جاء للزيارة ثم لما رجع الى مصر توجه معه الى مصر ورجع الى مكة في شهر شوال من هذه السنة.

{ذكر وفاة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ وتولية أخيه مولانا السلطان عبد العزيز}

وفي آخر هذه السنة كانت وفاة مولانا السلطان عبد المجيد[١] ابن مولانا السلطان محمود وكانت وفاته لسبعة عشر من ذي الحجة من سنة سبع وسبعين ومائتين وألف وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وستة أشهر وأقيم في السلطنة بعده أخوه مولانا السلطان عبد العزيز وجاء الى مصر سنة تسع وسعبين بعد ولاية اسماعيل باشا وفي سنة ثمان وسبعين عزل علي باشا الكتاهيلي عن ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وتولى بدله عزت حقي باشا.

{ذكر وفاة سعيد باشا والي مصر سنة ١٢٧٩ وتولية ابن أخيه اسماعيل بن ابراهم باشا}

وفي سنة تسع وسبعين توفي سعيد باشا والي مصر وأقيم بعده اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا ولما تولى عزت حقي باشا ولاية جدة سنة ثمان وسبعين وصل الى مكة في شهر رجب من السنة المذكورة واستمر الى سنة احدى وثمانين فعزل وتولى بدله محمد وجيهي باشا وجعل له مشيخة الحرمين مكة والمدينة ولم تقع لغيره وفي هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف محمد وأحضرني في التسمية فسميته.

{ذكر مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير سنة ١٢٨١}

وفي هذه السنة أيضا كان مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لانهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة وصدر الامر من الدولة العلية لاسماعيل باشا والي مصر بأن يرسل عساكر من مصر لاعانة مولانا الشريف عبد الله على قتالهم فامتثل الامر وأرسل عساكر كثيرة ونزلوا على القنفذة وتوجه سيدنا الشريف عبد الله بمن معه من العساكر التي في مكة على طريق الليث ثم

---

(١) السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان توفي سنة ١٢٧٧ هـــ. [١٨٦٠ م.]

وصل الى القنفذة وجعل العرضي في ناحية المخواة والاحسبة وأرسل اليه عسير وأميرهم محمد بن عائض يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم في ذلك وبينما هم كذلك اذ جاءته مكاتيب من اسماعيل باشا والي مصر بطلب استرجاع عساكره بالسرعة ولم يمهل في تأخيرها وتكررت منه تلك المكاتيب فلما رأى الامر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم واشترط عليهم ان لا يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك فأرسل العساكر المصرية الى مصر ورجع الى الطائف من طريق الحجاز بعد ان أقام مدة في بلاد غامد.

{ذكر وفاة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٣}

وفي آخر شهر ذي الحجة من سنة ثلاث وثمانين توفي بمكة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون وعمره نحو أربع وعشرين سنة وخلف بنتا.

{ذكر وفاة محمد وجيهي باشا وتولية معمر باشا سنة ١٢٨٤}

وفي سنة أربع وثمانين توفي بالطائف وجيهي باشا والي جدة وشيخ الحرمين في ربيع الثاني وتولى بعده معمر باشا ولم يجعل له مشيخة حرم المدينة كما كانت لوجيهي باشا بل ولاية جدة ومشيخة حرم مكة فقط ولما توفي وجيهي باشا دفن في قبة الحبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بجانب قبر الحبر رضي الله عنه ولما توفي أقام سيدنا الشريف عبد الله عزت أفندي المحاسبجي مقامه الى ان وصل معمر باشا وكان وصوله في شهر شوال من السنة المذكورة وفي سنة خمس وثمانين غزا سيدنا الشريف عبد الله ناحية الشرق ووصل الى رنية لتأديب بعض القبائل ورجع منصورا مظفرا.

{ذكر ابتداء حفر خليج السويس سنة ١٢٨٦}

وفي سنة ست وثمانين كان ابتداء حفر خليج السويس[١] ليتصل بحر الروم ببحر القلزم وكان تمام ذلك سنة احدى وتسعين وكان القائم بذلك دولة الفرنسيس والانكليز واسماعيل باشا والي مصر وبعد تمامه جعلوا على المراكب التي تمر منه

---

(١) ابتداء حفر خليج السويس سنة ١٢٨٦ هـ. [١٨٦٩ م.]

عوائد معلومة على قدر ما فيها من الحمل وهذا الذي حفروه حتى اتصل البحران كان هارون الرشيد أراد ان يفعله ليتهيأ له غزو الروم فمنعه يحيى بن خالد البرمكي وقال له ان فعلته تتخطف الافرنج المسلمين من المسجد الحرام فامتثل كلامه وترك ذلك والآن بعد ان فعلوه يخشى على الثغور التي على البحر في جزيرة العرب منهم فنسأل الله الحفظ وفي مدة معمر باشا كان ترتيب مجلس الادارة ومجلس التمييز بمكة والمدينة وجدة والطائف وذلك سنة ست وثمانين.

{ذكر وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٧}

وفي سنة سبع وثمانين كانت وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون بدار السلطنة لانه توجه الى دار السلطنة سنة ثمان وسبعين وأعطي رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ورجع الى مكة سنة خمس وثمانين ومكث شهورا ثم رجع الى دار السلطنة وتوفي بها سنة سبع وثمانين بعد ان مرض مدة وعمره نحو ثمان وثلاثين سنة وخلف ابنيه الشريف حسينا والشريف ناصرا وأربعا من الاناث وتقدم ان ولادة الشريف حسين بن الشريف علي كانت سنة سبعين واما الشريف ناصر أخوه فولادته كانت سنة تسع وسعبين بدار السلطنة أيضا ثم أرسله أبوه الى مكة.

{ذكر عزل معمر باشا وتولية خورشيد باشا سنة ١٢٨٧}

وفي سنة سبع وثمانين عزل معمر باشا من ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وتولى بدله خورشيد باشا ووصل الى مكة في شهر شوال من السنة المذكورة.

{ذكر فتنة حوا سنة ١٢٨٨}

وفي سنة ثمان وثمانين في مدة خورشيد باشا وقعت فتنة بمكة تسمى فتنة حوا كانت بين الاهالي والعسكر كانت في شهر صفر من السنة المذكورة كان سببها هذا الشخص المسمى حوا تضارب مع بعض العسكر في سوق المعلى فثار لذلك أهل

السوق واقتتلوا مع العسكر ثم انتشرت الفتنة في أطراف البلد من غير ان يعلموا السبب فيها وقتل بعض العسكر وعزلت الاسواق فركب سيدنا الشريف عبد الله بنفسه ومعه بعض اتباعه وخرج الى السوق وأطراف البلد وسكن الفتنة ثم قبضوا على كثير من عوام الناس الذين كانت منهم تلك الفتنة وحبسوهم ثم قرروهم بالاستنطاق وعقدوا لذلك مجالس حضرها مولانا الشريف وخورشيد باشا والقاضي والمفاتي وكثير من العلماء وحكموا على كل من ثبت عليه شئ بمقتضاه وحكموا على بعضهم بالنفي سنين مؤقتة واطمأنت الناس وزالت الفتنة.

{ذكر استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير سنة ١٢٨٨}

وفي أول سنة ثمان وثمانين أيضا كان تمام الاستيلاء على بلاد عسير وأصل تلك الفتنة ان محمد بن عائض أمير عسير طغا وبغى ونقض العهود والصلح الذي عقده معه سيدنا الشريف عبد الله سنة احدى وثمانين كما تقدم واستولى على كثير من المحاكم التي كانت تحت حكم الدولة كبلاد بني شهر وغامد وزهران ثم سار بجيش عظيم سنة ست وثمانين الى الحديدة والمخا وفعل أشياء يطول الكلام بذكرها ثم أصاب جيوشه مرض ووباء فانهزم فجهزت الدولة سنة سبع وثمانين الفريق رديفا باشا ومعه عساكر كثيرة فتوجه من جدة الى القنفذة على طريق البحر في شهر ذي القعدة وجعل العساكر بالقرب من محائل وحشد عسيرا جنوده عند العقبة فتركها وصعد من عقبة أخرى وملك الصراة من بلادهم ونزل عليهم من خلفهم وقاتلهم وانتصر عليهم وقبض على محمد بن عائض وكثير من امرائهم وقتلهم وبعث بعضهم الى دار السلطنة.

{ذكر وفاة الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله سنة ١٢٨٨}

وفي سنة ثمان وثمانين في رمضان توفي الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله بالطائف وكان قد قرأ كثيرا من العلوم ونجب فيها فحزن عليه حزنا كثيرا رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وعشرين سنة.

{ذكر عزل خورشيد باشا وتولية قاسم باشا الفريق سنة ١٢٨٨}

وعزل خورشيد باشا في شوال سنة ثمان وثمانين وتولى بدله الفريق قاسم باشا وكان أولا محافظا على المدينة ثم صار محافظا لجدة قائما مقام خورشيد باشا في جدة ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقا ولم يعط رتبة الوزارة وجعل اقامته بجدة وأنزل معه الخزينة والكتبة ومكث سنة.

{ذكر عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد باشا الاكز سنة ١٢٨٩}

ثم عزل في شوال سنة تسع وثمانين وتولى بعده محمد رشيد باشا ويلقب اكز وفي سنة تسع وثمانين كان استيلاء عساكر الدولة الذين في اليمن على مدينة صنعاء واستمر محمد رشيد باشا الى سنة احدى وتسعين.

{ذكر عزل محمد رشيد باشا الاكز وتولية محمد رشدي باشا الشرواني سنة ١٢٩١}

فعزل وولى بعده محمد رشدي باشا الشرواني الداغستاني وكان عالما متفننا لانه كان في سلك العلمية وسبب انتقاله الى الملكية انه طلب من شيخ الاسلام رتبة قضاء فامتنع وكان الشرواني صديقا للصدر الاعظم فؤاد باشا فاعطاه رتبة الوزارة وأدخله في سلك الملكية وترقى الى ان ولى الصدارة بعد عالي باشا ومحمود نديم باشا ثم عزل من الصدارة وأعطي ولاية الحجاز فقدم في شهر رجب من سنة احدى وتسعين وتوجه الى الطائف.

{ذكر وفاة محمد رشدي باشا الشرواني وتولية تقي الدين باشا الحلبي سنة ١٢٩١}

وتوفي في أواخر شعبان بالطائف فكانت مدته أقل من شهرين ودفن في قبة الحبر رضي الله عنه في قبر وجيهي باشا وتولى بعده تقي الدين باشا الحلبي وكان مفتيا في حلب كابيه من قبله ثم وقعت فتنة في حلب اتهم بالتسبب لها فوقع بينه وبين أهل حلب تنافر فعزل من الفتوى وتوجه الى دار السلطنة ودخل في سلك الملكية

وأعطي رتبة الوزارة وترقى وولى ولايات منها بغداد وليها سنة واحدة بعد نامق باشا ثم عزل من بغداد وجاء الى دار السلطنة ثم أعطي ولاية الحجاز سنة احدى وتسعين بعد وفاة الشرواني فقدم في ذي القعدة من السنة المذكورة وفي سنة احدى وتسعين ولد للشريف عون باشا مولود سماه محمدا عبد العزيز واستمر تقي الدين باشا الى سنة أربع وتسعين.

{ذكر خلع السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٣ وتولية السلطان مراد خان}

وفي سنة ثلاث وتسعين خلع السلطان عبد العزيز[١] وأقيم في السلطنة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وكان ذلك في السابع من جمادي الاولى من السنة المذكورة ثم توفى السلطان عبد العزيز بعد خمسة أيام من خلعه ثم خلع السلطان مراد في الحادي عشر من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأقيم في السلطنة أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد بن محمود وفي مدته كان الحرب بين الدولة العلية والروسية.

{ذكر ابتداء تعليم أهالي مكة الحركات العسكرية سنة ١٢٩٤}

فاستحسن سيدنا الشريف عبد الله ان أهل مكة يتعلمون حركات العساكر النظامية وكيفية رميهم بالبندقية فصدر الامر منه بذلك لاجل ارهاب روسية واظهار الاستعداد لهم فامتثل الناس ذلك واحضروا لهم البنادق وصار يعلمهم بعض العساكر النظامية الموجودة بمكة فتعلم كثير من الناس في أقرب زمن وكان ذلك في أول سنة أربع وتسعين واستمر التعليم نحو أربعة أشهر ثم تركوا ذلك.

{ذكر وفاة سيدنا المرحوم المبرور سيدنا الشريف عبد الله في ١٤ جمادي الآخرة سنة ١٢٩٤}

وفي هذه السنة توفي سيدنا الشريف عبد الله ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون بالطائف في الرابع عشر من شهر جمادي الآخرة رحمه الله تعالى ودفن في قبة

---

(١) شهادة السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٩٣ هـ. [١٨٧٦ م.]

الحبر رضي الله عنه قريبا من قبر الحبر وكان مريضا بعرق النسا أصابه من سنة تسعين وعولج بعلاجات كثيرة وشفى منه لكن لم يحصل له تمام الشفاء وبقيت آثاره معه بحيث لا يستطيع الركوب على الخيل ولا يركب الاّ في العربة ولا يستطيع المشي الاّ قليلا بشئ يعتمد عليه في يده وما انقطع في جميع المدة عن جلوسه في الديوان ولا عن مقابلته للناس ولا عن سماع الدعاوي وفصل الاحكام وفي هذه السنة طرأ عليه داء الاستسقاء وتقوى عليه من شهر جمادي الاولى الى ان توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وعمره نحو ست وخمسين سنة ومدة امارته نحو تسع عشرة سنة وخلف اثنين من الذكور عليا ومحمدا وأربعا من الاناث وبعد وفاته بايام أعطي ابنه الشريف علي رتبة باشا وكذا الشريف الحسين بن الشريف علي باشا وجاء الامر من الدولة بذلك ولما توفي سيدنا الشريف عبد الله أقام تقي الدين باشا أخاه الشريف عونا باشا وكيلا قائما مقام الامارة وكان أخوه الاكبر منه الشريف حسين باشا بدار السلطنة.

{ذكر توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين وقدومه في شعبان سنة ١٢٩٤}

فوجهت اليه الدولة امارة مكة فقدم في شعبان من السنة المذكورة وتوجه الشريف عون الى دار السلطنة في شوال من السنة المذكورة فاعطى رتبة الوزارة وجعل من أعضاء شورى الدولة.

{ذكر عزل تقي الدين باشا وتولية حالت باشا سنة ١٢٩٤ ووفاته بجدة سنة ١٢٩٦ وتولية ناشد باشا سنة ١٢٩٦}

وفي شهر ذي القعدة من سنة أربع وتسعين عزل تقي الدين باشا من ولاية الحجاز وولى بعده حالت باشا واستمر الى جمادي الآخرة سنة ست وتسعين فتوفي بجدة في شهر جمادي الآخرة وولى بعده ناشد باشا ووصل الى مكة في شعبان من السنة المذكورة وكان سيدنا الشريف الحسين حين وصوله غازيا ناحية تربة ثم وصل

آخر شعبان منصورا مظفرا واستمر سيدنا الشريف الحسين في امارة مكة الى سنة سبع وتسعين وفيها توجه الى جدة في أوائل ربيع الثاني فعند دخول جدة وهو سائر في موكب حافل جاءه رجل أفغاني وقصده وهو راكب كانه يريد تقبيل يده.

{ذكر طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة ونقله الى مكة سنة ١٢٩٧}

فطعنه بسكين في أسفل خاصرته فاشتد عليه الالم فنزل عن جواده وكان قد قرب من الدار التي يريد النزول بها وهي دار عمر نصيف فتعاضده بعض خدمه وأدخلوه الدار فلما علموا انه مطعون طلبوا ذلك الافغاني حتى وجدوه بين الناس فقبضوا عليه ثم توفي سيدنا الشريف الحسين بعد يومين ونقلوه الى مكة ودفنوه بها في قبر والده في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلّى الله عليه وسلّم رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وأربعين سنة وشهور وخلف ثلاث بنات ولم يخلف ذكرا ثم ان ذلك الافغاني الذي طعنه قرر عن سبب قتله وعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشئ ولم يقر بأحد أغراه على ذلك فقتل بعد ذلك.

{ذكر الامارة الثالثة لسيدنا الشريف عبد المطلب سنة ١٢٩٧}

ولما وصل الخبر الى دار السلطنة وكان الشريف عبد المطلب بدار السلطنة وجهت اليه امارة مكة فتوجه من دار السلطنة فلما وصل الى ينبع توجه للمدينة المنورة وأقام فيها أياما ثم رجع الى ينبع وتوجه الى جدة ثم الى مكة ودخلها في الحادي عشر من جمادي الثانية من السنة المذكورة ووالي جدة اذ ذاك ناشد باشا ثم وقع بينه وبينه اختلاف وتنافر لاسباب اقتضت ذلك وذلك ان الشريف عبد المطلب كان في هذا الوقت طعن في السن وكبر فصار كثير من اتباعه المباشرين للمصالح يحسنون له فعل بعض الاشياء فيوافقهم على ما يقولونه ويأمر بها وينسب الناس اليهم انه يأخذون من الناس رشوة في مقابلة تلك المصالح فكثر بسبب ذلك القيل والقال ووقع التنافر بينه وبين ناشد باشا فمن تلك الاشياء التي أوجبت التنافر انهم أخبروه

باشخاص انهم يقع منهم كلام غير لائق فغضب فاحضر ثلاثة منهم وهم عبد الله بن قويحص ومحمد تركي ومساعد الهابط وكان احضارهم ليلا فامر بضربهم فضربوا ضربا كثيرا ثم بعد أيام مات من ذلك الضرب عبد الله ابن قويحص ومحمد تركي وشفي مساعد الهابط فكثر كلام الناس في هذه القضية ومن ذلك انه رأى دارا تجاه داره التي في القرارة في مدة غيبته بناها الشريف مهدي بن أبي طالب الحمودي وكانت عالية مشرفة فقال ان هذه الدار تكشف على داري وفي بقائها ضرر كثير لا أتحمله فامر بهدمها بعد ان أحضر مشرفين أشرفوا عليها ووافقوه على ان في بقائها ضررا وأحضر أولاد الشريف مهدي وقال لهم أدفع لكم أربعة آلاف ريال في مقابلتها وكتب في ذلك حجة عند القاضي ببيعهم اياها له فكانوا يقولون انهم مكرهون في ذلك وبعد هدمها كثر كلام الناس في ذلك ومن أسباب التنافر بينه وبين ناشد باشا أيضا وكثرة كلام الناس انه كتب تقريرا للشريف دخيل الله العواجي في دلالات الحلقة التي يباع فيها الفواكه والخضر فمنع دخيل الله أهلها الذين كانوا يباشرون الدلالات فيها ثم اشتروا منه تلك الدلالات بمبالغ كثيرة وفعل مثل ذلك في دلالات الفحم والحطب والحشيش وقرر فيها أشخاصا من الاشراف وكذلك فعل مثل ذلك في خراجات جمال بعض بيوت مشايخ الجاوي فكثر كلام الناس في ذلك كله وحصل أيضا اختلال في الطرق وعدا كثير من الاعراب في طريق الطائف وجدة والمدينة.

{ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا سنة ١٢٩٧}

ثم ان الدولة عزلت ناشدا باشا ووجهت الولاية لصفوت باشا فوصل الى مكة في أوائل شهر ذي الحجة من السنة المذكورة أعني سنة سبع وتسعين وتوجه ناشد باشا الى دار السلطنة بعد ان حج واستمر صفوت باشا الى سنة ثمان وتسعين وكان الاتفاق بينه وبين الشريف عبد المطلب نحو شهر ثم وقع الاختلاف بينهما أكثر مما كان مع ناشد باشا للاسباب المتقدمة وأسباب غيرها ومعارضات في بعض القضايا واتسع الامر بينهما.

{ذكر عزل صفوت باشا وتولية أحمد عزت باشا سنة ١٢٩٨}

وعند تمام شهر ذي الحجة من سنة ثمان وتسعين عزل صفوت باشا وتولى بدله أحمد عزت باشا الارزنجاني التي كانت ولايته سابقا في سنة تسع وستين في مدة الشريف عبد المطلب في الولاية التي قبل هذه وقبل وصول أحمد عزت باشا وصل الى جدة الفريق عثمان باشا قمندانا على العساكر وقائما مقام أحمد عزت باشا الى قدومه وتوجه صفوت باشا الى دار السلطنة في أوائل سنة تسع وتسعين وقدم أحمد عزت باشا في المحرم من السنة المذكورة واجتمع بصفوت باشا في جدة قبل توجهه وكان أحمد عزت باشا المذكور قد طعن في السنة وبلغ نحو التسعين الاّ انه قوي البنية وكان بين ولايته هذه وولايته الاولى نحو ثلاثين سنة وكان عثمان باشا قمندان العساكر يباشر كثيرا من الاحكام ويعارض الشريف عبد المطلب في كثير منها.

{ذكر عزل أحمد عزت باشا وتوجيه الولاية لعثمان باشا سنة ١٢٩٩}

واستمر الحال على الاختلاف الى عشرين من شعبان من السنة المذكورة أعني سنة تسع وتسعين فجاء الامر في التلغراف بعزل أحمد عزت باشا وولاية عثمان باشا القمندان بدله وهو في رتبة فريق كما كان فتوجه أحمد عزت باشا الى دار السلطنة في رمضان من السنة المذكورة وبقى عثمان باشا واليا وكان لما توجه الى الطائف في شعبان صحب معه مدافع كثيرة وجبخانات وكثر خوض الناس في ذلك وصاروا يقولون انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويريد ولاية الشريف عبد الله باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون امارة الحجاز.

{ذكر كيفية خلع الشريف عبد المطلب من الامارة وتوجيهها للشريف عبد الله باشا في ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٩}

فلما كان ليلة الثامن والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة أخرج بعد نصف الليل كثيرا من العساكر الى المثناة ومعهم مدافع وبعض من الاشراف ذوي عون وعمر باشا رئيس العساكر وطلعوا في الجبال التي في المثناة المحيطة بالدار التي

فيها الشريف عبد المطلب وأطلعوا معهم المدافع ورتبوا ذلك كله بالليل و لم يشعر أحد بهم فلما طلع النهار أرسلوا للشريف عبد المطلب وأخبروه بأنك معزول ومطلوب حضورك لدار السلطنة وانه ورد الينا تلغراف بذلك وبولاية الامارة للشريف عبد الله باشا وأرسلوا له صورة التلغراف الذي قالوا انه ورد اليهم فطلب مهلة الى أن يقضي أشغاله ونظر ورأى العساكر قد ملأت الجبال وأحاطت بداره فلم يعطوه المهلة التي طلبها وبعد ساعة خرج من داره وركب العربة وأحاطت به العساكر الى أن أوصلوه القشلة التي فيها العساكر بالطائف وهيؤا له فيها موضعا فنزل به ووضعوا العساكر للتحفظ عليه محيطة بالموضع الذي نزل به ثم أطلقوا مناديا بالطائف بولاية الامارة للشريف عبد الله باشا استقلالا وأرسلوا الى مكة وفعلوا مثل ذلك فاختلفت آراء الناس فبعضهم يقول انما جعلوا الامارة استقلالا للشريف عبد الله باشا لاجل تسكين العربان وأمن الطرق لانهم لو لم يفعلوا كذلك لم يحصل اطمئنان للناس ولو قالوا انه وكيل ما حصل الاطمئنان ولا تصدق القبائل والعربان وتطمئن الاّ اذا كان الامر كذلك ففعل عثمان باشا كذلك استحسانا منه وأظهر انه انما فعله بامر من الدولة وبعض الناس يقول بل جاء الامر تحقيقا من الدولة بوضع الشريف عبد الله استقلالا وأمنت الطرق واطمأنت الناس وأقبلت القبائل عليه طبق العوائد الجارية ثم نزل الشريف عبد الله الى مكة في النصف من ذي القعدة وكذلك الوالي عثمان باشا وبقى الشريف عبد المطلب وعنده بعض العسكر للمحافظة وبعد الحج أوصلوه الى مكة في داره عند أهله وعلى الدار عسكر للمحافظة.

{ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الرفيق باشا سنة ١٢٩٩}

ثم في أواخر شهر ذي القعدة جاءت الاخبار بالتلغراف من دار السلطنة بأن الدولة العلية وجهت امارة الحجاز لسيدنا الشريف عون باشا وكان مقيما بدار السلطنة كما تقدم وان الشريف عبد الله باشا وكيل عنه الى قدومه فامتثل الشريف عبد الله ذلك وأخذ يهيئ الاسباب اللازمة لقدوم أخيه سيدنا الشريف عون الرفيق

باشا وبعث لمقابلته من جدة أولاد أخيه الشريف حسين باشا ابن المرحوم الشريف علي باشا والشريف علي باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا وبقى الناس في انتظار قدومه الى يوم الثامن من ذي الحجة وكان كثير من الناس توجهوا الى جدة لمقابلته وبقية الناس صعدوا الى عرفة لاداء فريضة الحج وصعد أيضا الى عرفة الشريف عبد الله باشا فلما كان يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة وصل سيدنا الشريف عون باشا الى جدة وكان يمكنه ادراك الوقوف بعرفة لو توجه من جدة مسرعا لكن كان معه شيخ الحرم النبوي وبعض من رجال الدولة ويشق عليهم التوجه الى عرفة بسرعة السير فرعاية لهم بقى معهم بجدة وفات الجميع الحج ووصل الى مكة يوم النحر واستقبله بمكة أخوه الشريف عبد الله باشا ثم صعدوا الى منى جميعا عصر يوم النحر وقرئ فرمان ولايته الذي قدم به معه ثاني يوم النحر على مثل العادة التي جرت في كل سنة فانه في كل سنة في مثل ذلك اليوم يقرأ فرمان التأييد لامير مكة فجرى الامر على مثل العادة الجارية وأقاموا بمنى الى انقضاء أيام منى ثم رجعوا الى مكة وحصل للناس غاية الامن والفرح والسرور ثم توجهت الحجوج والقوافل على طبق العادة الجارية كل سنة.

{ذكر فتنة عرابي بمصر سنة ١٢٩٨ هـ. [١٨٨٠ م.]}

ولنذكر على سبيل الاستطراد الفتنة العظمى التي وقعت بمصر هذه السنة تتميما للفائدة وتسمى فتنة عرابي وكان انتهاؤها في شوال من هذه السنة أعني سنة تسع وتسعين وكان ابتداؤها في سنة ثمان وتسعين لكن الاصل الذي نشأت بسببه وتأسست عليه كان قبل ذلك وذلك ان الاصل الاصيل كان من مدة اسماعيل باشا لانه استدان ديونا كثيرة من الانكليز والفرنسيس وصار التراضي بينه وبينهم على انهم يجعلون أناسا منهم يباشرون المتحصلات من أموال مصر ويضبطونها ويجعلون قسطا منها لمقابلة ديونهم فعينوا أشخاصا من الفريقين لمباشرة ذلك سنة خمس وتسعين ثم ان اسماعيل باشا رأى منهم انهم صاروا يتداخلون في أكثر الامور

ويريدون انه لا يفعل شيئا الاّ باطلاعهم ومعرفتهم فخاف من اتساع الامر وسلب الملك منه فاراد أن يجعل له عصبية من أهالي مصر وان يشكل منهم مجالس ويكون أعضاؤها من العلماء ووجوه الاهالي والعمد من مشايخ البلدان فشرع في ذلك ليكون الامر بيدهم صورة وانه لا يفعل شيئا الاّ بمشورتهم ليدفع بذلك تغلب الانكليز والفرنسيس وتسلطهم ففطنوا لذلك فسعوا في خلعه واقامة ولده محمد توفيق باشا بدله فما زالوا يجتهدون في ذلك حتى تم لهم.

{ذكر عزل اسماعيل باشا واقامة ولده محمد توفيق باشا واليا على مصر سنة ١٢٩٦}

فخلعوه بأمر من السلطنة السنية وأقاموا ولده توفيقا باشا بدله ونفوه وعائلته الى نابولي من بلاد ايطاليا كل ذلك كان سنة ست وتسعين ثم ان الدولة العلية أرادت ان تنقص توفيقا باشا بعض التميزات التي كانت لوالده اسماعيل باشا وتجدد في الفرمان التي تحرر له شروطا فامتنعت دولة الانكليز والفرنسيس من تنقيص شئ واجتهدت في ان الدولة تحرر له فرمان الولاية على مثل ما كان لابيه ويكون عليه من الخراج مثل ما كان على أبيه و لم تزل الدولتان المذكورتان تجتهدان مع الدولة في ذلك الى ان استخرجتا له الفرمان على مثل ما كان لابيه وجعل رئيس الوزارة رياض باشا وكان رئيسا على العساكر أحمد عرابي بيك ثم ترقى وصار أحمد عرابي باشا فاتفق مع كثير من رؤساء العساكر على عزل رياض باشا في النصف من شوال سنة سبع وتسعين و لم يزل الامر في اتساع الى ابتداء شهر جمادي الثانية من سنة تسع وتسعين فحضر في مينا الاسكندرية كثير من الوابورات الحربية التي للانكليز والفرنسيس ووابورات لغيرهم أيضا لاعانة توفيق باشا ومنع عرابي باشا ومن معه من التغلب ومن التجهيزات التي شرع فيها وبقى الامر كذلك حتى انتشبت الحرب بين عرابي وعساكر الانكليز وانتهت بدخول أولئك العساكر مصر وعقاب عرابي وبعض من معه بعقوبات مختلفة الانواع.

ومن الحوادث الغريبة التي وقعت سنة تسع وتسعين انه ظهر رجل ببلاد السودان التي هي في حكم صاحب مصر يقال له محمد أحمد اشتهر عند كثير من الناس انه المهدي وتبعه خلق كثير ووقع بينه وبين العساكر المصرية التي في تلك الاطراف قتال ووقائع كثيرة قتل فيها خلق كثير وتملك من تلك البلاد كردفان ومواضع أخر وحاصر سنارا مدة ثم انهزم عنها وبقيت العساكر المصرية مجتمعة في الخرطوم وبعث اليهم توفيق باشا صحاب مصر امدادات كثيرة من العساكر وغيرها من آلات القتال ومعهم كثير من الانكليز الذين لهم دراية بالحرب وانقضت سنة تسع وتسعين ودخلت سنة ثلاثمائة بعد الالف ومضى منها شهور و لم ينفصل الامر بينهم و بينه.

وفي شهر ربيع الاول من سنة ثلاثمائة توجه الشريف عبد الله باشا الى دار السلطنة ومعه ابن أخيه الشريف ناصر ابن المرحوم الشريف علي باشا فلما وصلا الى دار السلطنة قوبلا بالعز والاكرام وأعطيت رتبة الوزارة للشريف عبد الله باشا وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة وأعطي للشريف ناصر رتبة باشا وأعطي الشريف محمد ابن المرحوم الشريف عبد الله باشا أيضا مثله رتبة باشا وجاءته البشرى بذلك وقبل ذلك بأيام جاءت البشرى بترقية رتبة الباشوية للشريف حسين باشا ابن الشريف علي باشا والشريف علي ابن الشريف عبد الله وصارا في مثل الرتبة التي كان فيها الشريف عبد الله وفي شهر رمضان من هذه السنة أعني سنة ثلاثمائة وألف كانت فتنة في أطراف مكة بخروج بعض العرب من قبائل زبيد وبشر ومعبد وسليم خرجوا في طريق جدة وصاروا ينهبون الحمل الذي يمر بهم وهجم جماعة منهم على جدة في ليلة العاشر من رمضان وحصل من ذلك اضطراب كثير ثم هربوا وكان سيدنا الشريف عون بالطائف فترل في أواخر رمضان وجهز جيشا لغزوهم ووصل به الى عسفان ووقع قتال قليل ثم وقع الصلح وجاؤا طائعين وسكنت الفتنة وأمنت الطرق وسلكت واعتذروا بأن الفاعل لذلك بعض الجهال

منهم ولم يرض الشيوخ به وان الحامل على ذلك أن الحكماء الذين بمكة وجدة يأخذون الغنم التي يجلبونها لمكة ويدفنونها في الارض لان فيها أثر الوباء الذي يسمونه بالكليرة وانه ذهب لهم بذلك أموال كثيرة وان النصارى الذين بجدة يأخذون رقيقهم ويطلقونه من أيديهم ويرفعون الرق عنه حتى عصى عليهم عبيدهم.

وقيل ان من أسباب ذلك حبس الشريف عبد الله بن زين أحد الاشراف ذوي حسين فانه لما قبض على الشريف عبد المطلب قبض عليه وعلى الشريف علي بن سعد السروري وحبسا وطالت مدة حبسهما ويدعي عليهما بدعاوي الله أعلم بصحتها وفي شهر جمادي الآخرة من سنة احدى وثلاثمائة وردت أخبار الى مكة بأن محمد بن حمد القائم بالسودان استولى على الخرطوم وان قصده التوجه الى الصعيد ثم الى مصر وقبل ذلك وقع قتال بين بعض جيوشه وبين الانكليز في بر سواكن وكان المقدم على جيش محمد بن حمد في ذلك القتال عثمان دقنة وتكرر القتال بينه وبين الانكليز في وقائع وكلها يكون النصر فيها له على الانكليز وقتل منهم خلق كثير ثم انهزموا وبقيت جيوش عثمان دقنة في بر سواكن.

وهذا آخر ما انتهى اليه قلم المؤلف رحمه الله تعالى كما هو آخر مسودة هذا التاريخ وذلك منقول بقلم راجي عفو ربه المنان الطبجي محمد سعيد بن محمد بن سليمان لطف الله به وبوالديه ومشايخه وجميع المسلمين وغفر له ولهما ولهم أجمعين ووفقه لما يرضيه من العلم النافع والعمل الصالح ووجهه للخير أينما كان وختم له بالايمان وبجاه سيد الاكوان صلّى الله عليه وسلّم.

(فان لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم)

وذلك يوم السبت الموافق عاشر يوم من شوال من شهور سنة ١٣٠٤ والحمد لله ربّ العالمين.

{يقول الراجي من الله الغفران الفقير اليه تعالى أحمد مروان}

أما بعد أحمد من بيده الملك والملكوت وله العزة والجبروت والبقاء والثبوت وهو الحي الذي لا يموت وهو الاوّل والآخر واليه المصير والباطن والظاهر وهو على كل شئ قدير ورحيق الصلاة العطري وتسنيم التسليم الشذى على من جاءنا بالآيات البينات والمعجزات الباهرات وعلى آله وأصحابه أولي البصيرة المعروفين بحسن السيرة والسريرة فقد تم طبع التاريخ المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام تأليف العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان تغمده الله بالرحمة والرضوان مطرزا هامشه بكتاب ناريخ مكة المشرفة المسمى بالاعلام باعلام بيت الله الحرام وذلك بالمطبعة الخيرية المنشأة بحوش عطي بجمالية مصر المحمية تعلق حضرة السيد عمر حسين الخشاب وحضرة الشيخ محمد عبد الواحد الطوبى على ذمة ملتزمه الفهامة الفاضل الاريب اللوذعي الماهر الاديب حضرة الشيخ أبي بكر بن محمد خوقير النقادة الشهير الكتبي في مكة بباب السلام والمدرس والامام بالمسجد الحرام وكان انتهاء طبعه في أواخر شهر شعبان المعظم من سنة ١٣٠٥ هـ. [١٨٨٧ م.] على سيدنا محمد صاحب الهجرة وآله أكمل الصلاة وأتم التحية

هذا كتاب ارشاد الحيارى

في تحذير المسلمين من مدارس النصارى

تأليف العالم الفاضل الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني

المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ. [١٩٣٢ م.] في بيروت

وهو كان رئيس محكمة الحقوق فيه

سنة طبع هذا الكتاب

نور الله مرقده

آمين

قال في نفح الطيب قال أبومحمد عبد الحق الاشبيلي رحمه الله تعالى:

لا يخدعنّك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا

عمى القلوب عروا عن كل فائدة * لانهم كفروا بالله تقليدا

إرشاد الحيارى

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله على جميع نعمه ولا سيما نعمة الايمان والاسلام * والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الرسل الكرام * وأفضل من هدى الله به الانام * وعلى آله وأصحابه الائمة الاعلام **{أما بعد}** فان من أعظم المصائب على الملة الاسلامية * والامة المحمدية * ما هو جار في هذه الايام * في كثير من بلاد الاسلام * من ادخال بعض جهلة المسلمين أولادهم في المدارس النصرانية * لتعلم بعض العلوم الدنيوية واللغات الافرنجية * وفي ضمن ذلك يتعلمون الديانة المسيحية ويشاركون أولاد النصارى في عباداتهم الدينية * مما هو كفر صريح * لا يرضى به الله تعالى ولا محمد صلّى الله عليه وسلّم ولا المسيح * مع انه تغنى عن تلك المدارس التي افتتحها النصارى والافرنج في البلاد الاسلامية لاغواء أولاد المسلمين وغيرهم المدارس الاسلامية * الكثيرة التي تزيد على المئات والالوف التي افتتحها في سائر انحاء ممالكه المحروسة خليفة العصر حضرة سيدنا السلطان الاعظم أمير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني أعز الله به الاسلام والمسلمين * وأدام له النصر العزيز والفتح المبين * فقد فتح بعون الله تعالى وحسن توفيقه وامداد روحانية نبيه الاعظم * صلّى الله عليه وسلّم * من المدارس في دار خلافته القسطنطينية * وسائر ممالك دولته العلية العثمانية * حرسها الله من كل بلية * ما يغني المسلمين عن التطلع الى مدارس النصارى في علم من العلوم الدنيوية والاخروية * أو لغة من اللغات الشرقية والغربية كل ذلك حرصا منه على سلامة دينهم ودنياهم فهو نصره الله * وحرسه وحماه * بحكم الاب الشفوق لجميع المسلمين * بل هو أحرص منهم على حسن تربية أولادهم بالصفة المشروعة التي تجمع بين سعادة الدنيا والدين * وسلامة عقائد المسلمين * والحمد لله رب العالمين * فلما رأيت ذلك كذلك * وعلمت يقينا ان

كل من أدخل ولده من المسلمين الى تلك المدارس النصرانية فقد ألقى نفسه وولده في أعظم المهالك * وعرفت انه لا يجوز لي بل ولا لغيري من أهل الملة الاسلامية * السكوت على هذه المنكرات التي هي على الملة والامة أعظم بلية * ألفت هذا الكتاب النافع لكل من يقبله ويقبل عليه * من اخواني المسلمين المحتاجين اليه * منذرا به كل من يبلغه منهم في سائر الاقطار * مبينا فيه طريق الجنة وطريق النار * حتى لا يكون عذر من الاعذار * عند الله تعالى الواحد القهار * لمن يفعل هذا المنكر أو يسكت عليه مع القدرة على انكاره بوجه من وجوه الانكار وسميته (**ارشاد الحيارى * في تحذير المسلمين من مدارس النصارى**) ورتبته على مقدمة وأربعين فصلا وخاتمة وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم * وأن ينفع به النفع العميم * بجاه نبيه سيدنا محمد الرؤف الرحيم * عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والتسليم *{**تنبيه**}* قد رتبت فصول هذا الكتاب الاربعين بحسب ما ألهمني الله تعالى وقت تأليفها وكتابتها وقد تكرر فيها قليل من المعاني وقت الكتابة فابقيتها بعد تمامها على وضعها وقت التأليف و لم أتصرف فيها بتأخير مقدم أو تقديم مؤخر ولا بحذف شئ مما تكرر لان التكرار فيه نفع وليس في التقديم والتأخير أدنى ضرر (**واعلم**) قبل الشروع في المقدمة ان بعض المنكرات لا تحتاج لاقامة دليل يثبت انها أمر منكر بل بالنظر الى شدة قبحها وظهور شناعتها * يكفي في انكارها مجرد حكاية حالها * مثلا اذا زني رجل بإمرأة نهارا في الملإ العام في مجمع الناس فهذا لا يلزمك اقامة دليل لتقبيح فعله بل مجرد حكاية حالته هذه القبيحة كاف للانكار والتشنيع عليه ومن ذلك بل أعظم والله من ذلك ما ارتكبه هؤلاء الفساق المرّاق من جهلة المسلمين من ادخال أولادهم في مدارس النصارى ولا سيما على الشروط الآتية فاذا قلت فلان المسلم أدخل ولده الى مدرسة نصرانية بشرط ان يتعلم دين النصارى ويدخل الى الكنيسة مع أولاد النصارى ويعبد معهم عبادة النصارى فهذا الفعل بالنظر لكونه بلغ منتهى القباحة والشناعة كما ان فاعله بلغ منتهى الضلال والرقاعة * لا يحتاج لاقامة

دليل على اثبات قباحته وكونه من أنكر المنكرات * وأشنع الشناعات * بل مجرد حكايته * كاف لاظهار شناعته * وذم من ارتكبه من الجهال * وأهل الفسوق والضلال ويا ليت شعري اذا كان هذا الجاهل الفاسق أو المنافق المارق * لا يخشى الله ولا يستحي من الله ولا يخاف من العقاب والحساب لم لا يستحي من جماعته وأهل ملته الذين يعيش هو وولده معهم في عار وشنار * بعد ارتكابه هذه الافعال التي لا يرتكبها الاّ الاشرار * بل والله انه يسقط أيضا من عين الكفار * لأنهم يقولون ان هذا الرجل ليس له دين فلا ينظرونه نظر أمين * لعلمهم انه لا يريد تنصير ولده حقيقة بادخاله مدرستهم على شروطهم وانما يعلمون ان تهاونه في دينه أداه الى قبول ذلك * غير مبال بما يلحقه ويلحق ابنه في دينهما من المهالك * ومثل هذا أعظم عذر له قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**اذا لم تستح فاصنع ما شئت**) وهو قد نزع ربقة الحياء * وصار عنده الكفر والايمان والمدح والذم سواء * وهذا أوان الشروع في مقدمة الكتاب * والحمد لله الهادي الى الصواب.

{المقدمة تشتمل على مبحثين المبحث الاول في بعض ما ورد في النصيحة من الآيات القرآنية والاحاديث النبيوة وقد اختصرته كالمبحث الثاني من شرح مسلم ورياض الصالحين للامام النووي وشرحه لابن علان سوى عبارة الشيخ الاكبر فقد نقلتها من كتابه}

قال الله تعالى اخبارا عن نوح صلى الله على نبينا وعليه وسلم عما قاله لقومه (**وأنصح لكم**) قال السلمي في الحقائق قال بعضهم أنصح لكم أي أدلكم على طريق رشدكم وقال شاه الكرماني علامة النصيحة ثلاثة اغتمام القلب بمصائب المسلمين وبذل النصح لهم وارشادهم الى مصالحهم وان جهلوا وكرهوه * وقال تعالى مخبرا عن قول هود صلى الله على نبينا وعليه وسلم لقومه (**أنا لكم ناصح**) أي فيما آمركم به من عبادة الله تعالى وترك ما سواه (**أمين**) على تبليغ رسالته وأداء النصح * وأما الاحاديث فكثيرة روى مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ان

النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**الدين النّصيحة**) أي هي عماد الدين وقوامه كقوله (**الحجّ عرفة**) أراد صلّى الله عليه وسلّم المبالغة في مدح النصيحة حتى جعلها كل الدين وان كان الدين مشتملا على خصال كثيرة غيرها (قلنا لمن قال لله) قال الخطابي النصيحة لله تنصرف الى الايمان به ونفي الشريك عنه وترك الالحاد في صفاته وأسمائه ووصفه بصفات الجلال والكمال وتنزيهه عن جميع أنواع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمه وشكره عليها والاخلاص في جميع الامور والدعاء الى جميع الاوصاف المذكورة والحث عليها ولتلطف بالناس وتعليم ذلك لمن أمكنه منهم علمها قال وحقيقة هذه الاوصاف راجعة الى العبد في نصحه نفسه فانه تعالى غني عن نصح الناصحين وعن العالمين (ولكتابه) قال العلماء النصيحة له الايمان بانه كلام الله وتنزيله لا يشبهه شئ من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد منهم وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها واقامة حروفه في التلاوة والذب عنه تأويل المحرّفين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وامتثاله والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه وسائر وجوهه ونشر علومه والدعاء اليه والى ما ذكرنا من نصيحته (ولرسوله) ونصيحته صلّى الله عليه وسلّم تصديقه على الرسالة والايمان بجميع ما جاء به وطاعته في أوامره ونواهيه ونصرته حيا وميتا ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه واعظام حقه وتوقيره واحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر أحاديثه واستفادة علومها والتفقه في معانيها والدعاء اليها والتلطف في تعليمها واعظامها واجلالها والتأدب عند قرائتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم واجلال أهلها لانتسابهم اليها والتخلق باخلاقه صلّى الله عليه وسلّم والتأدب بآدابه ومحبة آله وأصحابه ويبغض أرباب البدع في السنة والمتعرضين لاحد من الصحابة رضي الله عنهم (ولأئمة المسلمين) ونصيحتهم

بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب المسلمين لطاعتهم وان لا يغرهم بالثناء الكاذب عليهم ويدعو لهم بالصلاح هذا كله بناء على ان المراد بهم الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين وهذا هو المشهور وحكاه الخطابي ثم قال وقد يُتَأَوَّلُ ذلك على الائمة الذين هم علماء الدين ونصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الاحكام واحسان الظن بهم (وعامّتهم) وهم عموم المسلمين ونصحهم بارشادهم لمصالحهم في دنياهم وأخراهم واعانتهم عليها بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاّتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وان يحب لهم كما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويذب عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم بالقول والفعل وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وقد كان في السلف من تبلغ به النصيحة الى الاضرار بدنياه ولم يبال بذلك قال ابن بطال وهذا الحديث يدل على ان النصيحة تسمى دينا واسلاما وان الدين يقع على القول والنصيحة فرض كفاية يجزئ فيه من قام به ويسقط عن الباقين وهي لازمة على قدر الطاقة والحاجة اذا علم الناصح انه يُقْبَلُ نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فاذا خشي أذى فهو في سعة * وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال (بَايَعْتُ) أي عاهدت النبي صلّى الله عليه و سلّم (على اقام الصلاة وايتاء الزّكاة والنصح لكل مسلم) * وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم انه قال (**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لاخيه من الخير ما يحبّ لنفسه**) قال ابن الصلاح[١] وهذا قد يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك اذ معناه لا يكمل ايمان أحدكم حتى يحبّ لاخيه في الاسلام ما يحبّ لنفسه * وفي الحديث الصحيح (**المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمّى**)

---

(١) عثمان ابن الصلاح الشافعي توفي سنة ٦٤٣ هـ. [١٢٤٥ م.]

وقال سيدي الشيخ الاكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه[١] في أول كتابه الامر المحكم المربوط بما يلزم الشيخ والمريد من الشروط ما نصه لما قال الله تعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلّم (**وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْاَقْرَبِينَ** * الشعراء: ٢١٤) دعا محمد صلّى الله عليه وسلّم قرابته ووقف على الصفا وأخذ ينذرهم ويقول ما أمر به ان يقول على ما ذكره مسلم[٢] في صحيحه وخرج مسلم أيضا في الصحيح عن النبي صلّى الله عليه وسلّم انه قال الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم والاقربون أولى بالمعروف في حكم الشرع والاقربون على نوعين قرابة طينية وهي قرابة النسب وقرابة دينية والمعتبر في الشرع القرابة الدينية فان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول لا يتوارث أهل ملتين فلولا الدين ما ورثت قرابة الطين شيئا ولقد أشار شيخنا أبوالعباس اشارة بديعة وذلك اني دخلت عليه يوما فقلت الاقربون أولى بالمعروف فقال الى الله تعالى وقال الله سبحانه وتعالى (**اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اِخْوَةٌ** * الحجرات: ١٠) فاذا ثبت الايمان كانت الاخوة واذا كانت الاخوة كانت الشفقة والرحمة ولا معنى للشفقة والرحمة الاّ ان تنقذ أخاك من النار الى الجنة وتنقله من الجهل الى العلم ومن الذم الى الحمد ومن النقص الى الكمال فانه لا يكمل ايمان العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه على ما ذكره مسلم في مسنده والمؤمنون يد واحدة على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فاعلم ان المؤمنين بهذا الحكم يجب نصحهم وانباههم من الغفلة وايقاظهم من نوم الجهالة وانقاذهم من شفا الحفرة النارية التي هم عليها انتهى كلام سيدي محي الدين رضي الله عنه ونفعنا ببركاته قال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه فقد ظهر ان النصيحة مطلوبة شرعا طلبا مؤكدا غاية التأكيد لجعلها نفس الدين بقوله صلّى الله عليه وسلّم (**الدين النّصيحة**) ومع ذلك فهي على مراتب كثيرة أعلاها ما يتعلق في أمور الدين ولا

---

(١) محي الدين محمد العربي توفي سنة ٦٣٨ هـ. [١٢٤٠ م.] في الشام

(٢) الامام مسلم المحدث الشافعي توفي سنة ٢٦١ هـ. [٨٧٥ م.] في نيشابور

سيما ما يتعلق في أساسه بحيث يخشى على من تلزمك نصيحته مفارقته للاسلام والعياذ بالله تعالى لتعاطيه أسبابا قد يجهلها فحينئذ تجب نصيحته وتنبيهه على تلك الاسباب ويتأكد ذلك على كل من عرفها غاية التأكيد الذي ما فوقه تأكيد ومن ذلك ما هو واقع في هذه الايام في بعض البلاد من ادخال بعض جهال المسلمين أولادهم الى مدارس النصارى فيمكثون فيها سنوات عديدة * ويخرجون وقد انحلت منهم في الغالب العقيدة * ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم * ونسألك اللّهمّ بجاه نبيك سيدنا محمد الرؤف الرحيم * عليه أفضل الصلاة والتسليم * أن تديم علينا وعلى جميع المسلمين * نعمة دينك المبين * والهداية الى صراطك المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

المبحث الثاني في الامر بالمعروف والنهي عن المكر

قال الله تعالى (**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ اِلَى الْخَيْرِ** * آل عمران: ١٠٤) وهو كل ما يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل كناية عن الاسلام (**وَيَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** * آل عمران: ١٠٤) وقوله تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** * آل عمران: ١١٠) فمن تحقق فيه هذا الوصف فهو من أفضل الامة * وقال تعالى (**خُذِ الْعَفْوَ وَاْمُرْ بِالْعُرْفِ وَاَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** * العراف: ١٩٩) وقال تعالى (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ** * التوبة: ٧١) قال السُّلَمي في الحقائق أي أنصار يتعاونون على العبادة ويتبادرون اليها وكل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويعينه على سبيل نجاته ألا ترى ان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا**) * وقال صلّى الله عليه وسلّم (**المؤمنون كالجسد الواحد**) * وقال أبوبكر الورّاق المؤمن يوالي المؤمن طبعا وسجية (**يَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** * آل عمران: ١٠٤) ضدّ وصف المنافقين وقال تعالى (**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي اِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ**

عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَاكَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ اَنْفُسُهُمْ اَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ اَوْلِيَآءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * المائدة: ٧٨-٨١) وقال تعالى (**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ** * الكهف: ٢٩) أي الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى (**فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ** * الكهف: ٢٩) أي لا أبالي بايمان من آمن وكفر من كفر وفي الحقائق للسلمي[١] قال ابن عطاء الله[٢] أظهر الحق للخلق سبيل الحق وطريق الحقيقة فمن سالك فيه بالتوفيق ومعرض عنه بالخذلان فمن شاء الحق له الهداية هداه الى طريق الايمان ومن شاء له الضلالة سلك به مسلك الكفر والضلال البعيد وقال تعالى فاصدع أي اجهر بما تؤمر وقال تعالى (**فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ اَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَاَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ**) أي شديد (**بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ*** الاعراف: ١٦٥) والآيات في ذلك كثيرة وأما الاحاديث فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**من رأى منكم**) أي معشر المكلفين القادرين من المسلمين فهو خطاب لجميع الامة حاضرها وغائبها (**منكرا فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان**) فهو فرض عين لا يسقط عن أحد بحال والرضى بالمنكر من أقبح المنكرات وروى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**مثل القائم في حدود الله**) أي المنكر لها (**والقائم في دفعها وازالتها**) والمراد بالحدود ما نهى الله عنه (**والواقع فيها**) أي مرتكبها (**كمثل قوم استهموا على سفينة**) أي اقترعوا على أمكنة الجلوس فيها (**فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الّذين في أسفلها اذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم**

---

(١) محمد السلمي توفي سنة ٤١٢ هـ. [١٠٢١ م.] في نيشابور

(٢) تاج الدين أحمد ابن عطاء الله توفي سنة ٧٠٩ هـ. [١٣٠٩ م.] في مصر

وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) وهكذا اقامة الحدود تحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه والاّ هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضى بها ففي الحديث استحقاق العقوبة على العموم بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وروى الترمذي وقال حديث حسن عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال **(والّذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه)** أي بجور الولاة أو ستلط العدى أو غيره من البلاء ثم **(تدعون فلا يستجاب لكم)** وفيه ان المنكر اذا لم ينكر عم شؤمه وبلاؤه فاعله وغيره كما صح في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها انها قالت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم من جملة حديث **(أنهلك وفينا الصّالحون)** قال **(نعم اذا كثر الخبث)** وفسره الجمهور بالفسوق والفجور ومعناه ان الخبث اذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وان كثر الصالحون ففيه بيان شؤم المعصة والتحريض على انكارها قال جامعه عفا الله عنه واذا كان الهلاك العام يترتب على شؤم المعصية وعدم انكارها فما بالك بشؤم الكفر وعدم انكاره كادخال أولاد المسلمين الى مدارس النصارى بالشروط المعلومة المشؤمة التي يترتب عليها كفرهم وكفر آبائهم وأوليائهم الراضين بذلك واعلم انه ليس المراد بالهلاك نزول بلاء على مرتكب الذنب والراضي به يموتون به أو يصابون بانواع المصائب الدنيوية فقط بل يعم ذلك المصائب الدينية بل هي أعظم في الهلاك ولا سيما اذا بلغت الى درجة الكفر والاشراك والعياذ بالله تعالى والى هنا انتهت المقدمة فلنشرع في الفصول.

{الفصل الأوّل}

في بيان الطريق لتأديب أولاد المسلمين في أول نشوهم قد جمعت هذا الفصل من كتاب رياضة النفس وتهذيب الخُلُق من احياء علوم الدين للامام الغزالي وقد ذكر في تهذيب الصبي نفائس أخرى فليراجعها من شاءها وانما اقتصرت منها على ما يلزم

هنا قال رحمه الله تعالى اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور وأوكدها والصبيّ أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عوّد الخير وعلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عوّد الشرّ وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عزّ وجلّ (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا قُوا اَنْفُسَكُمْ وَاَهْلِيكُمْ نَارًا** * التحريم: ٦) ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرآن ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الاّ امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبيّ انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التميز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الاّ لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شئ دون شئ وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يُهْمَلَ بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه * ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الاخيار وحكايات الابرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ أي يمنع من الاشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ومن مخالطة الادباء الذين يزعمون أن ذلك من الظّرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد * ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شئ من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء * ومهما بلغ سنّ التمييز

فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ويعلّم كلّ ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرّف أسرار هذه الامور فيذكر له أن الاطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وأن الدنيا كلها لا أصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممرّ لا دار مقرّ والآخرة دار مقرّ لا دار ممرّ وأن الموت منتظر في كل ساعة وان الكيّس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبيّ اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الامور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبيّ بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى احد الجانبين قال صلّى الله عليه وسلّم (**كلّ مولود يولد على الفطرة وانّما ابواه يهوّدانه أو ينصّرانه ويمجّسانه**) انتهى كلام الامام الغزالي باختصار فانظر رحمك الله أيها المسلم العاقل المشفق على نفسه وولده كيف منع هذا الامام الكبير من تعليم أولاد المسلمين في حين تأديبهم في صغرهم الاشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ومخالطة أهلها خوفا على قلوبهم من بذر الفساد فكيف تراه يقول فيمن يدخل ولده مدارس النصارى فيتعلمون دينهم ويدخلون كنائسهم ويتعبدون فيها بعبادتهم مع أولادهم ويخالطونهم ويتعلمون منهم ويعيشون معهم ليلا ونهارا عدة سنين ما كان يخطر في بال أحد انه يأتي على المسلمين زمان يقع فيه من بعضهم مثل هذا الامر الشنيع والفعل الفظيع واذ قد وقع ذلك الآن في كثير من البلدان وجب علينا الانكار وتمييز سبيل الجنة من سبل النار.

{الفصل الثاني}

إعلم اني أقمت في مدينة بيروت مدة طويلة تزيد الى الآن على خمس عشرة سنة فاطلعت فيها على شئ من احوال هذه المدارس النصرانية التي لا يجوز لكل مسلم أن يدخل اليها ولده أو من له حكم عليه بوجه من الوجوه وبيروت هذه هي أعظم مدن سواحل البحر الشامي وقد صارت في الازمنة الاخيرة مجتمع الواردين من الاقطار البعيدة والقريبة من المسلمين وغيرهم ولذلك كان للافرنج فيها عناية مخصوصة ففتحوا فيها المدارس العظيمة وأنفقوا عليها النفقات الكثيرة وعمّموا فيها التعليم وقبول التلاميذ من سائر الملل ولكنهم جعلوا من أهم شروطها تعليم دين النصارى وفعل العبادة النصرانية في كنيسة المدرسة لكل التلاميذ و لم يفرّقوا في ذلك بين أولاد النصارى وأولاد المسلمين فأولاد المسلمين ما داموا في تلك المدارس هم نصارى كأولاد النصارى من غير فرق وها أنا اسوق لك العبارة التي كنت قبل سنوات كتبتها على ظهر كتابي أفضل الصلوات على سيد السادات صلّى الله عليه وسلّم ثم أتكلم بعدها بما يفتح الله به وهي (بلاء عظيم يجب التيقظ له) ان مدارس الافرنج التي يفتحونها في البلاد الاسلامية يجعلون من أهم الشروط لدخولها تعليم التلميذ ولو كان مسلما دين النصرانية ودخوله في جملة التلاميذ النصارى الى الكنيسة في كل يوم الى العبادة وفعله معهم الافعال الدينية ومن لا يقبل هذا الشرط لا يقبلونه ويوجد في بيروت جملة من هذه المدارس وفيها بعض أبناء المسلمين منها المدرسة اليسوعية ومدرسة المطران المارونية وهم لا يُلاَمون على ذلك لانهم يفعلون في مدارسهم ما يوافقهم ويبيّنون شروطهم ولا يجبرون أحدا على الدخول وانما اللوم العظيم على المسلم الذي يرضى بدخول ولده الى هذه المدارس ينام ويقوم ويدخل الكنيسة على الشرط المعلوم والذي أقوله إن المسلم الحقيقيّ لا يدخل ولده هذا المدخل الخطير الاّ لجهله بشرطهم المذكور او لجهله بالحكم الشرعي في ذلك أما شرطهم فها هو نعلنه ليعلمه كل احد وأما الحكم الشرعي في ذلك فهو شائع في

كتب الشريعة الغرّاء ولا يخفى على أحد من العلماء وها أنا أقتصر على نقل عبارة الامام القاضي عياض في كتابه الشفاء الشريف ليعلم حكم ذلك كل أحد ولا يبقى عذر بعده لمسلم قال رحمه الله تعالى في أواخر كتابه المذكور بعد أن ذكر أشياء كثيرة من المكفّرات وكذلك نكفّر بكل فعل أجمع المسلمون انه لا يصدر الاّ من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع أهلها والتزيي بزيهم من شدّ الزنانير وفحص الرؤس فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد الاّ من كافر وأن هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام انتهت عبارته بحروفها وبعد نشر عبارة هذا الامام ومعرفة الحكم الشرعي في دين الاسلام واعلان شرط الدخول في هذه المدارس لم يبق عذر لمن يدّعي الجهل في ذلك من المسلمين فاذا أبقى أحد منهم بعد هذا ولده في تلك المدارس وأمثالها فما هو الاّ من فقد اليقين وعدم المبالاة بأمر الدين نعوذ بالله من غضب الله انّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور وحينئذ يجب على الحكومة اخراج أولئك المساكين رغما عن أوليائهم * الذين هم أصل بلائهم * ووضعهم في مدارسها الكافلة بتعليمهم وتهذيبهم * وتدريبهم وتأديبهم مع السلامة من كل محذور خدمة للدولة والدين * وحاميها سيدنا أمير المؤمنين نصره الله تعالى.

{الفصل الثالث}

وانظر أيها المسلم العاقل رحمك الله * وأرشدك الى ما فيه رضاه * الى اجتهاد الدول الافرنجية في فتح المدارس في بلاد الاسلام * وانفاقهم عليها النفقات الكثيرة على ممر الشهور والاعوام * واعتنائهم بشؤونها الاعتناء التام * أتراهم يا أخي يفعلون كل ذلك شفقة منهم على ابنك المسلم الذي ليس هو من ملتهم ولا من دولتهم وحرصا على نجاحه كلاَّ والله لم يفعلوا ذلك الاّ لمقاصد مهمة * وفوائد لهم كثيرة جمة * تقابل نفقاتهم واتعابهم أضعافا مضاعفة وهي كلها عليك وعلى ابنك وعلى

دينك وأهل ملتك دواهي عظمى *ومصائب كُبرى * يعلم ذلك جميع العقلاء * ولا يخفى الاّ على الجهلة الاغبياء * فمن فوائدهم أنهم يخرجون هؤلاء الصبيان الذين يتعلمون في مدارسهم من دين الاسلام اخراجا حقيقيا بقلوبهم وان بقوا في الظاهر مسلمين ويستجلبون محبتهم لهم محبة ممتزجة بلحمهم ودمهم ينشؤن عليها ويعيشون عليها وذلك بتعلمهم لغاتهم وعوائدهم وكتبهم وأحوال مشاهيرهم وتراجمهم يرويها لهم المعلمون باجمل الروايات وفي ضمن ذلك يذمون لهم عقائد الاسلام ومشاهير المسلمين وأئمة الدين حتى ربما يتجاوزون الى سيد المرسلين * وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وتتكرر هذه الامور على سمع الصبي المسلم في عدة سنين فلا يخرج من المدرسة الاّ وقد تجرد بالكلية * من دينه وحميته الاسلامية * وصارت تلك الدولة الممدّة للمدرسة التي تعلم فيها أحب اليه من دولته وجنسيتها أحب اليه من جنسيته * معتقدا فيها وفي رجالها الكمال وهو لم يتعلم شيئا من دين الاسلام * وسيرة نبيه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام * ومناقب أصحابه الهداة المهديين وفضائل أئمة دينه المبين * وأحوال خلفائه الراشدين * ومن بعدهم من السلاطين * والامراء العادلين * بل روى له عنهم شياطين أولئك المعلمين عكس أوصافهم الجميلة * ومناقبهم الجليلة فاعتقد فيهم خلاف الكمال الذي اعتقده على خلاف الحقيقة في أعداء دينه ودولته وهؤلاء التلاميذ يكبرون ويعيشون في الظاهر من جملة المسلمين * وفي الحقيقة هم أعداء للدولة والدين * وقد أشربت قلوبهم الزندقة والضلال المبين * وترى الواحد منهم لا يجد خلوة مع من يشاكله في ضلاله * وسوء حاله * الا ويتذاكر معه في الاعتراضات على دين الاسلام * ودولة الاسلام وعوائد المسلمين ويمدحون تلك الدولة صاحبة المدرسة التي كملوا فيها دروس الضلال * وتجردوا من الدين والكمال * ولا يزال يخرج من هؤلاء الزنادقة في كل سنة من هذه المدارس النصرانية عدد كثير فيجتمع منهم في عدة سنين الجم الغفير جلّهم أو كلهم على هذا الحال * قد جعلوا الحق وراءهم ظهريا وما بعد الحق الاّ

الضلال ومما يؤيد ما قلته من مقاصد الافرنج في فتح هذه المدارس ما ذكره الفاضل محمد أفندي طلعت المصري في أواخر كتابه تربية المرأة نقلا عن مجلة سماها صاحبها مجلة العلالمين لاحد مشاهير كتاب الافرنج بين فيها ما يبذله قومه من المساعي والاموال في سبيل تغيم النصارى في الشرق وغرس محبة دولته في أفئدتهم ليكونوا لها مصانع واحزابا ثم قال ومع ذلك فهذه المساعي لم تنتج تمام الغاية المقصودة منها لتباين الطوائف النصرانية فمن الضروري اذا جمع شتات هذه الفرق حتى لا يعاكس بعضها بعضا ومتى صاروا فرقة واحدة تمكنوا من مقاومة المسلمين والاعتلاء عليهم وفي كلامه على المدارس النصرانية التي اتخذوها سبيلا الى غاياتهم المنكرة شطريه القلم فأظهر ما تكنه صدور القوم من العداوة والبغضاء لدين الله تعالى قائلا ان من الواجب على الامم النصرانية أن تعاكس الاسلام في كل طريق وتحارب أهله بكل سلاح ثم رأى أن مقاومة الاسلام بالقوة لا تزيده الاّ انتشارا وأن الواسطة الفعالة لهدم أركان الاسلام وتقويض بنيانه على ما قال هي تربية بنيه في المدارس النصرانية والقاء بذور الشك في نفوسهم من عهد النشأة فتفسد عقائدهم الاسلامية من حيث لا يشعرون وان لم يتنصر منهم احد فانهم يصيرون لا مسلمين ولا نصارى مذبذبين بين ذلك قال وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الاسلام وبلاده مما اذا اعتنقوا الديانة النصرانية وتظاهروا بها ولما انتقل الى ذكر تربية بنات المسلمين نفض كل ما في جرابه فقال ان تربية أولاد المسلمين في المدارس النصرانية وان كان لها من التأثير ما بيناه فان تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا الى نفس الغاية التي وراءها نسعى بل أقول ان تربية البنات بهذه الكيفية هي التربية الوحيدة للقضاء على الاسلام من يد أهله ثم ذكر ما يترتب على دخول مدارسهم من تغيير أخلاق المرأة المسلمة حتى تتغلب على زوجها ثم قال ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرة وأصبح الرجل في قبضة تصرفها فتؤثر في عقيدته وتبعده عن الاسلام وتربي أولادها على غير دين أبيهم وفي اليوم الذي تغذى

الام فيه أولادها بلبان هذه التربية تكون قد تغلبت على الاسلام نفسه فتلك هي أقرب الطرق وانجح الوسائل لمحاربة الاسلام باهله دون جلبة ولا ضوضاء وهي لا شك أدعى لنوال المآرب وبلوغ المرام فليس لنا الاّ اتباعها أما السعي جهارا في محاجة المسلم فانه يوقظ عوامل التعصب الكامنة في نفسه الساكنة بين جوانحه فلا يمكن تذليله وهذا ليس من الحزم في شئ انتهى كلام الكاتب المذكور قال بعده محمد أفندي طلعت هذه نفثات مصدور اكتفى بالاشارة اليها دون تعليق عليها وأرجو ان تكون عبرة للآباء وذكرى للامهات والابناء اهـــ فليعتبر العاقلون وانا لله وانا اليه راجعون.

{الفصل الرّابع}

إن المدارس المذكورة على ما فيها من هذه الاحوال والاهوال التي يأباها كل من في قلبه مقدار ذرة من الايمان من أهل الاسلام صارت محطّ نظر الفساق والمراق من جهلة المسلمين في الجهات القريبة والبعيدة يرسلون اليها أولادهم بقصد تعليمهم اللغات الافرنجية ولا يبالون بما يضيّعونه من دين الاولاد وما يلحق عقائدهم الصحيحة من الفساد ولا شك ان الحامل لهم على ذلك مع شدة رغبتهم في الدنيا وأسباب الوصول اليها هو جهلهم بما يطرأ على أولادهم في تلك المدارس من المفاسد وخلل العقائد * هذا اذا لم يكن ذلك الاب هو نفسه مختل العقيدة مستهترا بالدين * لا يجمعه الاّ مجرد الاسمية وظاهر الجنسية مع المسلمين * وهذا لم يختر لولده المكين الاّ ما اختاره لنفسه من الضلال المبين * الذي هلك فيه منذ حين * أما الجاهل فيمكن تعليمه وارشاده فمتى عرف الحق واهتدى الى الصواب يرجى رجوعه الى ذلك وانقاذ نفسه وولده من هذه المهالك * ومن ذلك اني كنت نصحت مسلما من أهل بيروت وضع ثلاثة أولاد له في احدى هذه المدارس فطلبت منه اخراجهم ووضعهم في مدارس المسلمين * الاميرية أو الاهلية فكلها متكفلة بتعليمهم ما يحتاجون اليه من أمور الدنيا والدين مع السلامة من تلك المفاسد المحقق وقوعها في عقائدهم في غير

مدارس المسلمين * فقال لي انه أمين على ان أولاده لا يصيرون نصارى بدخولهم في مدارسهم لان دينهم ظاهر البطلان ولذلك نرى معظم أهله الذين نشؤا عليه وورثوه عن آبائهم وأجدادهم لا يعتقدون صحته لما فيه من المناقضات والمخالفات التي يأباها كل ذي ذوق سليم * وعقل مستقيم * فقلت له صدقت ولكن الاولاد * اذا دخل على عقائدهم الفساد * فقد صاروا كفارا سواء دخلوا في دين النصارى أو لم يدخلوا و لم أزل أراجعه في ذلك حتى فهم الحقيقة وعرف الحق فاخرجهم وأدخلهم في مدارس المسلمين * والحمد لله ربّ العالمين.

{الفصل الخامس}

يدخل الولد من أولاد المسلمين الى هذه المدارس النصرانية وهو سليم العقيدة جازم بوحدة الله تعالى ورسالة رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم مؤمن بأن الدين عند الله الاسلام وان الاديان كلها سواه باطلة لا يقبله الله تعالى شيئا منها ليس في عقيدته هذه أدنى ريب لانه فتح عينيه على ذلك * ورأى أن والديه وأقاربه وأهل ملته كذلك * وتعلم من معلمه القرآن ومبادي العقائد الاسلامية فلو دام على ذلك وعاش عليه لبقي من أهل الاسلام * وانتهى به الامر الى دخول الجنة بسلام * ولكنه قبل ان تثبت في قلبه العقائد الاسلامية الثبوت الذي لا يتزلزل يدخل المدرسة من هذه المدارس النصرانية فتنصر ظاهرا بقبوله الدخول مع أولاد النصارى الى الكنيسة وعبادته مثلهم ويتعلم أحكام دينهم فيربيه معلموه على ذلك والمرء على ما ربى والتعليم في الصغر كالنقش في الحجر وهو صغير لم ترسخ بعد في قلبه عقائد الاسلام تمام الرسوخ و لم يعرف من أحكام دينه دين الاسلام الاّ القليل فحينما يستمر مدة على هذا الحال ينفث الشيطان وأعوانه المعلمون واخوانه التلاميذ الضالون احتمال صحة دين النصارى الذي هو اذ ذاك مشغول بتعلمه والتعبد به فمن حصل له ذلك ووقع في قلبه احتمال صحة دين النصارى يخرج الايمان من قلبه ويصير كافرا ظاهرا وباطنا والعياذ بالله تعالى.

{الفصل السادس}

كلما دام التلميذ المسلم في تلك المدارس تزداد عقيدته فسادا ويزداد هو بعدا عن الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ودين الاسلام وبقدر هذا البعد يكون قربه من الشيطان وأعوانه وتوغّله في الكفر درجة درجة ولا يزال يتقدم في الزندقة والالحاد خطوة خطوة وتدخل عليه الشكوك في العقائد الاسلامية واحدة واحدة حتى يفارق الدين * ويصير من جملة الكفرة الملعونين * ولا يحتاج في خروجه من المسلمين ودخوله في زمرة الكافرين * الاّ الى الشك في عقيدة واحدة من عقائد دين الاسلام كالشك في صحة شئ مما هو معلوم من الدين بالضرورة مما جاء به سيدنا محمد سيد الانام * عليه الصلاة والسلام كأن يشك في صحة آية واحدة من القرآن أو البعث بعد الموت والحساب والجنة ونعيمها الدائم الذي لا نهاية له للمؤمنين * والنار وعذابها الدائم الذي لا نهاية له للكافرين * فمتى دخل عليه أدنى شك في شئ من ذلك فقد صار كافرا مستحقا للخلود في النار والعياذ بالله تعالى ومتى استمر في تلك المدارس على هذه الحالة التعيسة يصير يترقى في مراتب الكفر والشقاوة والزندقة والالحاد شيئا فشيئا وهو بذلك في كل لحظة يهوى في دركات جهنم الى ان يصل الى الدرك الاسفل من النار * وبئس القرار والغالب فيمن يدخلون هذه المدارس بالشروط المذكورة الاّ من سلمهم الله وقليل ما هم انهم يصيرون بعد فساد عقائدهم الاسلامية منافقين زنادقة لا يعتقدون دينا من الاديان * وهم في الظاهر من أهل الاسلام يشهدون أن لا اله الاّ الله وأن محمدا رسول الله صلى عليه وسلم ويعيشون بين المسلمين مع فساد القلوب وقد يصلي بعضهم ويصوم حياء من الناس لئلا يسقط من عيونهم اذا عرفوه وليس هو في الباطن من أهل دينهم الاّ ان هداه الله وأرجعه بفضله وكرمه الى مبتداه * وهذا أقل القليل * وحسبنا الله ونعم الوكيل.

{الفصل السابع}

حينما يتعلم التلميذ المسلم في هذه المدارس أحكام دين النصارى يراها هو

كما يراها أهلها غير معقولة ولا مقبولة يناقض بعضها بعضا واذا اعترض هو أو أحد التلاميذ النصارى على حكم من أحكامها وجلها بل كلها معترضة وسأل عنه المعلم ينهره ويقول له أسكت الدين فوق العقل لان المعلم هو أيضا يعلم ان ذلك معترض ولكن لا جواب عنه وقد سمع من معلمه قبله هذه الجملة الدين فوق العقل لسد باب الاعتراضات على دينهم فانه باب واسع عندهم ولا يمكن سده باجوبة صحيحة ولا يزال التلميذ كلما ترقى في معرفة أحكام دين النصارى يزداد نفورا منه وجزما بعدم صحته ولكنه مع ذلك ينتقل ذهنه الى عدم صحة جميع الاديان ويُفضّلُ عليها الزندقة وعدم التزام دين منها ويحسن له ذلك ويرغبه فيه عدم التكاليف الدينية من فعل المأمورات كالصيام والصلاة وسائر العبادات وترك المنهيات كالزنا والخمر والربا والقمار وما أشبه ذلك مما تستحليه نفوسهم من المعاصي فهذا مما يرغبهم في عدم التدين بدين من الاديان كما عليه أكثر الافرنج وان كانوا في الظاهر نصارى.

{الفصل الثامن}

إعلم أن الايمان الذي تترتب عليه النجاة الاخروية هو التصديق الجازم بأن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له وانه تعالى متصف بجميع صفات الكمال متزه عن جميع صفات النقص وان سيدنا محمدا عبده ورسوله وانه صلّى الله عليه وسلّم أمين صادق في جميع ما بلغه وجاء به عن الله تعالى من القرآن والسنة ومن ذلك أحكام دين الاسلام المعلومة من الدين بالضرورة كالصلاة والصيام والحج والزكاة والبعث بعد الموت والحشر والصراط والجنة والنار وكتحريم الزنا والربا وشرب الخمر وما أشبه ذلك وغير ذلك مما أخبرنا به صلّى الله عليه وسلّم عن الله تعالى فانه كله حق وصدق لا شك فيه ولا ريب ومتى دخل القلب أدنى شك في وجود الله تعالى أوفى اتصافه عز وجل بجميع صفات الكمال أو تنزهه تعالى عن جميع صفات النقص أو في أمانة النبي صلّى الله عليه وسلّم وصدقه في جميع ما أخبر به عن الله تعالى فقد خرج من دين الاسلام وصار كافرا مستحقا للخلود في النار وبئس القرار وقد علمت أن

من يدخل هذه المدارس النصرانية من أولاد المسلمين لا تسلم عقيدته هذه الاسلامية الصحيحة من دخول الفساد عليها بالشكوك والاوهام فمن أحب الله ورسوله ودينه لا يدخل ولده في هذه الاخطار العظيمة والسلام.

{الفصل التاسع}

إعلم أن أسباب الشكوك في الدين يدخل على قلب الصبي في هذه المدارس شيئا فشيئا وتزداد وتتراكم على ممر الايام والسنين التي يقيمها الصبي في المدرسة ومن ذلك تعلمه العلوم الطبيعية ومخالطة الذين تزندقوا قبله من المعلمين والتلامذة وقد يطلع على كتب زنادقة الافرنج التي يهزؤن فيها بالاديان عموما ودين الصنارى خصوصا الذي نشؤا عليه في صغرهم واطلعوا على عيوبه فيصير التلميذ المسلم مثلهم يظن ان كل الاديان حتى دينه هكذا غير معقولة كدين الصنارى لانه حينما رماه أبوه في هذه البلية الكبرى والرزية العظمى كان خالي الذهن ولم يعرف من أحكام دينه دين الاسلام الاّ انه يشهد أن لا اله الاّ الله وأن سيدنا محمدا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأحكاما قليلة سمعها من أبيه وأمه ومن معلمه المسلم في طفوليته ولم يطلع على حقيقة هذا الدين المبين حتى يعلم انه أصح الاديان على الاطلاق وانه الدين الحق الذي لا يعتريه شئ من الاباطيل التي عمت الاديان الاخرى وليس في عقائده وأحكامه شئ من المناقضات والمخالفات التي رآها في غيره وانه دين الله الصحيح الوحيد على وجه الارض وكل ما عداه من الاديان فهو باطل فالصبي المسلم قبل ان يتمكن ذلك في قلبه ويرسخ كمال الرسوخ مع كون قلبه في غاية الصفاء مثل المرآة المجلوة تقابله تلك الاباطيل الفاسدة * والعقائد الكاسدة * فتنطبع فيه فينشأ على الكفر ويستحق اللعنة والخلود في النار مع من رضي له بذلك * والقاه في هذه المهالك وفي كل يوم ما دام في تلك المدرسة هو في ازدياد * من ذلك الكفر والفساد * الى ان ينطمس قلبه * ويذهب دينه ولبه * فلا يخرج من المدرسة بعد كمال مدتها الاّ وقد انمحى من قلبه دين الاسلام ورسمه * ولم يبق معه منه الاّ اسمه * ويعيش بين المسلمين مسلما في

الظاهر زنديقا لا دين له في الباطن الى ان يموت كافرا مخلدا هو ومن رضي له بالكفر في السعير * وبئس المصير * الاّ من سلمه الله تعالى منهم وقليل ما هم.

{الفصل العاشر}

متى خرج التلميذ المسلم من المدرسة بعد اقامته فيها خمس سنوات أو أكثر أو أقل ليلا نهارا وانحلال عقيدته بالكلية وتبدلها بالكفر والزندقة يبقى في الظاهر مسلما يشهد ان لا اله الاّ الله وانّ محمدا رسول الله ومتى خلا باحد ممن هو على شاكلته يذاكره سرا بما انطوى عليه قلبه الخرب من الضلال والالحاد ويتسخفي بذلك عن أمه وابيه وغيرهما من المسلمين ويعيش على ذلك زنديقا منافقا كافرا بالله ورسوله واليوم الآخر لا يعتقد بعثا ولا نشورا ولا دينا من الاديان واذا جاءه أولاد يربيهم على ما هو عليه من الضلال والنفاق الاّ ان يتداركه الله برحمته فيعيد اليه ما فقده من دين الاسلام وذلك انما يكون باجتنابه أسباب الضلال ومعاشرة أهله مع معاشرة صلحاء المسلمين * والعمل باحكام الدين * وملازمة الصلاة والصيام * وعبادات الاسلام.

{الفصل الحادي عشر}

إنّ هذه المدارس يخرج منها أولاد النصارى أيضا فضلا عن أولاد المسلمين فاقدين دينهم لانهم يطلعون حينما يتعلمون وتكبر عقولهم على عيوبه ومناقضاته وترسخ في نفوسهم الاعتراضات القوية عليه التي لا جواب عنها ويزدادون بما يقرؤنه من العلوم العقلية نفورا منه واعتراضا عليه فيخرجون من المدارس طبيعيين مجردين من الدين وهم في الظاهر نصارى ومعلوم ان أولاد المسلمين يختلطون بهؤلاء ليلهم ونهارهم فتنتقل اخلاقهم هذه من عدم التدين بدين اليهم فضلا عما يكتسبونه هم من ذلك بقراءة تلك العلوم وسماع ما يسمونه من معلميهم الذين هم بهذه الحالة أيضا فتتراكم على التلميذ المسلم أسباب كثيرة للشك في صحة الاديان عموما وبعد كل هذا كيف يخرج من المدرسة وعقيدته سليمة حاشا وكلاّ ثم حاشا وكلاّ وما ذلك الاّ كمن يزعم انه يُرْمَى بعدة مدافع ويبقى حيا فهذا خارج عادة عن الامكان والله المستعان.

{الفصل الثاني عشر}

يقول بعض جهال المسلمين الفساق المراق انا نضع أولادنا في مدارس النصارى ونقبل هذه الشروط التي تخالف دين الاسلام لئلا يعيش أولادنا جهالا فنقول لهم ان مدارس المسلمين هي كافية لتعليم أولادهم ما يريدونه من اللغات والعلوم الدنيوية مع حفظ دينهم دين الاسلام وزيادته بتعلم أحكامه وعقائده والمحافظة على الصلوات والعبادات والآداب الاسلامية ونحن لا شك أعرف منهم فانهم انما يقودهم الشيطان بزمامين زمام جهلهم وزمام حرصهم على الدنيا وأسبابها ويلقنهم هذه الحجج الواهية وعلى فرض صحة ما قالوه نقول لهذا الاب الجاهل أيهما أحب اليك ان يكون ولدك عالما باللغات الاجنبية والعلوم الدنيوية التي تريدها ويكون مع ذلك كافرا مخلدا في جهنم أو الاحب اليك ان يكون ابنك جاهلا بجميع اللغات والعلوم الدنيوية وهو مع ذلك مسلم مخلد في الجنة فان أجاب بالاول فهو كافر لا كلام معه وان أجاب بالثاني فهو المطلوب * ويتوب الله على من يتوب * وربما لقنه الشيطان ان يجاوب بان ابنه يتعلم في تلك المدارس على تلك الشروط ولا يكفر فهذا الجواب مكابرة بعد ان شرحنا حال هذه المدارس وان التلميذ بمجرد دخوله الكنيسة وعبادته معهم فقد كفر ثم يتدرج في الكفر درجة بعد درجة الى ان ينطمس قلبه بالكلية والعياذ بالله تعالى.

{الفصل الثالث عشر}

يزعم بعض آباء الاولاد الذين يدخلونهم الى هذه المدارس ان أولادهم لا تختل عقائدهم ولا يزالون محافظين على دينهم دين الاسلام لانهم نُجَبَاءُ أذكياء لا يدخل عليهم الغش في دينهم فنقول لمن يزعم ذلك ان كلامه مردود ومن وجهين الاول ان الخلل في دين ابنه ودينه أيضا بذلك واقع ولا بد فانه بمجرد ادخال ابنه الى احدى هذه المدارس على شرط دخوله الكنيسة مع أولاد النصارى وعبادته معهم مثل عبادتهم من غير فرق يحكم عليه بالكفر ويحكم على من أدخله أيضا لرضاه بذلك

والراضي بالكفر كافر والوجه الثاني ان ذكاء ابنه لا يمنعه من دخول الشكوك في عقيدته ولو كانت أمورا محسوسة ظاهرة لجاز ان ذلك الولد بذكائه ونجابته يحترز منها ويتقي دخولها على قلبه ولكنها أمور معنوية وخطرات شيطانية تخطر في القلب متى حصلت أسبابها سواء شاء الولد أو ابى وسواء كان ذكيا أو بليدا وما مثل من يدعي معها السلامة مع وجوده في هذه المدارس الاّ كمن القى ولده الى سباع ضاريات جائعات وزعم انه يسلم منها.

{الفصل الرّابع عشر}

ما هي يا ترى الفوائد التي حصلها ابنك أيها المسلم في تلك المدارس النصرانية في مقابلة تضييعه دينه وشرفه وحميته وغيرته على ملته ودولته وبعد صيرورته بقلبه عدوا لاخوانه المسلمين وأوليائه الموحدين * بل عدوا لآبائه وأجداده الذين مَضَوا ناجين حائزين لشرف هذا الدين المبين * كما صار صديقا محبا لاعداء دينه وملته وجنسيته ودولته ينشر مناقبهم * ويَسْتُرُ مثالبهم * ويُحَسّنُ قبائحهم ويقدم على مصالح ملته ودولته مصالحهم * فما الفائدة التي حصلها في مقابلة ذلك الاّ احدى اللغات الافرنجية وشيئا قليلا من مبادئ العلوم التي علمه بها لم يخرجه عن كونه جاهلا مع امكان تعلمها وأكثر منها باتقان وسلامة ايمان في مدارس المسلمين وما مثلك أيها الاب الجاهل في اضاعتك دين ابنك وشرفه واستعواضه عنهما بما استعوضته مما ذكر الاّ كمن أضاع أعظم الجواهر نفاسة وقيمة حتى استفاد عوضها فلوسا قليلة أترى ذلك يُعَدُّ عاقلا كلاّ والله بل هو مجنون قد ابتلى باعظم بلاء * ومجذوم أصيب باقبح داء * بل ما فقده أعظم من الارض والسماء وما وجده أقل من الذر والهباء * ولا يخفى ذلك على كل فرد من أفراد المسلمين العقلاء * وان خفي على أولئك الجهلة الفساق المراق الاغبياء * الذين قد فعلوا باولادهم * ومُهَج اكبادهم * في ادخالهم الى هذه المدارس ما لا يفعل أكثر منه الاعداء بالاعداء.

{الفصل الخامس عشر}

أيها المسلم ما ذا رأيت من الخير على من تعلم اللغات الافرنجية * وعلومهم الدنيوية حتى خاطرت بدينك ودين ولدك هذه المخاطرة العظيمة * وأوقعت نفسك وابنك في هذه المراتع الوخيمة * اذا كانت معرفة اللغات الافرنجية متكفلة بسعة الرزق ورفعة الجاه وعلو المنزلة والعز والشرف في الدنيا فلم نرى هؤلاء المعلمين الذين يتعلم منهم ولدك في المدرسة هم من أفقر الناس وأذلهم وأشقاهم وأتعبهم في معيشتهم لم يحصلوا شيئا من رفعة الجاه وعلو المنزلة والعز والشرف في دنياهم مع كونهم ماهرين في هذه اللغات وولدك انما يأخذ بعض ما عندهم منها فلم ينجح ولدك في دنياه بالقليل الذي يأخذه منهم ويتلقاه عنهم وهم لم ينجحوا بالكثير الذي أفنوا في تعلمه أعمارهم وغاية ما حصلوه من فوائد ذلك ان صاروا معلمين في المدارس يشتغلون طول النهار بمعاشات قليلة لا تكفيهم مع عيالهم الاّ بقدر الضرورة وخير من معيشتهم وأوسع وأهنأ وأنفع معيشة أقل عوام الناس المتسببين بنحو البيع والشراء كما هو مشاهد وهناك جماعة ممن يعرفون هذه اللغات في أسوإ حالة من الاحتياج لا يتيسر لهم ان يكونوا معلمين * وهم من أحوج الفقراء والمساكين * فلو كانت معرفة هذه اللغات متكفلة بسعة الرزق وكثرة المال * لما كان هؤلاء في أضيق معيشة وأسوإ حال * وأيضا انظر الى اغنياء المسلمين تجدهم من التجار أهل البيع والشراء * والاخذ والعطاء * وجلهم أو كلهم لا يعرفون هذه اللغات وهم في كمال الرفاهية ورفعة الجاه وعلو المنزلة وسعة العيش مع حفظ الدين والدنيا فالرزق اذن والجاه لا يتوقف واحد منهما على معرفة هذه اللغات فقد ظهر انها غير متكفلة بسعة الرزق وعلو المنزلة في الدنيا بل الغالب عكس ذلك فيمن مهروا فيها * وصرفوا أكثر أوقاتهم في تعلمها * والتوسع فيها * لان هذه الاوقات الطويلة التي صرفوها في سبيلها لو صرفوها بالشغل في التجارة وأسباب الكسب لربما حصلوا من المال ما استغنوا به عن ان يكونوا معلمين في المدارس أو كتابا عند بعض التجار بمعاشات قليلة فاعلم ذلك واياك ان تُضلّ ولدك اياك والله يتولى هداك.

{الفصل السادس عشر}

أيها المسلم ان كنت مسلما حقا يلزمك التصديق بقول الله تعالى (**قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلَى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** * آل عمران: ٢٦-٢٧) وبقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**انّ روح القدس نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستوفى رزقها وأجلها فاتّقوا الله وأجملوا في الطّلب**) فاذا كنت مؤمنا بذلك تستريح في دنياك وآخرتك فان الآية القرآنية بينت ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب فلم يتوقف ذلك على تعلم هذه اللغات والحديث النبوي صرح بأن كل نفس لابد من وصولها الى رزقها وأجلها المقدرين لها ولا عذر في ذلك للكسالى الذين يتركون السعي في طلب الرزق بالكلية ويعيشون بأسفل حالة من الاحتياج أو يكونون عيالا على غيرهم مع اقتدارهم على الكسب فان النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**أجملوا في الطلب**) ولم يقل لا تطلبوا ومعنى أجملوا في الطلب أي اطلبوا الرزق برفق وقال الله تعالى (**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ** * الملك: ١٥) وقال (**فَاِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْاَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله** * الجمعة: ١٠) فقد أمر سبحانه وتعالى بطلب الرزق وانظر قوله صلّى الله عليه وسلّم (**لو توكّلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصا وتروح بطانا**) فجعل مع التوكل السعي في طلب الرزق حيث قال تغدو أي تسرح صباحا في طلب رزقها وهي جياع فترجع مساء وهي شباع ولم يقل تبقى في أوكارها فيأتيها الرزق بغير سعي والحاصل ان طلب الرزق والسعي له مطلوب شرعا ولكن برفق وبدون ان يضر ذلك بالدين لا بارك الله في دنيا بلا دين فان المؤمن رأس ماله هو دينه فيلزمه المحافظة عليه غاية المحافظة ومهما رأى من أسباب الدنيا سببا يخل بدينه فليجتنبه ويتعاط الاسباب التي لا تخل بالدين ورزقه المقدر له ان كان واسعا أو ضيقا لابد ان

يصل اليه هذا في الاسباب التي تخل بالدين ولا تهدمه من أساسه بالكلية كالمحرمات الممنوعة شرعا مثل الربا فان كثيرا من التجار يقدمون عليه لتوهمهم الربح الذي يترتب عليه وهو مخل بدينهم غاية الاخلال حتى انه يخشى على من داوم عليه و لم يتب الى الله تعالى ان يختم له بخاتمة الشقاوة ويموت على الكفر والعياذ بالله تعالى كما قال العلماء منهم الامام ابن حجر في تحفته شرح المنهاج قالوا و لم يذكر الله تعالى في القرآن ذنبا هو حرب لصاحبه غير الربا وهو مع ذلك وكونه من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب أقل خطرا على الدين من ادخال المسلم أولاده في هذه المدارس النصرانية فانها على دين الاولاد أعظم صاعقة وأكبر بلية * فاتقوا الله عباد الله ولا حول ولا قوة الاّ بالله.

{الفصل السابع عشر}

إعلم أيها المسلم الجاهل * والمجنون لا العاقل * الذي خاطر بدين ولده فوضعه بهذه المدارس اني والله الذي لا اله الاّ هو لو أعطيت الدنيا بحذافيرها على ان اختار لنفسي أو لولدي الكفر لا أفعل وهكذا كل مسلم واذا لم يكن كذلك لا يكون مسلما وقد اخترت أنت الكفر لنفسك وولدك مجّانا على وهم ان ولدك يحصل له شئ من المال والجاه بسبب ما يتعلمه في هذه المدارس النصرانية * من اللغات الافرنجية والعلوم الدنيوية * مع انك اذا نظرت نظر تحقيق لم تر من كل مائة شخص من هؤلاء التلاميذ خمسة أشخاص حصل لهم العز والجاه والمال بسبب هذه المدارس وترى أكثر من هذا العدد بكثير يحصلون المال الكثير والجاه الكبير بدون هذه اللغات والعلوم ومع ذلك تكذب مشاهدة بصرك وعلمك الصحيح وتصدق الشيطان واخوانه وشرهم نفسك التي بين جنبك فيما يسولون لك من هذه الاوهام التي أضعت بها منك ومن ولدك دين الاسلام الذي لا يعادله شئ من الدنيا وما فيها من الحكام واذا لم يؤثر فيك أيها الجاهل هذا الكلام فلا لوم علينا اذا قلنا انك لست من ذوي الاحلام * وعلى من اتبع الهدى لا عليك السلام.

{الفصل الثامن عشر}

إعلم أيها المسلم ان ادخالك ولدك الى هذه المدارس النصرانية أمر عظيم وبلاء جسيم لا أقدر أصف لك عظمته وجسامته ومن ذلك انك ربما تكون بوضعك ولدك فيها على الوجه المذكور سببا لكفره وكفر ذريته من بعده ويحتمل ان يخرج منه من الذرية ألوف كثيرة فتكون أنت السبب في ضلالهم وعليك فوق اثمك مثل اثمهم أجمعين قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من سنّ سنّة سيّئة فعليه اثمها واثم من عمل بها الى يوم القيامة**) والمتسبب بالخير كفاعله والمتسبب بالشر كفاعله وكيف ترضى لنفسك ذلك وان تكون جد قوم كثيرين كلهم أهل كفر وضلال ولكن لا غرابة في رضاك لهم بذلك اذا رضيت به لنفسك فسلكت بها أقبح المسالك وأوردتها شر المهالك * ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم.

{الفصل التاسع عشر}

فإن قلت إنّ للنصارى مدارس لم يشترطوا فيها تعليم أولاد المسلمين دين النصرانية ودخولهم مع أولاد النصارى الى الكنائس بل يعلمون في هذه المدارس اللغات والعلوم الدنيوية فقط فكيف الحكم في هذه فاعلم انه لا يجوز دخول أولاد المسلمين وتربيتهم في هذه المدارس أيضا لانهم يتركون الصلوات والآداب الاسلامية ولا يتعلمون شيئا من عقائد دينهم وأحكامه التي هم في غاية الاحتياج اليها في أول عمرهم بل يضيعون ما تعلموه منها فاذا ربوا في هذه المدارس يتعلمون الآداب النصرانية نحو عدم الاستنجاء والتضمخ بالنجاسات وتمضي عليهم السنوات العديدة لا يسمعون فيها كلمة التوحيد وتدخل في محادثاتهم ومحاوراتهم مع أولاد النصارى والمعلمين منهم جمل كثيرة تُخِلُّ بعقائدهم ادراجا في أثناء العبارات وهم لا يشعرون بذلك لانهم صغار لم يعرفوا ما يخل بالدين وما لا يخل فترسخ في نفوسهم تلك المعاني المضرة وتتكرر هي وما أشبهها على اسماعهم يوما فيوما وشهرا فشهرا وسنة فسنة فلا يخرجون من المدرسة الاّ وقد رسخ في نفوسهم من الاعتراضات على الدين والمعاني المخلة في عقائدهم شئ كثير

فيسترونه عن المسلمين ظاهرا وهم مصرون عليه باطنا وقد علمت ان دخول الشك على المسلم في صحة عقيدة واحدة من عقائده الاسلامية موجب لكفره وخلوده في النار والعياذ بالله تعالى وهذا بحسب الغالب في أولاد هذه المدارس والاّ فقد يسلم الله تعالى من أراد سلامته ولكن ليس المخاطر محمودا وان سلما.

{الفصل العشرون}

ومن هذه المدارس مدارس مخصوصة بالاناث افتتحها بعض طوائف النصارى من الافرنج وخصوصا البروتستانت في البلاد الاسلامية وصاروا يجلبون لها بنات المسلمين بكل حيلة ووسيلة ويحسنون اليهن بانواع الاحسان ولا سيما بنات الفقراء فيكسونهن ويعطونهن الدراهم والدقيق ونحو ذلك فامتلأت مدارسهم من هذه البنات وهم يعلمونهن فيها أحكام دين النصارى فلا تخرج البنت بعد انتهاء مدة المدرسة الاّ وهي نصرانية أو زنديقة لا دين لها ولم يبق في قلبها من العقائد الاسلامية شئ لانها حينما دخلت الى المدرسة كانت صغيرة غير عارفة باحكام الدين وهكذا تعيش بعد خروجها من المدرسة وتربي أولادها وهي بحسب الظاهر مسلمة وفي الحقيقة لا دين لها ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم.

{الفصل الحادي والعشرون}

أنت تعرف أيها الانسان قلبك وما انطوى عليه من العقائد الدينية فان كنت تعلم نفسك غير مسلم وغير معتقد عقائد الاسلام فما لي معك كلام لانك زنديق منافق وقد اخترت لولدك من الزندقة والنفاق ما اخترته لنفسك فانت وهو اذا اتبعك على ضلالك في الدرك الاسفل من النار * وبئس القرار * وان كنت مسلما حقيقة معتقدا عقائد الاسلام وهذا هو ظننا فيك * والله يهدينا ويهديك فما بالك تفرط في دين ابنك هذا التفريط العظيم * بل تفرط في دين نفسك أيضا وترتع أنت وابنك في هذا المرتع الوخيم * فان كان قد حسن لك الشيطان وأعوانه هذا الامر القبيح * فها أنا وأمثالي نوضح لك قبحه ووباله غاية التوضيح * فلم تطيعهم

وتعصينا ونحن ندعوك الى الجنة وهم يدعونك الى النار * ونحن نتسبب بنجاحك ونجاتك وهم يتسببون لك بالهلاك والدمار مع معرفتك يقينا أنا أعرف منك فيما يصلح الدين وما يفسده * وما يقرب الانسان من الله وما يبعده فالله الله اتقِ الله في نفسك وولدك ولا حول ولا قوة الاّ بالله.

{الفصل الثاني والعشرون}

قد ينفث الشيطان وأعوانه المعلمون في هذه المدارس وبعض التلامذة من أولاد النصارى في قلب التلميذ المسلم ان دين النصرانية هو الدين الصحيح ويقيمون له دليلا على ذلك كثرة النصارى وقوة دولهم وانتشارهم في الدنيا ومعرفتهم العلوم الدنيوية وتقدمهم في الصنائع الغريبة والاكتشافات العجيبة واستيلاؤهم على كثير من أقطار الارض فيغالطون التلميذ المسلم ويقولون له هل يمكن ان يكون هؤلاء كلهم على الدين الباطل ولا يخفاك ان هذه المغالطات الواهية لا تروج على صغار العقول فضلا عن غيرهم لان الآخرة والدنيا ضرتان وصفات كل منهما تباين صفات الاخرى وأمور الدين غير أمور الدنيا وقد اتفقت أهل الملل والنحل على ان الكفار في جميع العصار هم أكثر من المؤمنين أضعافا مضاعفة لان كل ملة تعتقد انها هي المؤمنة الناجية وحدها وما عداها من سائر الملل كفار هالكون فلو صحت هذه المغالطة لابطلت الاديان جميعها فقد تبين ان مجرد الكثيرة لا تدل على ان دين أصحابها هو الحق وكذلك القوة ومعرفة العلوم الدنيوية فان كل ملة أيضا تسلم انه يوجد في الملل الكافرة باعتقادها من هو أقوى واعلم بالعلوم الدنيوية من كثير من أهلها فاذا مجرد القوة والغنى وهذه العلوم والصنائع لا تدل على حقية دين أصحابها فان صحة الدين لها دلائل أخرى وقد ظهر ظهور الشمس عند المخالفين فضلا عن الموافقين ان دلائل دين الاسلام * وحجج ملة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام * أظهر وأوضح من دلائل جميع الاديان * وأقوى وأرجح من حجج كل الملل والنحل في جميع الامكنة والازمان * والحمد لله ولي الاحسان *

{الفصل الثالث والعشرون}

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصحيح (**كلّ مولود يولد على الفطرة فابواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه**) وتصديق قول النبي صلّى الله عليه وسلّم ظاهر للعيان ومصدق بالتجربة الكثيرة التي لا تحصى ومعناه ان المولود يكون قلبه وهو صغير في غاية الصفاء وعلى الفطرة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها أي الخلقة التي خلقهم عليها من الاستعداد لقبول الدين ثم أبواه يتسببان في تهوده ان كانا يهوديين وتنصره ان كانا نصرانيين وتمجسه ان كانا مجوسيين وانما خص صلّى الله عليه وسلّم هؤلاء لانهم الغالب في أهل الاديان وقتئذ والاّ فكل أبوين يربيان ولدهما على دينهما سواء كانا من هؤلاء أو غيرهم من أهل الاديان الاخرى ومثل الابوين المعلمون فانهم يتصرفون بدين الصبي كيفما يشاؤن فيخرج الصبي من تحت أيديهم على الدين الذي ربوه عليه لا سيما اذا طالت مدة التعليم فان قلب الصبي يكون مثل المرآة الصقيلة ينطبع فيها ما يقابلها فاول شئ يلقنه الصبي ويتكرر عليه حتى يثبت في قلبه يستمر فيه لا سيما اذا أقام على ذلك سنين كثيرة كما هو حاصل في هذه المدارس فلا يخرج الاّ على دين المعلمين من النصرانية أو الزندقة والدهرية ولا عجب من اليهوديين اللذين يهودان ابنهما أو النصرانيين أو المجوسيين وانما العجب من حالك أيها المسلم الجاهل فانك تنصر ابنك في وضعه في هذه المدارس وتسليمه الى هؤلاء المعلمين ولست نصرانيا وتجعله زنديقا دهريا ولست كذلك أليس هذا بالعجيب * والامر الغريب * كل ذلك على وهم انه ينجح في دنياه فاتق الله في نفسك وولدك والاّ فعاقبتك وعاقبته الوبال والغرق في ظلمات الكفر والضلال.

{الفصل الرابع والعشرون}

إعلم أيها المسلم فلعله ينفعك العلم ان ابنك حين ما دخل هذه المدارس النصرانية كان قلبه كالجوهرة الصافية فلم يزل يتراكم عليه الظلام بترك العبادات الاسلامية واختلال عقيدته الايمانية وتعلم الديانة النصرانية في مدة تلك السنين * التي

يقيمها في المدرسة مخالطا لاولاد النصارى والمعلمين * سامعا منهم في كل يوم اشياء جديدة مما يخالف دين المسلمين ويثبت ذلك في قلبه شيئا فشيئا الى ان تعمى بصيرته بتراكم الظلام * ولا يبقى فيها شئ من نور دين الاسلام * هذا هو الغالب والمأمول حصوله لكل من دخل الى تلك المدارس ومن زعم ان ابنه يسلم من هذه الاخطار * فهو كمن يقول انه يلقيه في النار ولا تحرقه النار * وهذا لا يكون الاّ بعناية مخصوصة من الله تعالى لبعض اصفيائه الذين سبقت لهم منه الحسنى فلو خرج ابنك على تلك الحالة المشؤمة المذمومة وفرضنا انه بعدها يتعلم أحكام دين الاسلام ويعمل بالطاعات * ويلازم الصلوات والعبادات * ويخالط الصلحاء والعلماء من المسلمين مدة طويلة يرجى له الخير وان يكشف الله عن بصيرته تلك الظلمات التي تراكمت عليها بانوار الاسلام وينعم عليه بانوار الدين التي فَقَدَها وتزداد معه شيئا فشيئا بملازمة العبادات والطاعات * والاذكار والصلوات * الى ان ينتهي أجله على أحسن حال ولكن هذا أندر من الكبريت الاحمر فانا لم نر من خرج من تلك المدارس ورغب بعدها في الطاعات والعبادات ولازم الصيام والصلوات الاّ القليل النادر والنادر لا حكم له.

{الفصل الخامس والعشرون}

ومن العجائب انا نرى طوائف النصارى على الاطلاق لا يضعون أولادهم في مدارس المسلمين مهما كانت ناجحة بل لا تضع طائفة منهم أولادها في مدارس طائفة أخرى لئلا تتغير عقائدهم فان كل طائفة منهم تكفر الاخرى وكذلك اليهود مع قلتهم وذلتهم فتحوا لاولادهم مدارس مخصوصة بهم لئلا يحتاجوا في تعليمهم الى وضعهم في مدارس المسلمين أو النصارى كل ذلك من هذه الطوائف لحرصهم على أديان أولادهم وفي حال مشاهدتنا ذلك منهم نرى كثيرا من فساق المسلمين غير حريصين على دين أولادهم فيضعونهم في مدارس أي طائفة من طوائف النصارى بل وفي مدارس اليهود أيضا ويخاطرون بدينهم غاية المخاطرة ليتعلموا شيئا من اللغات

الافرنجية وبعض العلوم الدنيوية حالة كونها يمكن تعلمها في مدارس المسلمين وفي غير المدارس أيضا بان يستأجر أبوالصبي معلما مخصوصا لولده يعلمه اللغة التي يريدها فانظر أيها المؤمن حرص هؤلاء على أديانهم الباطلة وعدم حرصك على دينك الحق وتعجب من نفسك ان كان ينفعك العجب وأما قولك اني لا أخشى على ولدي اتباع أديانهم لانها ظاهرة البطلان * فهذا يا أخي من تسويلات النفس ووساوس الشيطان * لان ولدك متى اختلت عقيدته الاسلامية فدخوله في دينهم وعدم دخوله سيان * وها أنا اجتهدت في نصحك والله المستعان *

{الفصل السادس والعشرون}

وها أنا أذكر لك أيها المسلم المعتقد عبارة الولي الكبير والقطب الشهير سيدي عبد العزيز الدباغ في شأن من يخالط الفساق فضلا عمن يخالط الكفار وما في ذلك من الخطر العظيم على الدين قال تلميذه ابن المبارك في الباب الثالث من كتاب الابريز لما اختلف علينا كلام الشيخ الحطاب وكلام الشيخ المواق رحمهما الله تعالى في دخول الناس الحمام مكشوفين لا يستترون فقال الشيخ الحطاب يحرم الدخول ويجب عليه التيمم ان خاف من الماء البارد وقال الشيخ المواق يدخل ويستتر ويغض عينيه ولا حرج عليه فقال سيدي عبد العزيز رضي الله عنه الصواب مع الشيخ الحطاب وأما ما ذكره الشيخ المواق ففيه آفة بعد فرض المستتر محترزا الى الغاية وفارا من النظر في عورة غيره الى النهاية وهي أي الآفة ان المعاصي ومخالفة أوامر الله تعالى لا تكون الاّ مع الظلام الذي بينه وبين ظلام جهنم خيوط واتصالات يحصل له الشقاء من جهنم بسببها ولا أحد أعرف بذلك من ملائكة الله تعالى فاذا اجتمع قوم تحت سقف حمام مثلا على معصية وظهرت المعصية من جميعهم عم الظلام ذلك الموضع فتنفر الملائكة عنهم واذا نفرت الملائكة جاء الشيطان وجنوده فعمروا الموضع فتصير أنوار ايمانهم أي العصاة حينئذ كالمصابيح التي جاءتها الرياح العاصفة من كل مكان فترى نورها مرة يذهب الى هذه الجهة ومرة الى هذه الجهة

ومرة ينعكس الى أسفل حتى تقول انه انطفأ واضمحل ولهذا كانت المعاصي بريد الكفر والعياذ بالله تعالى فاذا كان الحمام وأهله على هذه الحالة التي وصفنا وفرضنا رجلا خيرا دينا فاضلا متحرزا جاء ودخله واستتر فانه يقع لنور ايمانه اضطراب بالظلام الذي وجده في الحمام لان ذلك الظلام ضد الايمان فتضطرب ملائكته لذلك أيضا فتطمع فيه الشياطين وتصل اليه وتشهي اليه النظر في العورة وتغويه فلا يزال معهم في قتال وهم يقوون عليه وهو يضعف بين أيديهم حتى يستحسن الشهوة فيستلذ النظر للعورة نسأل الله السلامة قال رضي الله عنه ولو فرضنا جماعة يشربون الخمر ويستلذون به ويظهرون المعاصي التي تكون معه ويفحشون فيها ولا يتحرزون من أحد ولا يخشونه ثم فرضنا رجلا جاءهم وفي يده دلائل الخيرات فجلس بينهم وجعل يقرؤها وأطال معهم الجلوس وجلس معهم اليوم الى آخره وهو على قراءته وهم على معاصيهم فانه لا يذهب عليه الليل والنهار حتى ينقلب اليهم ويرجع من جملتهم للعلة التي ذكرناها ولهذا نهى عن الاجتماع مع أهل الفسوق والعصيان لان الدم والشهوة والغفلة فينا وفيهم الاّ من رحمه الله وقليل ما هم والله تعالى اعلم انتهت عبارة الابريز وفيها عبرة وأي عبرة * لمن كان له الى الحق نظرة * فاعتبر بها أيها المسلم ولا تخاطر بدين ولدك فتدخله في مدارس النصارى يعيش معهم فانه لا تذهب عليه الايام والليالي حتى يصير منهم أو تختل عقيدته الاسلامية ويقع بسبب سوء رأيك وتدبيرك من الكفر في أعظم بلية فاياك من هذه المدارس اياك * والله يتولى هداي وهداك.

{الفصل السابع والعشرون}

إعلم ان في وضع ولدك أيها المسلم في مدارس النصارى تكثيرا لسوادهم فضلا عما يترتب عليه من الاخلال بعقيدته وذلك منهيّ عنه شرعا قال البخاري في كتاب التفسير حدثنا عبد الله بن يزيد المقري حدثنا حَيَوَة وغيره قالا حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبوالاسود قال قُطِعَ عَلَيَّ أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة

مولى ابن عباس فاخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي ثم قال اخبرني ابن عباس ان اناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأتي السهم يرمى به فيصيب احدهم فيقتله او يضرب فتقتل فأنزل الله (**اِنَّ الَّذينَ تَوَفّٰيهُمُ الْمَلٰئِكَةُ ظَالِمِي اَنفُسِهِمْ** * النساء: ٩٧) قال الحافظ ابن حجر[١] في شرحه فتح الباري وغرض عكرمة ان الله ذم من كثر سواد المشركين مع انهم كانوا لا يريدون بقلوبهم موافقتهم اهـ.

{الفصل الثامن والعشرون}

أيها الغلام المسلم الذي يريد أبوه ان يهدم دينه بادخاله هذه المدارس لتوهمه تعمير دنياه اما لجهله واما لكونه زائغ العقيدة ليس من أهل الاسلام في الباطن وان كان في الظاهر مسلما اياك ان تعطيه في هذا الامر العظيم الذي عاقبته عليك الكفر والضلال والهلاك والوبال فانك غير مكلف بطاعته الاّ اذا أطاع الله تعالى وأنت تعلم بالمشاهدة ان دخولك في هذه المدارس النصرانية مُضِرٌّ بدينك غاية الاضرار وانك ان اقمت فيها خرجت من دين الاسلام سواء أردت ذلك ام لم ترد لان سمّ الكفر يدخل على قلبك تدريجا شيئا فشيئا حتى لا تحسّ بنفسك الاّ وقد خرجت من المسلمين وصرت في زمرة الكافرين وحينئذ يكون خلاصك متعذّرا أو متعسّرا فاياك ثم اياك ان تضيع نفسك النفيسة وتوافق على نقلها من السعادة الابدية الى الشقاوة السرمدية وخالف بذلك أمك وأباك وكل من أراد لك الهلاك * ومهما عمل فيك من أعمال القسوة والشدة ليحملك على طاعته في هذه المعصية العظمى والداهية الكبرى فلا تطعه فان الضرر الذي يترتب على دخولك في هذه المدارس في دينك لو قطّعت لاجله اِربا اِربا حتى تتخلّص منه لما كان ذلك كثيرا ولا شك ان أباك الجاهل أو الزنديق المنافق اذا رأى منك الجد في الامتناع يضعك في مدارس المسلمين الخالية من هذه الاخطار فتكون أنقذت نفسك من النار *

---

(١) ابن حجر أحمد العسقلاني توفي سنة ٨٥٢ هـ. [١٤٤٨ م.] في مصر

{الفصل التاسع والعشرون}

الواجب عليك أيها المسلم ان تربي ولدك على دين الاسلام وتضعه مع أولاد المسلمين في مدارسهم يتعلم معهم أمور دينه ودنياه ويحافظ على الصلوات ويتألف من صغره مع أولاد المسلمين فينشأ على محبتهم ويزيد ايمانه بمخالطتهم والنظر اليهم ويستمر معه ذلك الى نهاية عمره وقد قال سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه[١] ان النظر في وجوه المؤمنين يزيد في الايمان وبعكس ذلك ما اذا وضعته في مدارس النصارى وقد قال الله تعالى (**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِاَنَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا * اَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ اَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعًا** * النساء: ١٣٨-١٣٩) وقال تعالى (**لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَآدَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَآءَهُمْ اَوْ اَبْنَآءَهُمْ اَوْ اِخْوَانَهُمْ اَوْ عَشِيرَتَهُمْ اُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْايمَانَ وَاَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ اُولَئِكَ حِزْبُ الله اَلآ اِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ** * المجادلة: ٢٢) وقال تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ اَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ اِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ** * الممتحنة: ١) وقال تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ** * المائدة: ٥١) وقال تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ اَوْلِيَآءَ وَاتَّقُوا الله اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** * المائدة: ٥٧) وغير ذلك من الآيات فهل الصبي الذي ينشأ في هذه المدارس مع أولاد النصارى ومعلميهم ويعبد عبادتهم ويتعلم ديانتهم ويأكل ويشرب وينام ويقوم معهم عدة سنين ليلا ونهارا يمكنه ان يعمل بهذه الآيات القرآنية التي يتوقف صحة ايمانه على العمل بها حاشا وكلا وكيف يمكنه ذلك وقد صار معلموا المدرسة كآبائه وتلامذتها كاخوته وجميعهم بحكم عائلته فضلا عن فساد عقيدته *

([١]) السيد عبد القادر الكيلاني توفي سنة ٥٦١ هـ. [١١٦٦ م.] في بغداد

وعدم معرفته شيئا من ديانته * ثم لو فرضنا ما هو كالمستحيل من خروجه منها بعد سنوات وهو غير مختل العقيدة فانه يكون جاهلا في أحكام دينه ولا يعرف من الاسلام ما يعرفه أقلّ العوام ولا يتعلم وقتئذ لانه يكون قد ذهب وقت التعليم وصار مشغولا بالكسب والجد في الدنيا ويكون تاركا للصلاة والصيام وعبادات الاسلام لانه لم يَعْتَد عليها من صغره بل و لم يتعلم أحكامها فتكون عليه ثقيلة كما نشاهده من جلّ أو كل من يخرجون من مدارس النصارى فانهم يكونون تاركين للصلاة والصيام وسائر العبادات الاسلامية ويعيشون على تلك الحالة التعيسة الى نهاية آجالهم * على أقبح أحوالهم الاّ من سلمه الله وقليل ما هم.

{الفصل الثلاثون}

إن كنت أيها المسلم تحت حكم غير المسلمين مجبورا على وضع ولدك في مدارسهم فاما ان تكون قادرا على الهجرة الى بلاد الاسلام التي تحت حكم المسلمين أو غير قادر على الهجرة وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز حكم ذلك في الحالتين فقال في سورة النساء (**انَّ الَّذينَ تَوَفَّيهُمُ الْمَلئكَةُ ظَالمي اَنفُسهِمْ قَالُوا فيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفينَ في الْاَرْضِ قَالُوا اَلَمْ تَكُنْ اَرَضُ الله وَاسعَةً فَتُهَاجرُوا فيهَا فَاُولَئكَ مَأْوَيهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصيرًا * الاَّ الْمُسْتَضْعَفينَ منَ الرِّجَال وَالنِّسَآء وَالْولْدَان لاَ يَسْتَطيعُونَ حيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبيلاَ * فَاُولَئكَ عَسَى الله اَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ الله عَفُوًّا غفُورًا * وَمَنْ يُهَاجرْ في سَبيل الله يَجدْ في الْاَرْضِ مُرَاغَمًا كَثيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ منْ بَيْته مُهَاجرًا الَى الله وَرَسُوله ثُمَّ يُدْركْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعْ اَجْرُهُ عَلَى الله وَكَانَ الله غَفُورًا رَحيمًا** * النساء: ٩٧-١٠٠) قال الامام البيضاوي في تفسيره في الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه قال وعن النبي صلّى الله عليه وسلّم (**من فرّ بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض وجبت له الجنّة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيّه محمّد عليهم الصّلاة والسّلام**) اهـــ. وقال محشيه الشهاب الخفاجي[١] والهجرة من بلاد الكفار

---

(١) شهاب الدين أحمد الخفاجي توفي سنة ١٠٦٩ هـــ. [١٦٥٨ م.]

وبلاد لا يقام بها شعائر الاسلام واجبة كما نقله ابن العربي[١] المالكي رحمه الله قال وكذا البلاد الوبيئة اهـــ. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح البخاري واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الارض التي يعمل فيها بالمعصية اهـــ.

{الفصل الحادي والثلاثون}

فإن قلت ان قوة الافرنج هذه التي تغلبوا بها على كثير من البلاد انما هي بسبب ما تعلموه من العلوم الدنيوية * والصنائع الجزئية والكلية * حتى اخترعوا من الآلات الحربية ما لم يسبق نظيره في العصور السابقة وتاجروا بمصنوعاتهم في سائر جهات الارض قاصيها ودانيها وسلبوا بها وبسياساتهم وقواتهم أموالها وتغلبوا على كثير من أهاليها * فاذا لم ندخل مدارسهم لا يمكننا ان نتعلم تلك الصنائع ولا عمل الادوات الحربية كالبارود والبنادق والمدافع وقد قال الله تعالى (**وَاَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** * الانفال: ٦٠) فيلزمنا ان نتعلم في مدارسهم تلك العلوم والصنائع حتى يمكننا اعداد القوة التي أمرنا الله بها أقول لا ضرورة الى دخول مدارسهم على الوجه السابق المذموم المشؤم الذي يذهب بالدين بالكلية أو يخل به اخلالا فاحشا تكون عاقبته الوبال * والانتقال من الهدى الى الضلال * فانا لو فرضنا ان أولئك الغلمان الذين يرابّوا في مدارسهم وضيّعوا دينهم صاروا من أعلم العلماء بالعلوم الدنوية والصنائع الافرنجية بحيث يفوق الواحد منهم على جميع أهل عصره لم يُوف ذلك بما ضيّعوه من الدين ويمكن تعلم الصنائع والعلوم الدنيوية التي لا تخل بدينهم بعد كبرهم وتربيتهم في مدارس المسلمن ورسوخ دين الاسلام في قلوبهم وحينئذ ينتقلون الى بعض مدارسهم ان تحقق يقينا انه لا يضرّ في دينهم الانتقال ولا يخشى عليه تبديل الهدى بالضلال.

---

(١) ابن العربي القاضي ابوبكر محمد الاندلسي المالكي توفي سنة ٥٤٣ هـــ. [١١٤٨ م.] في فاس

{الفصل الثاني والثلاثون}

إعلم ان من جهال المسلمين من يتقرب الى قلوب النصارى والافرنج بوضع ولده في مدارسهم ويتودد اليهم بذلك حتى يحبوه ويقولوا فلان ليس عنده عصبية دينية فيا أيها الجاهل الفاسق لاي شئ أنت تتعير من نسبتك الى العصبية الدينية وتسترها عنهم وهم يفتخرون بها ويظهرونها بعدم وضع أولادهم في غير مدارسهم مع ان دينهم من أبطل الباطل الذي ينبغي ان يتعير به حقيقة ودينك من أحق الحق الذي يفتخر به حقيقة أما أنت منسوب لدين الاسلام الذي هو خير الاديان * وأفضل ما عبد به الرحمن * بل هو الدين الحق الوحيد * الذي ما على فضله وكماله في السابقين واللاحقين من مزيد * فنحن والحمد لله لنا كل الفخر في هذه النسبة الشريفة التي لا أشرف منها.

أنا ابن دارة معروفا بها نسبي * وهل بدارة يا للناس من عار

ويا ليت شعري ما هي العصبية الدينية هل هي الاّ ان تتمسك بدينك وتحل ما أحل الله وتحرم ما حرم الله وتحب في الله وتبغض في الله وهل الدين غير هذا وأنت تعلم ان دين الاسلام قد بني على الاعلان والاظهار * لا على التكتم والاستتار.

والستر دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من ستر

أما ترى الله تعالى كيف شرع الاذان في كل يوم خمس مرات وبنوا لذلك المآذن وأعلنوه غاية الاعلان وأظهروه غاية الاظهار على رؤس الاشهاد * في جميع البلاد * أتستره أنت أيها الجاهل الفاسق بتوهمك أن اظهاره عليك عار * وانك بذلك تستجلب مودة الكفار * أف لك من مسلم ساقط الهمة * عديم النخوة * هل سمعت قط ان عاقلا يجتهد في ستر شرفه الذي لا شرف مثله ويتعير باعلانه بين أعدائه واخوانه * ومن أعجب ما سمعت في هذا الباب ان رجلا من أكابر المسلمين وهو من المحافظين على الصلاة والصيام وأنواع العبادات ويعد من صلحاء الجهّال حضر في دعوة بعض أكابر الصنارى فحينما وضعوا الخمر على المائدة وهو جالس عليها

تناول كأسا وشربه خوفا من ان يقولوا متعصب في دينه وظن بجهله ان هذا الخاطر الشيطاني يكون عذرا له ولا يخل بطاعاته * فانظر الى الجهل وآفاته.

{الفصل الثالث والثلاثون}

يجب ويفترض على كل مسلم له قدرة على اخراج بعض أولئك الاولاد المسلمين من المدارس النصرانية ان يخرجهم بما يقدر عليه اما بأن يكون والد ذلك الصبي أو وليه صديقا له فينهاه ويلح عليه بالترهيب والترغيب واما ان يكون له مناسبة مع بعض أصدقائه فيحيلهم عليه واما بأن يبلغ أمره الى أحد من ينفذ عليه أمرهم من حاكم وغيره واما بأن يعطيه مالا ان كان الحامل له على ادخال ولده الفقر والحاجة كما هو حاصل في مدارس البنات التي افتتحها البروتستنت في بيروت وغيرها والحاصل انه يجب على كل مسلم بكل حيلة وكل وسيلة تمكنه ان يخرج ذلك الصبي أو الصبية واذا قدر على ذلك و لم يفلعه فهو آثم مستحق للعقاب من الله تعالى هذا اذا كان غير راض بقلبه بذلك وأما اذا رضي بدخول أحد أولاد المسلمين وكفرهم على الوجه المذكور فهو كافر مثل من أدخلهم وهو راض بذلك فان الرضا بالكفر كفر والله الهادي * وعليه اعتمادي.

{الفصل الرابع والثلاثون}

روي عن سيدنا عثمان رضي الله عنه انه قال ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وكتابي هذا وان اشتمل على بيان عدم جواز دخول أولاد المسلمين المدارس النصرانية المذكورة بل كفر الداخلين منهم الى كنائسها مع أولاد النصارى وعبادتهم مثلهم وكفر آبائهم أيضا وأوليائهم الراضين بذلك وهذا لا شك يؤثر في نفوس كثير من المسلمين الموفقين الذين كانوا يجهلون الحكم الشرعي في ذلك فاذا عرفوه بعد الآن يطيعون الشرع وخبرجون أولادهم ومن ولوا أمرهم ويتوبون الى الله تعالى ولا يؤثر ذلك فيمن طمس الله على بصائرهم من الفسّاق والمرّاق * وأهل الزندقة والنفاق * فهؤلاء يجب على ولي الامر ان يمنعهم من ادخال أولادهم ومن

تولوا أمورهم من صبيان المسلمين الى هذه المدارس النصرانية شفقة عليهم واحتياطا لسلامة أديانهم ولا هادي الاّ الله * ولا حول ولا قوّة الاّ بالله.

{الفصل الخامس والثلاثون}

فإن قلت إنّا نرى بعض أكابر المسلمين يضعون أولادهم في هذه المدارس وهؤلاء لابد ان يكون عندهم معرفة في أمور دينهم ودنياهم فلو علموا ان في ذلك ضررا لما وضعوا أولادهم أقول كونهم من أكابر الدنيا لا يمنع فسقهم وجهلهم في أمور الدين وهم انما يصلحون قدوة لامثالهم الفساق الجهال لا لمسلم يهمه اجتناب الحرام واتباع الحلال وهؤلاء وان كانوا بحسب الظاهر من الاكابر فان نفوسهم من الاسافل الاصاغر.

وما ينفع الاصل من هاشم * اذا كانت النفس من باهله

والاّ فلو كان هذا من أكابر المسلمين حقيقة لكان من أعظمهم محبة لدينه وملته وأكثرهم غيرة على جنسيته ودولته ولو كان كذلك لما أدخل ولده في المدارس النصرانية فانه لا يخرج منها الاّ وقد انسلبت منه كل هذه المناقب الجليلة * والصفات الجميلة * فبالله عليك أيها المنصف هل يُعَدُّ من هذه حالته من أكابر المسلمين أو من أصاغرهم بل هو والله من أصغر أصاغرهم وأسفل أسافلهم ويشهد بذلك نفس النصارى والافرنج الذين يضع ولده في مدارسهم ولذلك لم يختاروا هذه الحالة لانفسهم فإنا نرى مدارس المسلمين مهما كانت ناجحة لا يضع النصارى أولادهم فيها بل لا يضعونهم في مدارس طائفة أخرى منهم كل ذلك محافظة منهم على دين أولادهم فانظر وتعجب لهذا الرجل المخذول الذي بوضعه ولده في المدارس النصرانية على الوجه المذكور قد عادى ربه ونبيه ودينه ودولته وأهل ملته بل عادى نفسه التي بين جنبه وسقط بذلك من عين أعداء دينه الذين وضع ولده في مدارسهم فانهم لا يثقون به بعد ذلك كمال الوثوق لانهم يعلمون ان من لا دين له لا أمانة له وأما كون بعض من يضعون أولادهم من المسلمين في مدارس النصارى هم من أكابرهم

لا ينافي ذلك كونهم من أكثرهم جهلا * وأقلهم في أمور دينهم عقلا * وان كانوا بحسب الظاهر من ذوي الاحلام * وأكابر الانام * فقد قال الله تعالى في الكفار (**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَوةِ الدُّنيَا وَهُمْ عَنِ اْلآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** * الروم: ٧) وقال تعالى فيهم (**اِنْ هُمْ اِلاَّ كَاْلاَنْعَامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ سَبِيلاً** * الفرقان: ٤٤) وها نحن نراهم بالمشاهدة كذلك قد بلغوا في الدنيا الغاية * وما وصلوا بالدين الى البداية * غافلين عن البعث والنشور * وما تؤل اليه بعد الموت الامور * لا يعرفون الله ولا يؤمنون به ولا بانبيائه * ولا بقدره وقضائه * والمتدينون منهم وقليل ما هم يعتقدون تثليث الآلهة * وان الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ويعتقدون الوهية المسيح عليه السلام مع اعتقادهم انه بشر مثلهم يأكل ويشرب * ويرتاح ويتعب * ويمشي ويركب * ويقهر ويغلب * ويقتل على زعمهم ويصلب * ويعتقدون في الخبز الذي يقرأ عليه القسيسون في الكنيسة انه يستحيل بتلك القراءة الى نفس جسده فيأكلونه على أنه جسد المسيح عليه السلام وان الخمر الذي يقرؤن عليه يستحيل الى نفس دمه فيشربونه على انه دم المسيح عليه السلام ومن لم يعتقد ذلك منهم فهو كافر في دينهم ليس بنصراني فاذا نظرت الى هذه الاعتقادات الدينية لا تشك في ان معتقدها من أجن المجانين * واذا نظرت الى ما يصدر على يد بعضهم من المهمات الدنيوية لا تشك في أنه من أعقل العاقلين * فهم في الدين أكثر الناس جهلا * وفي الدنيا أكبر الناس عقلا * ولو كانت عقول هؤلاء في أمور دينهم كعقولهم في أمور دنياهم لما اختاروا سوى دين الله الحق دين الاسلام الذي اتفقت على حسن عقائده وأحكامه وقواعده جميع ذوي الاحلام * من جميع أفاضل الانام * على اختلاف الاعصار والاقطار والاقوام * ولكن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون * وخلق النار وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون * سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * لو هداهم الله لمحبة دين الاسلام * واستعملوا في معرفته ما وهبهم سبحانه من المدارك والافهام * لتيقنوا انه دين الله الحق بلا شك

ولا ارتياب * ودخلوا اليه أفواجا من كل باب * ولكنهم صرف الله قلوبهم فصرفوا النظر عن الدين وتوغلوا في الدنيا وعلومها * واستغرقوا أعمارهم بالبحث عن مجهولها ومعلومها * فسترت عقولهم ببرسامها * وأغرقتهم في بحار أوهامها * فهم في الصورة من ذوي الاحلام ولا أحلام * مستيقظون في الظاهر وهم في الحقيقة نيام * وسيتنبهون متى زال عنهم بالموت المنام * ويعلمون ان ما كانوا فيه من زخارفها أضغاث أحلام * سوف ترى اذا انجلى الغبار * أفرس تحتك أم حمار.

{الفصل السادس والثلاثون}

ومن العجب إنّا نرى شدة حرص الافرنج على اختلاف أجناسهم على نشر دين النصرانية مع ان أكثرهم لا يعتقدون الاديان ولكن يرون سياستهم الاولية تقضي عليهم بانهم لابد لهم من دين يجمعون عليه شعوبهم وقد نشؤا من صغرهم على دين النصرانية فيرونه أولى من غيره من الاديان باجتماعهم عليه ودعوتهم الشعوب الاخرى اليه فيشكلون لذلك الجمعيات المتنوعة ويجمعون الاموال الكثيرة ويرتبون المعلمين السعاة الدعاة ويسمونهم بالمبشرين ويبثونهم في أقطار الارض يدعون الناس الى مذهبهم ويفتحون المدارس المختلفة في أقصى البلاد وأدانيها في المدن والقرى ويطبعون الكتب الكثيرة الباحثة عن اعتقاداتهم وينفقون عليها النفقات الوافرة وينشرونها في الجهات البعيدة والقريبة ومن ذلك ما يجريه بعض القسيسين الذين يرسلونهم من تطوافهم في القرى وجمعهم الصبيان والجهال وقراءتهم عليهم بعض كتب الديانة النصرانية لاغوائهم هذا زيادة عن فتحهم المدارس في بعض القرى واستجلابهم أولاد المسلمين وغيرهم بكل حيلة ووسيلة فليحذر المسلمون منهم ومن مدارسهم ولا يمكنوا أولادهم وجهالهم من الاجتماع عليهم ولو على سبيل الفرجة لان الاولاد الصغار ربما يعلق في أذهانهم شئ من ضلالاتهم التي تخالف دين الاسلام * وعلى آبائهم وأمهاتهم ومن يلي أمرهم في ذلك الوبال والملام * وبينما نحن نراهم كذلك نرى كثيرا من المسلمين لا يبالون بنشر دينهم المبين دين الاسلام * ولا

ينفقون النفقات كهؤلاء الاقوام * ولا يعتنون بدحض ما يرد على بلادهم وأولادهم من الشرك والشك والاوهام * أليس هذا من أقبح أنواع الخذلان * وأشد الخسارة وأفحش الحرمان * ولا سيما في هذا الزمان * الذي هجم فيه الكفر على الايمان * وزاد الضلال وتتابع العدوان * أقول قولي هذا وأستعين بالله تعالى وهو نعم المستعان*

{الفصل السابع والثلاثون في تحذير المسلمين من مطبوعات اليسوعيين}

يوجد في بيروت مطبعة للرهبان اليسوعيين طبعوا فيها كثيرا من الكتب والمجاميع الادبية التي جمعوها من كتب المسلمين ولكنهم لعدم أمانتهم في النقل أزالوا من الكتب التي نقلوا منها العبارات التي فيها تأييد لدين الاسلام وتعظيم لرسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام * فمن ذلك انهم طبعوا كتاب فقه اللغة فازالوا خطبته بالكلية لما فيها من تعظيم الحضرة المحمدية * عليها من الله أفضل صلاة وأكمل تحية * ومن ذلك انهم طبعوا كتاب الالفاظ الكتابية فغيروا وبدلوا في عباراته في محلات كثيرة فاذا قال كما قال الله تعالى يغيرون عبارته بقولهم كما قال القائل أو كما قيل وهكذا وجمعوا مجموعا كبيرا عدة أجزاء أكثرها من كتب المسلمين وحذفوا من عباراتهم ما يتعلق بتعظيم دين الاسلام * وتفخيم حبيب الرحمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بل أبدلوا في بعض الاحيان عبارات علماء المسلمين الصحيحة المليحة بعباراتهم الفاسدة القبيحة * وذلك فيما يتعلق بشؤون سيد المرسلين * ودينه المبين وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين * فأنا أحذر جميع المسلمين من الكتب المطبوعة في المطبعة اليسوعية في بيروت ولو كانت من كتب وتأليف المسلمين فضلا عن مجاميعهم التي جمعوها وطبعوها مثل المجموع الذي سموه مجاني الادب في عدة أجزاء فانهم لا أمانة لهم في النقل يحرفون الكلم عن مواضعه * ويمزجون مضاره بمنافعه * ويضعون السم في الدسم * ويبدلون الصحة بالسقم * فاياك أيها المسلم أن تشتري شيئا من كتبهم فاني والله ما أخبرتك الاّ عن علم ويقين * لا عن ظن وتخمين * واذا رأيت بعض التقاريظ باسم بعض علماء المسلمين على بعض

كتبهم فلا تعبأ بها فانهم اذا ثبت تصرفهم في نفس تلك الكتب بالتحريف والتبديل وحذف ما لا يوافق مذهبهم واثبات ما يوافقه وان خالف دين صاحب ذلك الكتاب فما يمنعهم من التصرف في التقاريظ على حسب هواهم وما يوافق مصلحتهم فالحذر من كتبهم الحذر * وها أنا أنذرتك أيها المسلم وقد أعذر من أنذر.

{الفصل الثامن والثلاثون}

ويلزم مدارس المسلمين أن لا تعلم شيئا مما يخالف عقائد أهل السنة والجماعة ولو كان المقصود من الكتاب المقروء شيئا آخر غير العقائد ككتاب نهج البلاغة فان بعض المدارس الاسلامية تقرئه للتلاميذ بقصد تدريبهم على البلاغة والفصاحة فيخشى عليهم ان يثبت في نفوسهم لصغرهم شئ من معاني التشيع والرفض والاعتراض على بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والميل الى البعض منهم دون البعض وابدال حب كثير منهم والعياذ بالله تعالى بالبغض أما نسبة الكتاب المذكور لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فهي نسبة كاذبة غير صحيحة قال الحافظ الذهبي[١] في كتابه ميزان الاعتدال كما في كشف الظنون[٢] ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بانه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه فان فيه السب الصريح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما اهـ. وهو جمع الشريف الرضي أو الشريف المرتضى كما قاله ابن خلكان[٣] وهما من رؤس الشيعة ولا شك ان كثيرا من عبارات هذا الكتاب هي من كلام سيدنا علي رضي الله عنه كما ان كثيرا من عباراته مكذوبة عليه فينبغي لاحد فضلاء أهل السنة والجماعة ان يختصره بحذف سيئاته واثبات حسناته وحينئذ تستحسن قراءته في المدارس والدروس * وتطيب به الارواح والنفوس * أما الآن وقد اختلط فيه الحق

---

(١) محمد الذهبي توفي سنة ٧٤٨ هـ. [١٣٤٨ م.] في مصر

(٢) مؤلف كشف الظنون مصطفى كاتب جلبي توفي سنة ١٠٦٧ هـ. [١٦٥٦ م.] في استنبول

(٣) ابن خلّكان أحمد توفي سنة ٦٨١ هـ. [١٢٨٢ م.] في الشام

بالباطل فلا تجوز قراءته في المدارس لاولاد المسلمين ألبتة وقد سمعت من رجل من نجباء بيروت كلاما فيه رائحة التشيع فنهيته عنه وسألته من أين أتاه وليس من مذهب أهل بلده فقال لي انه أتاه من قراءة نهج البلاغة في المدرسة في صغره فالحذر الحذر من قراءة هذا الكتاب الاّ بعد اختصاره * باثبات خياره * وازالة عواره وقد نص العلماء على عدم جواز قراءة فتوح الشام المنسوب للواقدي[١] لما فيه من الاكاذيب مع ان كذبه مدح للصحابة رضي الله عنهم وذكر شجاعتهم وأخبار فتوحاتهم فقراءة نهج البلاغة[٢] أولى بعدم الجواز لاشتماله على الكذب الصريح بذمهم مما هم منه أبرياء رضي الله عنهم واني انصح معلمي المدارس ان لا يقرئوه * وانصح جميع المسلمين ان لا يقتنوه * الاّ بعد الاختصار * باثبات الصفاء وازالة الاكدار * ومن المنكر الذي * يجب انكاره ومنعه ما يفعله الاعاجم في بلاد العراق من ارسال جماعة من علمائهم موظفين من طرفهم لاغواء المسلمين ببث عقائد الرفض والتشيع بينهم وهم منذ سنين كثيرة اعتادوا على هذا العمل المضر وصاروا يطوفون في القرى والعشائر حتى ترفض بسببهم جماهير من الاعراب وأهل القرى في بلاد العراق فليحذرهم المسلمون وأهل السنة كل الحذر * فان ضررهم على دين الاسلام من أفحش الضرر.

{الفصل التاسع والثلاثون}

يا علماء الاسلام * ويا فرسان الكلام * ويا خطباء المجامع والمنابر ويا صدور المحافل والمحاضر * أين أنتم ما بالكم لا تنصحون هؤلاء العوام * الذين هم في أمور دينهم كالانعام * وان كان بعضهم في دنياه من ذوي الاحلام * ولا مانع من ذلك فقد يكون الانسان عاقلا في أمر دنياه * مجنونا في أمر أخراه كما قال الله تعالى في الكتاب يعلمونَ ظاهراً منَ الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال فيهم ان

---

(١) محمد الواقدي توفي سنة ٢٠٧ هـ. [٨٢٢ م.] في بغداد

(٢) مؤلف نهج البلاغة الرضي الرافضي مات سنة ٤٠٦ هـ. [١٠١٥ م.]

هم الاّ كالانعام بل هم اضلّ سبيلا وها نحن[١] نراهم كذلك بلغوا في الدنيا الغاية * وما وصلوا في الدين الى البداية * بل أكثرهم غافلون عن البعث والنشور * وما تؤل اليه بعد الموت الامور * زنادقة لا يتدينون بدين * ولا يعرفون ربّ العالمين * والمتدينون منهم مع قلتهم هم على العقيدة النصرانية يعتقدون تثليث الآلهة وان الثلاثة واحد وانه سبحانه وتعالى هو المسيح عليه السلام مع اعتقادهم انه انسان مثلهم يأكل ويشرب وينام ويقوم ويغوط ويبول مع ما ظهر عليه من العجز والضعف والذل والهوان بنصرة أعدائه اليهود عليه وصلبهم اياه على زعمهم ومع ذلك يعتقدون انه هو ربهم ورب اليهود الذين صلبوه بزعمهم ويعتقدون في الخبز الذي يقرأ عليه القسيس في الكنيسة انه يستحيل بتلك القراءة الى نفس جسد عيسى عليه السلام وان الخمر الذي يقرأ عليه القسيس يستحيل الى نفس دمه عليه السلام فاذا نظرت الى هذه الاعتقادات الفاسدة لا تشك ان معتقدها من أجن المجانين واذا نظرت الى ما يصدر على يده من المهمات الدنيوية لا تشك في أنه من أعقل العاقلين ولو كانوا عقلاء في دينهم كما هم عقلاء في دنياهم لما اختاروا سوى دين الله الحق دين الاسلام الذين اتفقت على حسن عقائده وأحكامه وقواعده جميع ذوي الاحلام من جميع أفاضل الانام على اختلاف الاعصار والاقطار والاقوام ولكن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم المؤمنون وخلق النار وخلق لها أهلا وهم الكافرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

{الفصل الأربعون}

قلت في كتابي حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم ومن أجل دلائل نبوته صلّى الله عليه وسلّم والبراهين الدالة على صحة دينه المبين دين الاسلام انه كلما دقق العاقل النظر فيه * وتوغل في علم معانيه * وتبحر في معرفة أحكامه وفروعه وأصوله * وطبق بين معقوله ومنقوله * يزيد فيه رسوخا

---

(١) هكذا بخط المؤلف وهو قد تقدم بهذه العبارة فليتأمل

ومحبة وقوة اعتقاد ولذلك ترى أعقل عقلاء الامة المحمدية * وأفضل فضلاء الملة الاحمدية * وأعلم علماء الشريعة الاسلامية * هم علماء هذا الدين المبين * وخدام شريعة سيد المرسلين * صلّى الله عليه وسلّم وهم المحدثون * والفقهاء والصوفية والمتكلمون * وكل منهم الوف كثيرة لا يمكن حصرهم وقد ملأت كتبهم الدينية من تفسير وحديث وعقائد وفقه وتصوف فضلا عن غير الدينية أقطار الارض حتى ان فضلاء جميع الملل وعقلاء كافة الدول يفتخرون بالحصول على كتبهم هذه بجميع أصنافها ويتنافسون فيها غاية التنافس ويعتقدونها من أنفس الذخائر وأشرف المطالب فيجمعونها من سائر البلدان * باغلى الاثمان * حتى صار ما عندهم منها أكثر مما عندنا معاشر المسلمين فقد أحرزوا منها مئات الوف من المجلدات افتخروا بوضعها في مكاتبهم العمومية والخصوصية وحكمة ذلك الباطنة والله أعلم نشر دعوة النبي صلّى الله عليه وسلّم وزيادة اقامة الحجة عليهم يوم القيامة ولهذه الحكمة اعتنوا كثيرا بنشر القرآن الكريم بينهم فطبعوه في بلادهم بغاية الاتقان * وترجموه الى لغاتهم بكل لسان ** مع ان كتبهم الدينية وتآليف علماء دينهم لم تبلغ عندهم عشر هذا الاعتبار وهي عندهم مبتذلة كالكتب العادية بل أدنى على انّا لو قابلنا جميع ما الف في أحد الاديان المخالفة لدين الاسلام لا تقاوم في الكثرة مؤلفات امام واحد من المسلمين * وهم الوف كثيرة من المتقدمين والمتأخرين * لا يمكن حصر مؤلفاتهم ولو فرض حصرها لبلغت الوف الوف الوف وهكذا الى انقطاع النفس فقد بلغت مؤلفات الحافظ السيوطي وحده نحو الخمسمائة مؤلف وكثير منها في مجلدات عديدة واكثرها دينية وقبله الحافظ ابن حجر له تآليف كثيرة وقبله ملا خُسْرَوْ وملا أحمد خيالي[١] وقبلهم الامام النووي وقبلهم الشيخ الاكبر سيدنا محي الدين بن العربي بلغت مؤلفاته المئين وكثير منها عدة مجلدات وكلها دينية وقبله الامام الغزالي كذلك وقبلهم وفي أعصارهم وبعدهم ائمة كثيرون كالشعراني وابن حجر المكي والمناوي واحمد

---

(١) أحمد خيالي افندي توفي سنة ٨٧٠ هـ. [١٤٦٥ م.] في بروسه

فاروقي[١] وابن كمال باشا[٢] ولو أردنا لعددنا من أئمة دين الاسلام الوفا ممن عرفناهم فضلا عمن لم نعرفهم ولم نسمع بهم ولم نطلع على مؤلفاتهم من عهد السلف الصالح الى الآن بخلاف سائر الاديان بل لا يقابل جميع ما الف فيها كتابا واحدا من مؤلفات بعض أكابر علماءِ الاسلام كتفسير الشيخ الاكبر فانه مائة مجلد ومثله تفسير كبير رازى ومثله تفسير ابن النقيب المقدسي. وأعظم من ذلك ما ذكره سيدي عبد الوهاب الشعراني في الباب السادس من المنن الكبرى من ان أصحاب الطبقات نقلوا ان ابن شاهين الحافظ صنف ثلاثمائة وثلاثين مؤلفا منها تفسيره للقرآن في الف مجلد ومنها المسند في الحديث في الف وستمائة مجلد وغير ذلك وانه حاسب الحبار على استجراره من الحبر للكتابة أواخر عمره فبلغ الف رطل وثمانمائة رطل وحكى بعضهم ان الشيخ عبد الغفار القوصي صنف في مذهب الشافعي باخميم الف مجلد وحكى الجلال السيوطي ان الشيخ أبا الحسن الاشعري الف تفسيرا ستمائة مجلد قال وهو في خزانة النظامية ببغداد انتهى كلام الامام الشعراني. ومع ذلك فتلك الديانات انما خدمها في الغالب العوام أو من هم كالعوام ولم ينقلها فحول العلماء بالاسانيد المتصلة كدين الاسلام قال شيخنا الشيخ عبد الهادي الابياري المصري في حاشيته على مقدمة شرح البخاري للقسطلاني قال ابن حزم[٣] نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلّى الله عليه وسلّم مع الاتصال فضيلة خص الله بها هذه الامة دون سائر الملل وأما مع الارسال والاعضال فيوجد في كثير من اليهود ولكن لا يقربون من موسى عليه السلام قربنا من محمد صلّى الله عليه وسلّم بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الاّ تحريم الطلاق فقط أما النقل بالطريق المشتملة على

(١) الامام الرباني أحمد الفاروقي المجددي توفي سنة ١٠٣٤ هـ. [١٦٢٤ م.]

(٢) شيخ الاسلام أحمد ابن كمال توفي سنة ٩٤٠ هـ. [١٥٣٤ م.] في استنبول

(٣) ابن حزم علي الظاهري الاندلسي مات سنة ٤٥٦ هـ. [١٠٦٤ م.]

كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود ان يبلغوا الى صاحب نبي أصلا ولا تابع له ولا يمكن النصارى ان يصلوا الى أعلى من شمعون وبولص اهــ وقد تلاعبت بتلك الاديان أيدي الجهل والاهواء والاغراض بالزيادة والنقص في الاعصر السابقة و لم تزل تزداد من ذلك كل حين حتى وصلت الى حالة عجيبة لا ترضى أهلها فضلا عمن سواهم فانشقوا طوائف كثيرة حتى ان القسم الاعظم منهم الآن تركوا ما اتفق عليه جمهور اسلافهم من أحكام أديانهم وخرجت منهم جماهير كثيرة من التدين بالكلية بسبب ان العلوم العقلية كثرت فيهم فصار العقلاء منهم كلما دققوا في أديانهم وتأملوا في عقائدها ومعانيها وتوغلوا في معرفة أصولها وفروعها * ومفرقها ومجموعها * ينقص اعتقادهم بصحتها شيئا فشيئا الى ان انمحى من قلوبهم أثر الديانة جملة واحدة و لم يبق فيها ذرة من الاعتقاد * وصارت كلها مملوءة بالاعتراض والانتقاد * والفوا في تزييفها الكتب الكثيرة حتى صارت علامة العاقل عندهم ان لا يكون من أهل الدين وهم لا يعدون رؤساء دينهم في زمرة العقلاء والعلماء وانما خصصوهم لاقامة المراسم الدينية على اصطلاحاتهم لتجتمع بواسطتهم العامة على الدين لئلا ينحل أمر الديانات بالكلية وهو لا يوافق المصلحة العمومية وقد اطلع بعض عقلائهم على بعض محاسن الديانة الاسلامية فاتبعها وصار يدعو الناس اليها في بلادهم فاتبعه كثير منهم لما استناروا بأنوارها وعلموا بعض أسرارها وقد أقر كثير من فضلائهم بكمال فضلها وترجيحها على سائر الاديان وقال بعضهم في كتبه بعد ان زيف جميع الديانات ورجحها لو كنت متدينا بدين من الاديان لما اخترت الاّ دين الاسلام ولا يخفى انه لا يلزم من معرفة الحق اتباعه فقد نرى كثيرين يكابرون برفض الحق ويتمسكون بالباطل عنادا والله يفعل في خلقه ما يشاء ويحكم ما يريد قال تعالى (**اِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ اَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ** * القصص: ٥٦) وقال عزّ وجلّ (**وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ اُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * اِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ**

رَبِّكَ لاَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ اَجْمَعِينَ * هود: ١١٨-١١٩) ومن دلائل نبوته وصحة دينه عليه الصلاة والسلام ان صلحاء أمته صلّى الله عليه وسلّم المواظبين على الطاعات المجتنبين للمعاصي يظهر على وجوههم من البهجة والنور والانس ما يشاهده كل أحد ويقربه الكافر فضلا عن المؤمن ولا نرى ذلك في أحد من الناس غير صلحاء المسلمين بخلاف الفساق المنهمكين في المعاصي فقد تظهر على وجوههم كآبة وظلمة تزول بالتوبة النصوح وأشد منهم في ذلك أهل البدع الزاعمون انهم من أهل الاسلام وقد خرجوا منه ببدعتهم وأخلوا بكثير من شروطه وأشد منهم في ذلك كما هو ظاهر من قضوا حياتهم في الكفر بجميع أنواعه فانه يظهر عليهم ولا سيما في آخر أعمارهم من الظلام والقتام ما لا يخفى على من في قلبه ذرة من نور الايمان وبالجملة فان الدلائل على وحدة الله تعالى لا تحصى ولا تحصر ولا تعد ولا تحد.

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وكذلك الدلائل على صحة رسالة سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وصحة دينه دين الاسلام أشهر من أن تشهر وأكثر من أن تحصر كما قلت في قصيدتي التي وازنت بها بانت سعاد:

لم يجحد الله لم يجحد نبوته * الاعم عن طريق الرشد ضليل

فكل ذرات كل الخلق شاهدة * ان لا اله سوى الرحمن مقبول

وان أحمد خير الرسل رحمته * للعالمين ففيها الكل مشمول

ولذلك لم يزل هذا الدين المبين * منذ بعثة سيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم الى الآن في انتشار وازدياد * في سائر البلادة * حتى أنا نرى الناس في كل زمان ومكان من سائر الملل والنحل العرب والعجم يهتدون بأنواره ويدخلون فيه أفواجا أفواجا من تلقاء أنفسهم بلا رغبة ولا رهبة بخلاف سواه من الاديان فانها فضلا عن كونها لا يدخل فيها الاّ الشاذ النادر من الجهلة الطغام مع كثيرة النفقات وأنواع الترغيبات والترهيبات نرى أهلها يخرجون منها أفواجا أفواجا بعضهم الى هذا الدين المبين *

وبعضهم الى مذهب الدهرية حيث لا اعتقاد ولا دين * لما يشاهدونه في أديانهم من المناقضات التي يأباها كل ذي عقل سليم ومن يتمسك به منهم ظاهرا فانما هو للعصبة الجنية التي ينشأ عليها صغيرا فالحمد لله الذي جعلنا من أهل دينه دين الاسلام * وأمة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام * انتهت عبارة كتابي حجة الله على العالمين * (**موعظة حسنة وحكمة مستحسنة**) أنصحك أيها القارئ اذا كنت من الكافرين وأدعوك للايمان بسيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم.

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالابصار

قد قيل هذا في الهلال فما بالك بشمس الوجود * المستضئ بنورها كل موجود * فو الله الذي لا اله الاّ هو لنبوة سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم لذوي العقول السليمة والقلوب البصيرة * أظهر من الشمس في وقت الظهيرة * وكما أن هذه قد يحول دونها حائل سحاب ونحوه يمنع من رؤيتها أو لا يكون دونها حائل ولكن في الابصار عمى منعها من رؤيتها كذلك شمس الهداية وهي النبي صلّى الله عليه وسلّم قد يحول بين قلب المرء وبينها حائل رقيق كالمعاصي فانها تظلم القلب فلا يرى شمس هدايته صلّى الله عليه وسلّم حق الرؤية ولا يعرفها حق المعرفة كما ينبغي ان تعرف وكلما كثرت المعاصي تراكم الظلام على القلب فيغلظ الحجاب ويزداد جهله بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وحينئذ اما أن يرحمه الله تعالى بالتوبة النصوح والاقلاع عن الذنب والاشتغال بالطاعات فينجلي القلب ويستنير فيزول جهله بالنبي صلّى الله عليه وسلّم على قدر ذلك الانجلاء ومهما عرف النبي عليه الصلاة والسلام فقد عرف الله تعالى ومهما جهله صلّى الله عليه وسلّم فقد جهل الله تعالى لان معرفة النبي هي الطريق لمعرفته تعالى واما أن يزداد الظلام ويتراكم بترك الطاعات وازدياد المعاصي ودوام الاصرار عليها ومعاشرة الكفار والفساق ومحبتهم واستحسان أحوالهم حتى يجره ذلك والعياذ بالله تعالى الى عمي القلب جملة واحدة فيكون منهم ولذلك قال الله تعالى (**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** * المائدة: ٥١) ومن هنا ورد ان المعاصي

بريد الكفر ومعنى البريد الرسول أي ان المعاصي تتقدم الكفر لتهيئ له محلا فيتبعها وذلك يكون اذا زادت ودام الاصرار عليها فلا يزال الفاسق تزداد ظلمة قلبه يوما فيوما من المعاصي الذاتية وليس له طاعات تكفرها وتمحو أثرها ويستمد أيضا فوق ظلمة معاصيه من ظلمة معاشريه من الكفار والفساق ويبقى في غفلته هذه وهو في كل لحظة يزداد من الكفر قربا ومن الايمان بعدا وقلبه غارق في بحر الظلمات المحيط به من كل الجهات حتى ينطمس بالكلية ويعمى عن رؤية أنوار شمس الهداية المحمدية فيصير ولي الشيطان ويدخل بالكفر ويخرج من الايمان نسأل الله العافية وقد يكون قلب المرء لم يسبق له ابصار وانما كان وهو صغير فيه القابلية للابصار والعمى فلو قيض الله له من أرشده الى الايمان البصر فلما لم يقيض له ذلك المرشد بل قيض له من عاش معهم في ظلمة الضلال الكثيفة من أول نشأته كالاب والام والاخ والاخت والقريب والصاحب والمعلم وكلهم عمي القلوب نشأ مثلهم مطموس البصيرة أعمى القلب لم يسبق له قبل ذلك ابصار ولا عهد له برؤية الانوار وهذه حالة الكفار أبناء الكفار وهم كل من عدا المسلمين المؤمنين بسيدنا محمد المصطفى المختار قال صلّى الله عليه وسلّم (**كل مولود يولد على فطرة الاسلام وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) فاعمى المعاصي التي جرته الى الكفر كان مبصرا فأتاه العمي تدريجا بخلاف هذا الذي نشأ على الكفر فانه لم يسبق له ابصار أصلا وابتلى بعمي القلب دفعة واحدة ولا فرق بينهما سوى ان الاول أقبح لانه عرف الحق ثم أنكره أما الثاني فلم تسبق له معرفة للحق بالكلية وانما خلق في الباطل واستمر فيه وكلاهما في كل لحظة في ازدياد من العمي والظلام وبعد عن مشاهدة أنوار الاسلام فهل يمكن لم هذه حالته رؤية شمس النبوة المحمدية مهما أسفرت اسفارا * وملأت الدنيا أنوارا * وليس المانع من جهة هذه الشمس لانها ظاهرة السفور باهرة النور * بل المانع من جهة ذلك القلب الاعمى قال تعالى (**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** * الحج: ٤٦) وقال تعالى (**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ**

مِنْ نُورٍ * النور: ٤٠) فان أعمى البصر يعلم انه أعمى ويصدق بوجود شمس النهار ويسلم أن المانع له من رؤيتها حاصل من جهته لا من جهتها بخلاف أعمى القلب فانه لا يتعقل عمي قلبه ولا يسلم به وينكر وجود شمس النبوة بالكلية مع كونها أظهر من شمس النهار اذا علمت هذا يظهر لك جليا معنى الآية الكريمة من أن العمي الحقيقي انما هو عمي القلوب لا عمي الابصار ولا تستغرب حينئذ انكار الكفار * شمس نبوة سيدنا محمد المختار * مع كونها دائمة الاسفار * وقد ملأت العالمين بالانوار *

{الخاتمة في لزوم الجماعة واتباع ما جاء به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الكتاب والسنة واجتناب ما عدا ذلك من كتب أهل الكتاب وغيرها وقد أخذت ما فيه من الاحاديث من الترهيب والترغيب[١] للحافظ المنذري وترتيب الجامع الكبير للحسام الهندي}

روى مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته واشتّد غضبه كأنّه منذر جيش يقول صبّحكم ومسأكم ويقول (**بعثت انا والسّاعة كهاتين**) ويقرن بين اصبعيه السّبابة والوسطى ويقول (**امّا بعد فانّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشرّ الامور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة**) ثمّ يقول (**أنا اولى بكلّ مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فاليّ وعليّ**) وروى مسلم أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو ردّ**) وروى الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خطب النّاس في حجة الوداع فقال (**انّ الشّيطان قد يئس ان يعبد بأرضكم ولكن يرضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من اعمالكم فاحذروا انّي قد تركت فيكم ما ان استعصمتم به فلن تضلّوا ابدا كتاب الله وسنّة نبيّه**) وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**من تمسّك بسنّتي عند**

---

(١) مؤلف الترهيب والترغيب الحافظ عبد العظيم المنذري توفي سنة ٦٥٦ هـ. [١٢٥٧ م.] في القاهرة

فساد امّتي فله اجر مائة شهيد) وروى الطبراني عن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**الشّيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشّاذة والقاصية فعليكم بالجماعة والالفة والعامّة والمساجد وايّاكم والشّعاب)** * وروى الحاكم عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(لا يجمع الله عزّ وجلّ امر امّتي على ضلالة ابدا اتّبعوا السّواد الاعظم يد الله على الجماعة من شذّ شذّ في النّار)** * وروى الطبراني وغيره عن اسامة بن شريك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(يد الله على الجماعة فاذا شذّ الشّاذ منهم اختطفه الشّيطان كما يختطف الذئب الشّاة من الغنم)** * وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين واربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فانّ يد الله على الجماعة فلم يجمع الله تعالى امّتي الاّ على هدى واعلموا انّ كل شاذ في النّار)** وروى الديلمي[١] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(من سرّه أن يسكن بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة فانّ الشّيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد)** * وروى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(من فارق أمّته أو عاذى اعرابيا بعد هجرته فلا حجة له)** * وروى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(انّ احمق الحمق وأضلّ الضّلال قوم رغبوا عمّا جاء به نبيّهم الى نبيّ غير نبيهم او الى امّة غير امّتهم)** وروى ابويعلى[٢] وابن المنذر وابن ابي حاتم[٣] وابن ابي منصور ونصر المقدسي والعقيلي عن خالد بن عرفطة قال كنت جالسا عند عمر اذ اتى رجل من عبد القيس فقال له عمر انت فلان العبدي قال نعم فضربه بقناة معه فقال الرجل ما

---

(١) ابوالنصر الديلمي الشهردار توفي سنة ٥٥٨ هـ. [١١٦٣ م.]

(٢) ابويعلى أحمد توفي سنة ٣٠٧ هـ. [٩٢٠ م.] في موصل

(٣) ابوبكر محمد ابن ابي حاتم النيشابوري توفي سنة ٣٢٠ هـ. [٩٣٢ م.]

لي يا امير المؤمنين قال اجلس فجلس فقرأ (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * اِنَّآ اَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** * يوسف: ١-٢) الى قوله لمن الغافلين فقرأها عليه ثلاثا وضربه ثلاثا فقال له الرجل ما لي يا أمير المؤمنين قال أنت الذي نسخت كتاب دانيال قال مُرْنِي بامرك أتّبعه قال انطلق فامحه بالحميم والصّوف ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس فلئن بلغني عنك انك قرأته أو أقرأته احدا من الناس لانهكنّك عقوبةً ثم قال انطلقت انا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ما هذا في يدك يا عمر**) قلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علما الى علمنا فغضب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى احمرّت وجنتاه ثمّ نودي بالصّلاة جامعة فقالت الانصار أغضب نبيّكم السّلاح السّلاح فجاؤا حتّى أحدقّوا بمنبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**يا أيّها النّاس انّي قد اوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصارا ولقد أتيتكم بها بيضاء نقيّة فلا تتهوّكوا**) ومعنى التهوّك التّحيّر، (**ولا يغرّنكم المتهوّكون**) فقمت فقلت رضيت بالله ربّا وبالإسلام دينا وبك رسولا ثم نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم * وروى الدارمي عن عمر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أمتهوّكون فيها يا ابن الخطّاب فو الذي بعثني بالحقّ نبيّا قد جئتكم بها بيضاء نقيّة والّذي بعثني بالحق نبيّا لو أنّ موسى كليم الله كان في زمني ما وسعه الاّ ان يتّبعني**) وانما خص صلّى الله عليه وسلّم موسى عليه السلام مع ان عيسى وسائر النبيين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام كلهم كذلك لو أدركوا زمنه صلّى الله عليه وسلّم لاتّبعوه وكانوا من جملة أمته لان سيدنا موسى عليه السلام هو الذي أنزلت عليه التوراة وفيها شرع الله الذي نسخه بشرعه المحمدي صلّى الله عليه وسلّم وأما سيدنا عيسى فجاء مقرّرا لشريعة التورة ولذلك لم يكن في الانجيل أحكام وانما قصصٌ ومواعظ والدليلُ على ان النبيين كلهم لو أدركوا زمنه صلّى الله عليه وسلّم لاتبعوه قول الله تعالى وهو أصدق القائلين (**وَاِذْ اَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ**

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَاَقْرَرْتُمْ وَاَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ اِصْرِي قَالُوا اَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَاَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * آل عمران: ٨١) وقد ورد ذكر غير موسى عليه السلام في حديث آخر فقد روى البيهقي وعبد الرزاق عن الزهري مرسلا قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وانا بينكم فاتّبعتموه وتركتموني لضللتم**) * وروى البيهقي عن عمر رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن تعلّم التوراة قال (**لا تعلّمها وتعلّموا ما أنزل اليكم وآمنوا به**) * وروى أبونعيم في الحلية عن عمر رضي الله عنه قال انطلقت في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم حتّى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولا فاعجبني فقلت هل أنت مُكَتِّبِي ما تقول قال نعم فأتيته بأديم فأخذ يملي عليّ فلما رجعت قلت يا رسول الله اني لقيت يهوديا يقول قولا لم أسمع مثله بعدك فقال لعلك كتبت منه قلت نعم قال ائتنى به فانطلقت فلما اتيته قال اجلس اقرأه فقرأت ساعة ونظرت الى وجهه فاذا هو يتلوّن فصرت من الفرق لا أجيز حرفا منه ثم دفعته اليه ثم جعل يتبعه رسما رسما يمحوه بريقه وهو يقول لا تتّبعوا هؤلاء فانّهم قد تهوّكوا حتّى محا آخر حرف * وروى ابن عساكر[١] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فانّي أخاف أن يخبروكم بالصّدق فتكذّبوهم او يخبروكم بالكذب فتصدّقوهم عليكم بالقرآن فانّ فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم**) * وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنّا بالله وما أنزل الينا الآية**) * وهذا فيما لم يكن ظاهر المخالفة لديننا فهذا يجب علينا تكذيبهم فيه وكذلك ما كان ظاهر الموافقة لديننا فنصدقهم فيه.

---

(١) علي ابن عساكر توفي سنة ٥٧١ هـ. [١١٧٥ م.] في الشام

ولنختم هذه الخاتمة ببيان حكم مطالعة التوراة والانجيل ونحوهما قال الشهاب الخفاجي[١] في شرح الشفاء في اوائله عند ذكر نقل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما صفة النبي صلّى الله عليه وسلّم عن التوراة في جواب سائل سأله ذلك وهو عطاء بن يسار فان قلت عبد الله رضي الله عنه قريشي عربي فلا يناسب سؤاله عما في التوراة والتوراة وغيره من الكتب القديمة قال الفقهاء لا تجوز قراءته فما وجه هذا قلت ان عبد الله كان يقرأ ويكتب كما مر وقال البرهان الحلبي[٢] في المقتفى انه رضي الله تعالى عنه كان يحفظ التوراة وقد روى البزار[٣] من حديث ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما رأى في المنام في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلّى الله عليه وسلّم فقال له **(تقرأ الكتابين التوراة والقرآن)** فكان يقرؤهما ذكر هذا الحديث بعض شيوخي وأما النهي عن قراءها وان صرح به الفقهاء فليس على اطلاقه لوقوعه في زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم لكثير من الصحابة رضي الله عنهم من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها ويضيع وقته في الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل قد يطلب لالزامهم فيما انكروه منها كما في قصة الرجم ثم قال بعد نحو كراس واعلم ان في بعض الشروح الاعتراض على المصنف وغيره ممن اكثر النقل من التوراة وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقهاء قراءها والنظر فيها فانها محرفة مبدلة وبالغ بعض الفقهاء فقال يجوز الاستنجاء باوراقها وهذا مما لا ينبغي التلفظ به قال رحمه الله تعالى وفي شرح التجاني اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وافاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به قال وهو كلام حسن انتهى كلام الشهاب.

(تم الكتاب بعونه تعالى وحسن توفيقه)

---

(١) مؤلف(نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض) أحمد الخفاجي المصري الحنفي توفي سنة ١٠٦٩ هـ[١٦٥٩ م]

(٢) برهان الدين علي الشافعي الحلبي توفي سنة ١٠٤٤ هـ. [١٦٣٤ م.] في مصر

(٣) البزار أحمد الرملي توفي سنة ٢٩٢ هـ. [٩٠٤ م.]

من

الفتاوى الحديثيّة

تأليف

خاتمة الفقهاء والمحدثين

الشيخ أحمد شهاب الدين

ابن حجر الهيتمي المكي

٩٠٩-٩٧٤ هـ. ١٥٠٣-١٥٦٦ م.

{مطلب: في كرامات الأولياء رضي الله عنهم}

وسئل رضي الله عنه، بما لفظه: كرامات الأولياء حق فهل تنتهي إلى إحياء الموتى وغيره من معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومن أحيى كرامة لولي هل له حكم الأحياء أو الأموات؟

فأجاب رضي الله عنه، بقوله: كرامات الأولياء حق عند أهل السنة والجماعة خلافا للمخاذيل المعتزلة والزيدية، وقول الفخر الرازي[١] إن أبا إسحاق الإسفرايني[٢] أنكرها أيضا مردود بأنه إنما أنكر منها ما كان معجزة لنبي كإحياء الموتى لئلا تختلط الكرامة بالمعجزة، وغلطه النووي كابن الصلاح بأنه ليس في كراماهم معارضة للنبوة لأن الولي إنما أعطي ذلك ببركة اتباعه للنبي صلّى الله عليه وسلّم وشرّف وكرّم، فلا تظهر حقيقة الكرامة عليه إلاّ إذا كان داعيا لاتباع النبي صلّى الله عليه وسلّم بريئا من كل بدعة وانحراف عن شريعة النبي صلّى الله عليه وسلّم، فببركة اتباعه صلّى الله عليه وسلّم يؤيده الله تعالى بملائكته وروح منه ويقذف في قلبه من أنواره.

والحاصل ان كرامة الولي من بعض معجزات النبي صلّى الله عليه وسلّم لكن لعظم اتباعه له أظهر الله بعض خواص النبي على يدي وارثه ومتبعه في سائر حركاته وسكناته.

وقد تنزلت الملائكة لاستماع قراءة أسيد بن حضير الكندي، وكان سلمان وأبوالدرداء يأكلون في صحفة فسبحت الصحفة وما فيها، ثم الصحيح أنهم ينتهون إلى إحياء الموتى خلافا لأبي القاسم القشيري،[٣] ومن ثم قال الزركشي[٤] ما قاله

---

(١) محمد فخر الدين الرازي توفي سنة ٦٠٦ هـ. [١٢٠٩ م.] في هرات

(٢) ابواسحاق الاسفرايني توفي سنة ٤١٨ هـ. [١٠٢٧ م.] في نيشابور

(٣) ابوالقاسم عبد الكريم القشيري توفي سنة ٤٦٥ هـ. [١٠٧٢ م.] في نيشابور

(٤) بدر الدين محمد الزركشي الشافعي توفي سنة ٧٩٤ هـ. [١٣٩١ م.] في مصر

مذهب ضعيف والجمهور على خلافه، وقد أنكروه عليه حتى ولده أبونصر في كتابه [المرشد] فقال عقب تلك المقالة: والصحيح تجويز جملة خوارق العادات كرامة للأولياء، وكذا في إرشاد إمام الحرمين وفي شرح مسلم للنووي تجوز الكرامات بخوارق العادات على اختلاف أنواعها، وخصها بعضهم بإجابة دعوة ونحوها وهذا غلط من قائله وإنكار للحس بل الصواب جريانها بانقلاب الأعيان ونحوه انتهى.

{حكايات لطيفة} وقد مات فرس بعض السلف في الغزو فسأل الله إحياءه حتى يصل بيته فأحياه الله، فلما وصل بيته قال لولده: خذ سرجه فإنه عارية عندنا فأخذه فخر ميتا: وقال اليافعي رضي الله عنه: صح بالسند المتصل إلى الشيخ القطب عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى أن أم شاب عنده دخلت عليه وهو يأكل في دجاجة فأنكرت أكله الدجاجة وإطعامه ابنها أرذل الطعام، فقال لها: اذا صار ابنك بحيث يقول لمثل هذه الدجاجة قومي بإذن الله فقامت ولها أجنحة وطارت بها حق له أن يأكل الدجاج. ولا ينافي إحياء الميت الواقع كرامة أن الأجل محتوم لا يزيد ولا ينقص لأن من أحيى كرامة مات أوّلا بأجله وحياته وقعت كرامة، وكون الميت لا يحيا الاّ للبعث هذا عند عدم الكرامة. أما عندها فهو كإحيائه في القبر للسؤال كما صح به الخبر. وقد وقع للعزير وحماره وللذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم.

إذا تقرر ذلك فمن أحيى كرامة فتارة يتيقن موته تيقنا ضرريا بنحو قطع رأسه وإبانة جثته فهذا إحياؤه لا يعيد له شيئا من زوجاته ولا مما اقتسمته ورثته من أمواله لما تقرر أن هذا كالإحياء الذي في القبر، وتارة لا يتيقن كذلك فيتبين أنه لم يزل شئ عن استحقاقه فيعود له.

والحاصل: أن الإحياء بعد الموت المراد به الإحياء للبعث لا للكرامة أو سؤال الملكين.

{مطلب: اعتراض ابن تيمية على متأخري الصوفية وله خوارق الخ}

وسئل نفع الله به بما لفظه: لابن تيمية اعتراض على متأخري الصوفية، وله خوارق في الفقه والأصول فما محصل ذلك؟

فأجاب بقوله: ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولد التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما كما يأتي.

والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن بل يرمي في كلّ وعر وحزن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالّ ومضلّ جاهل غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين.

وحاصل ما أشير إليه في السؤال أنه قال في بعض كلامه: إن في كتب الصوفية ما هو مبني على أصول الفلاسفة المخالفين لدين المسلمين فيتلقى ذلك بالقبول من يطالع فيها من غير أن يعرف حقيقتها كدعوى أحدهم أنه مطلع على اللوح المحفوظ فإنه عند الفلاسفة كابن سينا وأتباعه النفس الفلكية، ويزعم أن نفوس البشر تتصل بالنفس الفلكية أو بالعقل الفعال يقظة أو مناما، وهم يدعون أن ما يحصل من المكاشفة يقظة أو مناما هو بسبب اتصالها بالنفس الفلكية عندهم وهي سبب حدوث الحوادث في العالم فإذا اتصلت بها نفس البشر استنقش فيها ما كان في النفس الفلكية، وهذه الأمور لم يذكرها قدماء الفلاسفة وإنما ذكرها ابن سينا ومن يتلقى عنه، ويوجد من ذلك في بعض كلام أبي حامد وكلام ابن عربي وابن سبعين[١] وأمثال هؤلاء تكلموا في التصوف، والحقيقة على قاعدة الفلاسفة لا على

---

(١) محمد ابن سبعين المالكي الاندلسي توفي سنة ٦٦٩ هـــ. [١٢٧٠ م.] في مكة المكرمة

أصول المسلمين، ولقد خرجوا بذلك إلى الإلحاد كإلحاد الشيعة والإسماعيلية والقرامطة والباطنية بخلاف عباد أهل السنة والحديث ومتصوفتهم كالفضل وسائر رجال الرسالة، وهؤلاء أعظم الناس إنكارا لطرق من هم خير من الفلاسفة كالمعتزلة والكرامية فكيف بالفلاسفة وأهل التصوف ثلاثة أصناف: قوم على مذهب أهل الحديث والسنة كهؤلاء المذكورين، وقوم على طريقة بعض أهل الكلام من الكرامية وغيرهم، وقوم خرجوا إلى طريق الفلسفة مثل مسلك من سلك رسائل إخوان الصفا وقطعة توجد في كلام أبي حيان التوحيدي، وأما ابن عربي وابن سبعين ونحوهما فجاؤا بقطع فلسفية غيروا عبارتها وأخرجوها في قالب التصوف، وابن سينا تكلم في آخر الإشارات على مقام العارفين بحسب ما يليق بحاله، وكذا معظم من لم يعرف الحقائق الإيمانية.

{مطلب: على أن أبابكر ابن العربي من أصحاب الغزالي وفيما جرى من ابن تيمية الخ}

والغزالي ذكر شيئا من ذلك في بعض كتبه لا سيما في الكتاب المضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار ونحو ذلك حتى ادعى صاحبه أبوبكر بن العربي فقال: شيخنا دخل في نظر الفلاسفة وأراد أن يخرج منهم فما قدر، لكن أبوحامد يكفر الفلاسفة في غير موضع وبين فساد طريقتهم وأنها لا تحصل المقصود واشتغل في آخر عمره بالبخاري ومات على ذلك، وقيل إنه رجع عن تلك الكتب، ومنهم من يقول إنها مكذوبة عليه، وكثر كلام الناس فيه لأجلها كالمازري والطرطوشي وابن الجوزي وابن عقيل وغيرهم انتهى حاصل كلام ابن تيمية، وهو يناسب ما كان عليه من سوء الاعتقاد حتى في أكابر الصحابة ومن بعدهم إلى أهل عصره وربما أداه اعتقاده ذلك إلى تبديع كثير منهم.

ومن جملة من تتبعه الولي القطب العارف أبوالحسن الشاذلي نفعنا الله بعلومه ومعارفه في حزبه الكبير وحزب البحر وقطعة من كلامه كما تتبع ابن عربي وابن

الفارض وابن سبعين، وتتبع أيضا الحلاج الحسين ابن منصور ولا زال يتبع الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسقوه وبدّعوه بل كفره كثير منهم، وقد كتب إليه بعض أجلاء أهل عصره علما ومعرفة سنة خمس وسبعمائة من فلان إلى الشيخ الكبير العالم إمام أهل عصره بزعمه، أما بعد فإنا أحببناك في الله زمانا وأعرضنا عما يقال فيك إعراض الفضل إحسانا إلى أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم ما يقتضيه العقل والحس وهل يشك في الليل عاقل إذا غربت الشمس، وأنك أظهرت أنك قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله أعلم بقصدك ونيتك، ولكن الإخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول، وما رأينا آل أمرك إلاّ إلى هتك الأستار والأعراض باتباع من لا يوثق بقوله من أهل الأهواء والأغراض، فهو سائر زمانه يسبّ الأوصاف والذوات ولم يقنع بسب الأحياء حتى حكم بتكفير الأموات ولم يكفه التعرض على من تأخر من صالحي السلف حتى تعدى إلى الصدر الأول ومن له أعلى المراتب في الفضل فيا ويح من هؤلاء خصماؤه يوم القيامة وهيهات أن لا يناله غضب، وأنى له بالسلام وكنت ممن سمعه وهو على منبر جامع الجبل بالصالحية وقد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن عمر له غلطات وبليات وأي بليات: وأخبر عنه بعض السلف أنه ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مجلس آخر فقال: إنّ عليا أخطأ في أكثر من ثلاثمائة مكان، فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ عليٌّ بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب، والآن قد بلغ هذا الحال إلى منتهاه والأمر إلى مقتضاه، ولا ينفعني إلاّ القيام في أمرك ودفع شرك لأنك قد أفرطت في الغيّ ووصل أذاك إلى كل ميت وحي، وتلزمني الغيرة شرعا لله ولرسوله ويلزم ذلك جميع المؤمنين وسائر عباد الله المسلمين بحكم ما يقوله العلماء، وهم أهل الشرع وأرباب السيف الذين بهم الوصل والقطع إلى أن يحصل منك الكف عن إعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين اهـ.

واعلم أنه خالف الناس في مسائل نبه عليها التاج السبكي وغيره، فمما خرق

فيه الإجماع قوله في عليّ الطلاق أنه لا يقع عليه بل عليه كفارة يمين، ولم يقل بالكفارة أحد من المسلمين قبله، وأن طلاق الحائض لا يقع وكذا الطلاق في طهر جامع فيه وأن الصلاة إذا تركت عمدا لا يجب قضاؤها، وأن الحائض يباح لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها، وأن الطلاق الثلاث يردّ إلى واحدة وكان هو قبل ادّعائه ذلك نقل إجماع المسلمين على خلافه وأن المكوس حلال لمن أقطعها وأنها إذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة وإن لم تكن باسم الزكاة ولا رسمها، وأن المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها كالفأرة، وإن الجنب يصلي تطوّعه بالليل ولا يؤخره إلى أن يغتسل قبل الفجر وأن كان بالبلد، وأن شرط الواقف غير معتبر، بل لو وقف على الشافعية صرف إلى الحنفية وبالعكس وعلى القضاة صرف إلى الصوفية في أمثال ذلك من مسائل الأصول مسئلة الحسن والقبح التزم كل ما يرد عليها، وإن مخالف الإجماع لا يكفر ولا يفسق، وأن ربنا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرا محل الحوادث تعال الله عن ذلك وتقدس وأنه مركب تفتقر ذاته افتقار الكل للجزء تعالى الله عن ذلك وتقدس، وأن القرآن محدث في ذات الله تعالى الله عن ذلك وأن العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوقا دائما فجعله موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار تعالى الله عن ذلك وقوله بالجسمية والجهة والانتقال وأنه بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح والكفر البراح الصريح وخذل متبعيه وشتت شمل معتقديه، وقال: إن النار تفنى، وأن الأنبياء غير معصومين، وأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا جاه له ولا يتوسل به، وأن إنشاء السفر إليه بسبب الزيارة معصية لا تقصر الصلاة فيه وسيحرم ذلك يوم الحاجة ماسة إلى شفاعته، وأن التوراة والإنجيل لم تبدل ألفاظهما وإنما بدلت معانيهما اهـــ.

وقال بعضهم: ومن نظر إلى كتبه لم ينسب إليه أكثر هذه المسائل غير أنه قائل بالجهة وله في إثباتها جزء، ويلزم أهل هذا المذهب الجسمية والمحاذاة والاستقرار: أي فلعله في بعض الأحيان كان يصرح بتلك اللوازم فنسبت إليه سيما ومن نسب إليه

ذلك من أئمة الإسلام المتفق على جلالته وإمامته وديانته وأنه الثقة العدل المرتضى المحقق المدقق، فلا يقول شيئا إلاّ عن تثبت وتحقق ومزيد احتياط وتحرّ سيما إن نسب إلى مسلم ما يقتضي كفره وردته وضلاله وإهدار دمه، فإن صح عنه مكفر أو مبدع يعامله الله بعدله وإلاّ يغفر لنا وله.

{مطلب: هل يجوز لأحد أن يفسر شيئا من القرآن من تفسير الواحدي وغيره؟}

وسئل رضي الله عنه: عن رجل فسر آية من آيات القرآن المبين بتفسير أبي الحسن الواحدي[١] وابن عباس والزجاج[٢] وعطاء وغيرهم من العلماء المجتهدين المعتبرين كما فسر في تفسيرهم: هل يجوز له ذلك أم لا؟

فأجاب بقوله: إنه لا حرج على من ذكر تفاسير الأئمة على وجهها من غير أن يتصرّف فيها بزيادة أو نقص بل هو مأجور مثاب على ذلك، لكن ينبغي له إن كان يذكر ذلك التفسير للعامة أن يتحرى لهم الأليق بحالهم مما تحتمله عقولهم فلا يذكر لهم شيئا من غرائب التفسير ومشكلاته التي لا تحتملها عقولهم، لأن ذلك يكون فتنة لهم وضلالا بينا، ومن ثمة يجب على الحاكم أصلحه الله منع من يفعل ذلك من جهلة الوعاظ لأنهم يضلون ويضلون، وكذلك يجب عليه أيضا أن يمنع من ينقل التفاسير الباطلة كتفسير من يتكلم في التفسير برأيه مع عدم أهليته لذلك، ومن يتكلم في التفسير بما قاله الأئمة لكن لا يفهمه على وجهه لعدم الآلات عنده فإن التفسير علم نفيس خطير لا يليق بكل أحد أن يتكلم فيه ولا أن يخوض فيه إلاّ إذا أتقن آلاته التي يحتاج إليها كعلم السنة والفقه واللغة والنحو والمعاني والبيان وغيرها من العلوم المتعلقة بلسان العرب، فمن أتقن ذلك يساغ له الكلام فيه ومن لم يتقن ذلك اقتصر على مجرد نقل ما قاله أئمة التفسير بما ذكره الأئمة المتأخرون عنهم كالواحدي

---

(١) علي الواحدي توفي سنة ٤٦٨ هـ. [١٠٧٥ م.] في نيشابور

(٢) إبراهيم الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في بغداد

والبغوي والقرطبي والإمام الفخر الرازي والبيضاوي وغيرهم، ولا يذكر من كلام هؤلاء الأئمة إلاّ ما يليق بمن يذكره لهم من غير أن يتصرف فيه بشئ.

والحاصل أن هذا مسلك خطر وطريق وعر فينبغي التحري في سلوكه حذرا من الضلال والإضلال، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الإستفتاء من عامة المسلمين

لحضرة حكيم الملة ابي مسعود سيد خواجه محمود الحنفي الكاظمي المحبوب آبادي قد اعتزلت الوهابية عنا اعتقادا وعملا فكيف صلواتنا خلف احدهم وحصول تعليم الدين وتعيين فرد من افرادهم على منصب الملي هل يجوز ام لا؟

الجواب بعون الله الملهم للصدق والصواب

فتنة الوهابية حقيقة فتنة اليهودية قد بدت البغضاء من افواههم وما صدورهم اكبر فكل فرد على عقيدة الوهابية أو اليهودية خبيث ومن يؤمن بالله ورسوله طيّب ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيّب فقد تحقق اعتزالهم عن المسلمين ظاهرا وباطنا حتى في التوحيد والرسالة اصولا وفروعا فلا يجوز الصلاة خلفهم ولا يجوز تعيين احد منهم على منصب الملي نحو الامامة والقضاء وتدريس الكتب والسنة والفقه لا ورب الكعبة الحرم والحذر لابن الماء المدر وفي الخبر عن المخبر الصادق المصدوق وباخبار الغيوب والشهادة (**اجعلوا أئمتكم خياركم**) فان الوهابية في غاية اساءة العقيدة والعمل حتى صاروا اضرّ الناس لنا فانهم قد كفروا بالله ورسوله باظهار الاسلام ولا شبهة انهم من المنافقين والخطاب لاحدهم بلفظ التعظيم والاكرام موجب سخط الاله ورسوله فلا يجوز لنا موالاتهم بقوله تعالى (**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** * المائدة: ٥١) وفي السنة (**اياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم**) فهم الذين كفروا وارتدوا من الله ورسوله ودين الاسلام قديما وحديثا فانهم اشد كفرا ونفاقا ولا شك انهم عبد الطاغوت من أتباع ابن تيمية وابن عبد الوهاب وغيرهما في العرب والعجم قد قالوا في الله ورسوله ما قالوا وقد

افتى العلماء عليهم بكمال التحقيق فقد ارتدوا عن الله والاسلام وعلى كل مروّجهم نصوا «من شك في الكفر وعذابه فقد كفر» كما في حسام الحرمين وصوارم الهندي وغيرهما من الفتوى وانحاله الامامة او القضاء وتولية تدريس الدين ومنصب العزة والتعظيم وفي المراقي الفلاح الفاسق العالم تجب اهانته شرعا فلا يعظم فاين الفاسق المطلق والكفار المرتد بينهما بون بيّن وفي التبيين والفتح المبين وغيرهما «قد وجب عليهم اهانته شرعا» وفي المقاصد شرح العقائد لسعد الملة التفتازاني «حكم مبتدع البغض والعداوة والاعراض عنه والاهانة والطعن» فاين المبتدع والكافر المرتد فان اقتداءهم وحصول علم الدين منهم حرام ومقابلة الشرع وفي المشكوة «ان هذا العلم فانظروا عمّن تأخذون دينكم» فالاقتداء بهم وتسليم منصب ديني نحو القضاء وتدريس العلم الديني بهم حرام حرام وكفر ان الدين والايمان لا يجوز معيتهم واعانتهم بحيث يجب علينا تركهم أمرنا بقوله تعالى (**كونوا مع الصادقين**) فهؤلاء الكفرة ليسوا من الصادقين بل هم اكذب الناس لله ورسوله ومن اهل الكفر والارتداد امر الشارع لمعية الصادقين ونهي عن معية الكاذبين الكافرين لان أمر الشئ نهي عن ضدّه والله تعالى ورسوله اعلم وصلى الله على حبيبه محمد وآله وصحبه وسلم فعليكم بمطالعة كتابي تحريم الشرعية عن امامة الوهابية.

حرّره الفقير الى مولاه الغني الودود السيد محمود

الحنفي الكاظمي الباكستاني

{اَلْمَكْتُوبُ السابع والخمسون والمائة إِلَىَ الحكيم عبدالوهاب فِي بَيَانِ لزوم اظهار التواضع والاحتياج عِنْدَ حضور الاكابر وبيان لزوم تصحيح العقائد}

إعلم انك قَدْ جئت هنا وآلمت قدمك وانصرفت مسرعا حَتَّى لَمْ تجد فرصة لاداء بعض حقوق الصحبة والمقصود من الملاقاة والاجتماع اما الافادة واما الاستفادة فاذا خلا المجلس من كلا هَذَيْنِ الخصالين فَهُوَ خارج عن الاعتداد بِهِ ويَنْبَغِي لمن يحضر عِنْدَ واحد من هَذِهِ الطائفة ان يحضر خالياً ليرجع ملآن وأن يظهر عِنْدَهم العجز والافلاس ليكون محلاً لشفقتهم ومستحقاً لافاضتهم وَلاَ مَعْنَ فِي المجئ والانصراف ريانا وَلاَ شيئ فِي الامتلاء غير العلة وَلاَ فِي الاستغناء دون الطغيان قَالَ الْخَوَاجَه بهاء الدين النَّقْشِبَنْد قُدِّسَ سِرُّهُ[١] لاَبُدَّ اولاً من تضرع المريض وانكساره ثُمَّ بعده يتوجه الخاطر المنكسر فكان التضرع والانكسار شرطي التوجه وَمَعَ ذَلِكَ كله جَاءَ فِي هَذِهِ الاوان طالب علم والتمس مني التفويض والتوصية إِلَىَ ذَلِكَ الجانب فَوَقَعَ فِي الخاطر ان مجرد مجيئه أَيْضًا حق من الحقوق فيَنْبَغِي اداء الحق من قبلي مهما أمكن فلا جرم امليت بلسان القلم كلمات عَلَى مُقْتَضَى الوقت والحال تداركا لما مضى وتلافيا لما سبق وارسلت إِلَىَ ذَلِكَ الجانب والله سُبْحَانَهُ الملهم للصواب والموفق للسداد (أيها) الموفق للسعادة ان مَا هُوَ اللازم لَنَا ولكم تصحيح العقائد عَلَى مُقْتَضَى الكتاب والسنة عَلَى نهج اخذها علماء أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة بعدما فهموها كَمَا يَنْبَغِي فان فهمنا وفهمكم ساقط عن حيز الاعتبار اذا لَمْ يوافق فهم هَؤُلاَءِ الكبار اَلاَ تَرَى أن كل مبتدع وضال يدعي اخذ احكامه الباطلة من الكتاب والسنة وفهمها مِنْهُمَا والحال أنه لاَ يغني من الحق شَيْئًا (ثم) علم الاحكام الشرعية ثانياً من الحلال والحرام والفرض والواجب (ثم) العمل ثالثاً بِمُقْتَضَى هَذَا العلم (ثم)

---

(١) محمد بهاء الدين النقشبند البخاري توفي سنة ٧٩١ هــ. [١٣٨٩ م.] في بخارى

السلوك رابعاً طريق التصفية والتزكية الَّذِي خص بالصوفية الكرام قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَمَا لَمْ تصحح العقائد لاَ ينفع العلم بالاحكام الشرعية وَمَا لَمْ يتحقق كلا هَذَيْنِ لاَ يجدي العمل شَيْئًا وَمَا لَمْ تحصل الثلاثة كلها فحصول التصفية والتزكية محال وَمَا سِوَى هَذِهِ الاركان الاربعة ومتماهًا ومكملاهًا كالسنة المكملة للفرض كله من الفضول داخل فِي دائرة مَا لاَ يَعْنِي ومن حسن اسلام المرء تركه مَا لاَ يعنيه واشتغاله بِمَا يعنيه والسلام عَلَى من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

فضل الذّاكرين
والرّدّ على المنكرين

تأليف

الاستاذ عبد الغني حماده

سوريا – ادلب

١٣٩١ هـ. ١٩٧١ م.

فضل الذاكرين والرد على المنكرين

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الانبياء والمرسلين صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

وبعد فقد اتاني تحرير من الاستاذ أحمد وصفي الجندي من معرة النعمان الذي خلف اباه في اقامة الاذكار في زاويتهم يتضمن هذا التحرير اعتراض المبتدعين على الاذكار وما يجري فيها، من الضرب بالدف، ومن التواجد والتمايل، ومن المدائح للصحابة الكرام وللاولياء رضي الله عنهم اجمعين ومن التوسل والاستغاثة برسول او ولي، ومن التبرك بنبي او ولي او بآثارهما. ومن التبرك بقبر نبي او ولي. ومن التمسح بقبر نبي او ولي. وقالوا له لا يجوز السؤال من غير الله تعالى لقوله صلّى الله عليه وسلّم من حديث (**واذا سألت فاسأل الله**).

وطلب مني الجواب على هذه المسائل التسعة، وقبل ان نتكلم بالجواب عليها نقول للمبتدعين المنكرين انكم تعترضون على الذين يصلون وتريدون منهم ان يتركوا عباداهم التي يتعبدونها على مذاهب الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ويتبعوا على مذهبكم الباطل ولا تعترضون على الذين لا يصلون ولا على الذين ينادون علنا باليانصيب الذي هو قمار كما لا تعترضون على هتك النساء ولا على ارباب المعاصي المتجاهرين بها ولا على منكر من المنكرات المنتشرة بكثرة بين المسلمن كالزنا والربا واللواط والفجور وشهادة الزور والسرقة وشرب الخمور وغيرها فانها لا همكم انتشار هذه المنكرات بل يهمكم ان يحرك المصلي اصبعه في الصلاة، وان يمس الشخص المصحف الشريف بيده وهو جنب او حائض ويقرأ فيه بدون حائل،

وان يمسح المتوضئ على الجورب الرقيق الشفاف النايلون بدل غسل الرجلين في الوضوء. ويهمكم ايضا عدم قضاء الصلوات الفائتات وتحرمون قضاءها كما تحرمون قراءة قصة المولد النبوي وعمله والقيام عند ذكر ولادته صلّى الله عليه وسلّم وتحرمون الصلاة والسلام عليه بعد الأذان كما اذا ذكر اسمه الشريف صلّى الله عليه وسلّم فلا تصلون عليه الى آخر بدعكم وهي كثيرة ويهمكم ايضا خروجكم من بلدكم وترك اعمالكم وتجاراتكم وسفركم الى المدن والقرى وتحولكم فيها لنشر بدعكم وتضليل المسلمين.

وقد دلنا اعتراضكم على المصلين وعدم تعرضكم للمنكرات والى الذين لا يصلون وتجولكم في المدن والقرى ونشر بدعكم فيها على انكم مأجورون كان السلف الصالح اذا رأوا من رجل او جماعة شيئا مخالف للدين ارشدوه بلطف الى الصواب ولا يوبخونه ولا يكفرونه، اما انتم فتكفرون المسلمين اذا قالوا يا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتستحلون دماءهم واموالهم. الجواب على الاسئلة وسيكون مختصرا ومن اراد التطويل فليراجعني.

{عمل الاذكار}

إنّ عمل الاذكار ثابت في القرآن الكريم وفي الاحاديث النبوية الصحيحة قال تعالى (**اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** * آل عمران: ١٩٢) قال اكثر المفسرين المراد بالآية المداومة على الذكر بدليل ما رواه مسلم عن ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر الله عزّ وجلّ في كل احيانه، أي قائما وقاعدا ومضجعا.

وقال صلّى الله عليه وسلّم (**من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كان عليه من الله تِرَةً، ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترةً وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الاّ كانت عليه من الله تِرةً**) رواه ابوداود،[١] من تفسير الخازن

(١) ابوداود سليمان السجستاني توفي سنة ٢٧٥ هـ. [٨٨٨ م.] في البصرة

(الترة النقص) وقال تعالى (**اذكروني اذكركم**) وقال تعالى (**ولذكر الله اكبر**) اي من العبادات الى آخر الآيات القرآنية الكثيرة.

وقال صلّى الله عليه وسلّم (**ما اجتمع قوم على ذكر الله تعالى فتفرقوا عنه الاّ قيل لهم قوموا مغفورا لكم من اجل الذكر**) حديث حسن. وقال صلّى الله عليه وسلّم (**قال الله تعالى يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي**) اي اسررت بثوابك (**وان ذكرتني في ملإ ذكرتك في ملإ خير منهم**) اي الملائكة مباهاة بك واعظاما لقدرك حديث صحيح. وقال صلّى الله عليه وسلّم (**اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر**). وقال صلّى الله عليه وسلّم (**ما من قوم يذكرون الله تعالى الاّ حفت به الملائكة**). قال عبد الله بن رواحة الصحابي الجليل لرجل من الصحابة الكرام رضي الله عنهم تعال نؤمن بالله ساعة فقال له اولسنا بمؤمنين قال بلى ولكننا نذكر الله تعالى فتزداد ايمانا فغضب الرجل وشكاه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة**) ففي هذه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية اكبر دليل على الاجتماع للذكر والجهر به.

وقد امرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعمل الاذكار وبالاجتماع لها وبتكرارها وبالمداومة عليها وبالجهر بها بقوله صلّى الله عليه وسلّم (**ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله تعالى فيها الاّ حسر عليها يوم القيامة**) وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان الناس على عهد عمر رضي الله عنه يرفعون اصواتهم بالذكر عند غروب الشمس فربما اسروا فيرسل اليهم عمر رضي الله عنه ارفعوا اصواتكم بالذكر فان الشمس قد دنت للغروب.

إنّ فراغ القلب للذكر اسلم للدين وايسر للحساب وآمن من روعات يوم القيامة واكثر للثواب واعلى لقدر الذاكر عند الله تعالى قال صلّى الله عليه وسلّم (**لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله تعالى لكان ذكر الله افضل**) حديث

حسن وقال صلّى الله عليه وسلّم (**من ذكر الله احبه الله تعالى**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**) رواه البخاري ومسلم.

{الضرب بالدف}

إنّ الضرب بالدف ذي الجلاجل جائز في مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه لان النبي صلّى الله عليه وسلّم حين دخل المدينة المنورة استقبلته النساء وضربن بالدف وانشدن (طلع البدر علينا الى آخر الابيات. وان سيدنا ابابكر الصديق رضي الله عنه دخل على ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فوجد عندها جاريتان تغنيان وتضربان بالدف والنبي صلّى الله عليه وسلّم منغش بثوبه فانتهرهما ابوبكر الصديق رضي الله عنه فكشف رسول الله عن وجهه الشريف وقال (**دعهما يا ابابكر فانها ايام عيد**) ان حديث الضرب بالدف مطلق غير مقيد بجلاجل او غير جلاجل، فالحديث المطلق يبقى على اطلاقه ويشمل الدف الذي فيه جلاجل وغير جلاجل حتى يأتي حديث آخر بعده يخصصه. واما الضرب بالدف الذي له جلاجل حرام في مذهب الحنفي فلم اره حراما فيه بل رأيت في الجزء الثاني من حاشية ابن عابدين[١] في باب النكاح عبارة الحاشية هذا نصها قال صلّى الله عليه وسلّم (**بين الحلال والحرام الدف والصوت**) اي بالغناء الجائز قال الفقهاء المراد بالدف ما لا جلاجل له.

فعبارة فقهاء الحنفية لا تدل على التحريم لان التحريم لا يكون الاّ بنص آية او حديث ينصان على التحريم كما ان الحديث الشريف مطلق غير مقيد بجلاجل او بغيرها وليس فيه ما يشعر بان الذي فيه جلاجل حرام. ان ضرب الدف يسن لكل حادث سرور فالاذكار حادث سرور بربهم وباجتماع اخوانهم بهم على طاعة الله تعالى.

---

(١) محمد أمين ابن عابدين توفي سنة ١٥٥٢ هـ. [١٨٣٦ م.] في الشام

{التمايل والتواجد}

إنّ التمايل والتواجد في الاذكار جائز ويعبر عنه عندهم بالرقص فانه نشأ من الذاكرين عن صدق قلب بذكر الله تعالى وصحة ارتباط برجال الله واعتصام بحبل الله وحب لله ولرسول الله فلا انكار على فاعله اذا خلا عن التثني والتكسر ويجب تحسين الظن بفاعله.

قيل للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ان قوما اذا سمعوا الذكر يقومون فيرقصون اي يتواجدون فقال دعهم يفرحوا بربهم فان من تجلت عليه المواهب الربانية فرح بها فتمايل وتواجد (**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ الله أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** * الزمر: ٢٢) فلا ينكر التمايل والتواجد الاّ من سلب حلاوة الايمان. قال العلماء العظام والاولياء الكرام رضي الله عنهم انه لابد لكل مسلم من ذكر وورد يواظب عليه. قال تعالى (**وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ** * الاحزاب: ٣٤) لان الذكر كالمصباح في يده يستضئ به في دنياه وآخرته وبسببه تحصل له التجليات الالهية بقلبه بقدر ذكره ووِرده.

استدل العلماء الاعلام رضي الله عنهم على جواز التمايل والتواجد بما وقع لجعفر رضي الله عنه لما قال له صلّى الله عليه وسلّم (**اشبهت خلْقي وخُلُقي**) فرقص من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلّى الله عليه وسلّم وجعلوا ذلك اصلا لجواز رقص الصوفية عندما يجدون لذة التواجد، واستدلوا ايضا بفعل سيدنا علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم لما تنازعوا في تربية بنت سيدنا حمزة رضي الله عنه فقال صلّى الله عليه وسلّم لسيدنا علي كرم الله وجهه (**انت مني وانا منك**) فحجل وتواجد وقال لجعفر رضي الله عنه (**اشبهت خَلْقي وخُلُقي**) فحجل وتواجد وراء علي كرم الله وجهه وقال لزيد بن حارثة (**انت اخونا ومولانا**) فحجل وتواجد وراء جعفر رضي الله عنه واستدلوا ايضا برقص الحبشة في مسجده صلّى الله عليه وسلّم وبين يديه ولم ينكر عليهم وكان رقصهم بالوثبات والتواجد.

واستدلوا ايضا بما رواه الحافظ ابونعيم عن علي كرم الله وجهه فانه وصف اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورضي الله عنهم فقال كانوا اذا ذكروا الله تعالى مادوا كما تميد الاشجار في اليوم الشديد الريح اي يتمايلون ويتواجدون وجرت دموعهم على ثيابهم فقالوا ان هذا دليل على ان الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يتحركون في الذكر حركة شديدة يمينا وشمالا فثبت بهذا الحديث الشريف اباحة التمايل والتواجد.

{مدائح الصحابة والأولياء}

إنّ القرآن الكريم مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومدح الاولياء رضي الله عنهم قال تعالى في مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**وَاِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** * القلم: ٤) وقال تعالى (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** * الضحى: ٥) وقال تعالى (**اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * اَلَّذِي اَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** * الانشراح: ١-٤) وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اي ان صدر من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذنب فهو مغفور لكن لم يصدر منه صلّى الله عليه وسلّم ذنب لا قبل النبوة ولا بعدها وانما ذكر الله تعالى ذلك ليعلم الله البشر بتعظيم الله لنبيه المعظم صلّى الله عليه وسلّم وبعلوّ رتبته عند ربه وان الله تعالى ارسل نبيه محمدا صلّى الله عليه وسلّم رحمة للعالمين وكافة للناس اجمعين.

وقال تعالى في مدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم (**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** * المجادلة: ٢٢) وقال تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) وقال تعالى (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ** * البقرة: ٤٣) أي عدولا وقال تعالى (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ اَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ** * الفتح: ٢٩) وقال تعالى في مدح الاولياء رضي الله عنهم (**اَلآ اِنَّ اَوْلِيَآءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** * يونس: ٦٢) وقال صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي

قال الله تعالى (**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**) اي اعلنت عليه الحرب واهلكته.

وقال صلّى الله عليه وسلّم في مدح نفسه وانه مأمور به شرعا (**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**) واعطاه الشفاعة العظمى يوم القيامة واعطاه المقام المحمود آدم عليه السلام فمن دونه تحت لوائه قال صلّى الله عليه وسلّم (**انا اول من تنشق عنه الارض فاكسي حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري**) وهو المقام المحمود حديث صحيح قال تعالى (**عَسَى اَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** * الاسراء: ٧٩) واعطاه ربه لواء الحمد قال صلّى الله عليه وسلّم (**انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الاّ تحت لوائي.**،) حديث صحيح وان الله قرن اسم نبيه سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم مع اسمه تعالى في الصلاة وفي الشهادتين وفي الاذان وفي الدخول في الاسلام فلا يقبل اسلام كافر الاّ بالتلفظ باسمه صلّى الله عليه وسلّم مع اسم ربّه.

وقال صلّى الله عليه وسلّم في مدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم (**لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم لرجح**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**لو كان بعدي نبي لكان عمر**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**ان الله اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**ما من احد من اصحابي يموت بارض الاّ بعث قائدا ونورا يوم القيامة**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم**) وان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بشرهم بالجنة لعلوّ مقامهم الكريم عند الله وعند رسول الله واكرامهم على الله وعلى رسول الله.

وقال صلّى الله عليه وسلّم في مدح الاولياء رضي الله عنهم (**من اثنيتم عليه خيرا فقد وجبت لهم الجنة**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**اذكروا محاسن موتاكم**). ان عداوة الاولياء رضي الله عنهم توجب غضب الجبار ودخول النار لذلك مدح المسلمون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومدحوا الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومدحوا الاولياء رضوان الله عليهم نثرا ونظما وان ذلك مما شاع وذاع وملأ

الاسماع وتناقله الخلف عن السلف والفوا وجمعوا في مدحهم المؤلفات الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ولا تستقصى اقتداء بالقرآن وبسيد الاكوان سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم. وان ممن مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم كعب بن زهير رضي الله عنه فانه مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقصيدة انشدها بين يديه ومطلع القصيدة (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول الى آخرها. ولما وصل الى قوله فيها:

انّ الرسول لسيف يسضاء به * مهنّد من سيوف الهند مسلول)

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قل من سيوف الله مسلول وامره ان يمدح الانصار فانهم اهل لذلك واعطاه بردته الشريفة التي كانت عليه فاشتراها معاوية رضي الله عنه من ورثته بعشرين الف درهم للتبرك بها وصار يتداولها الخلفاء ويتبركون بها، وان الشاعر النابغة الذبياني مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقصيدة فقال رسول الله له (**احسنت يا ابا ليلى لا يفضض الله فاك**) فما قلع سنا ولا ضرسا حتى مات.

{التوسل والإستغاثة بنبي أو ولي}

إنّ التوسل والإستغاثة بنبي او ولي جائز فقد اجمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم والتابعين وائمة مذاهب المسلمين وجميع علماء المسلمين قديما وحديثا على جواز نداء بنبي أو ولي حيا كان او ميتا والتوسل والإستغاثة به الى الله تعالى لانها من اقوى الاسباب لاجتلاب البركات ونزول الرحمات واستجابة الدعوات وقضاء الحاجات لقوله تعالى (**وابتغوا اليه الوسيلة**) فالوسيلة هي التوسل والإستغاثة بانسان تقي او بعمل صالح.

جاء اعمى الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وطلب منه ان يرد له بصره فامره بالوضوء وبصلاة ركعتين وان يدعو بهذا الدعاء (**اللّهمّ انّي أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرّحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي**

اللّهمّ فشفعه فيَّ) فرد الله عليه بصره واذهب عماه. فهذا الرجل الاعمى استغاث برسول الله بقوله (**يا محمد**).

وكذلك استغاث برسول الله سواد بن قارب رضي الله عنه حين انشده ابياتا مدحه فيها وقال في آخرها:

(فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب)

فلم ينكر عليه رسول الله الإستغاثة به صلّى الله عليه وسلّم وطلب الشفاعة منه رواها البيهقي في دلائل النبوة وغيره فان الإستغاثة برسول الله او باحد اتباعه من اولياء الله من كمال الايمان لمكانة رسول الله واولياء الله عند الله لان مترلتهم عالية عند الله لانهم اكرم الناس عند الله لتقواهم قال تعالى (**اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله اَتْقَيكُمْ** * الحجرات: ١٣) فكل من كان تقواه عند الله اكثر كان عند الله اقرب وعناية الله تعالى به اتم واعلى فالنبي صلّى الله عليه وسلّم وكذا الاولياء اتقى المسلمين فالإستغاثة بهم من اقوى اسباب القبول عند الله تعالى.

إنّ الصحابي الجليل بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه لما اصاب الناس قحط وجدب في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء بلال ووقف امام قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وناداه واستغاث به وقال يا رسول الله استسق الله لامتك فانهم قد هلكوا فاتاه رسول الله في النوم وقال له ائت عمر فأقرئه السلام واخبره انهم يسقون.

ومدح اعرابي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بابيات يستغيث به لقومه من القحط والجدب وقال في آخر الابيات:

وليس لنا الاّ اليك فرارنا * وانّى فرار الناس الاّ الى الرسل

فالمسلمون قديما وحديث استغاثوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم او باحد الاولياء رضي الله عنهم فاستجاب الله منهم واعطاهم طلبهم اكراما لهذا النبي او الولي وقد وقع من ذلك شئ كثير لا يحصر ونالوا ما طلبوا لا ينكره الاّ كلّ مبتدع معاند.

{التبرك بنبي أو ولي أو بآثارهما}

روى البخاري عن ابي جحيفة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالهاجرة الى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين الى ان قال وقام النبي صلّى الله عليه وسلّم وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم فاخذت بيده فوضعتها على وجهي فاذا هي ابرد من الثلج واطيب رائحة من المسك وروى بسنده في آخر باب صفته صلّى الله عليه وسلّم الى ان قال فاخرج بلال فضل وضوء رسول الله فوقع عليه الناس يأخذون.

وروى البخاري عن ابي جحيفة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالهاجرة فأتى بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون بوضوئه وفي رواية لمسم (فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه) وورد في الاحاديث الصحيحة كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن بعدهم يتبركون بريقه الشريف وبشعره الشريف.

كان عند خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعره صلّى الله عليه وسلّم وضعها في قلنسوته فاذا تعسر عليه النصر لبسها فيسرع اليه النصر وفتح البلاد وكان صلّى الله عليه وسلّم اذا توضأ اقتتلوا على وضوئه يتبركون به. وفي البخاري ازدحموا على الحلاق عند حلق شعره الشريف واقتسموه.

وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يستشفون بغسالة ما ادخروه من ملابسه صلّى الله عليه وسلّم وان كلّ ذلك توجه الى الله تعالى بآثاره الشريفة. وعن اسماء بنت سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه انها اخرجت لهم جبة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقالت هذه كانت عند ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها رواه البخاري ومسلم وروى البخاري عن عروة الثقفي انه قال في نصيحته لقريش حين كان سفيرا بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في صلح الحديبية يا قومي والله لقد وفدت على كسرى وقيصر

والنجاشي فما رأيت احدا يعظم احدا مثل ما يعظم اصحاب محمد محمدا انه لا يتنخم نخامة الاّ تلقوها باكفهم ودلكوا بها وجوههم ولا توضأ وضوء الاّ اقتتلوا على وضوئه يتبركون به. وفي صحيح مسلم وشمائل الترمذي انه صلّى الله عليه وسلّم كان اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه بآناء الاّ غمس يده الشريفة فيه وربما كان في غداة باردة فيغمس يده الشريفة في الماء ولا يردهم خائبين وهذا باب واسع جدا ومرجعه طلب البركة برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبآثار رسول الله ولم ينكره عليهم رسول الله ولا انكره عليهم اصحاب رسول الله ولا احد من ائمة المذاهب الاربعة ولا احد من عموم علماء المسلمين الاّ المبتدعين.

عن جابر رضي الله عنه قال جاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعودني وانا مريض فتوضأ وصب ماء وضوئه عليّ رواه البخاري ومسلم. وكان صلّى الله عليه وسلّم اذا حلق شعره الشريف اعطاه الى ابي طلحة رضي الله عنه وقال له (**قسمه بين الناس للتبرك به**)، رواه البخاري ومسلم والامام احمد.

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يضع يده على مقعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المنبر ثم يضعها على وجهه وهذا تبرك بما مس ثيابه الشريفة رواه ابن سعد والقاضي عياض في كتاب الشفاء، قال شارح هذا الحديث وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء عليهم السلام وبالاولياء رضي الله عنهم وبآثارهم وهذا جائز شرعا لقوله تعالى (**اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ اَبِي يَأْتِ بَصِيرًا** * يوسف: ٩٣) فانه تبرك ابوه بالقميص وكان سبب رد بصره اليه.

فنقول اذا جاز التبرك والتمسح بيدي النبي صلّى الله عليه وسلّم وببصاقه وبشعره وبالماء الذي وضع يده الشريفة فيه ولم يكن ذلك شركا ولا عبادة له صلّى الله عليه وسلّم جاز التبرك بقبره الشريف الذي حوى جسده الشريف لانه تبرك بآثاره. أيها المبتدعون هل تقولون ان الصحابة الكرام رضي الله عنهم اشركوا بفعلهم هذا واقرهم رسول الله على شركهم ام انتم مخطئون.

ومما يدل على جواز التبرك بقبره صلّى الله عليه وسلّم والتمسح به اضطجاعه في قبر فاطمة بنت اسد ورفع الله عنها عذاب القبر ببركة تمسكه في القبر فقبرها صار روضة وبركة ورحمة بسبب نزوله فيه فكيف لا يكون قبره الشريف الذي حوى جسده الشريف الى يوم القيامة روضة وبركة ورحمة ويتبرك المسلمون به ويتمسحون به لينالوا من بركته ورحمته.

{التبرك بقبر نبي أول ولي}

يجوز التبرك بقبر نبي أو ولي والتمسح به قال في كتاب وفاء الوفاء في الجزء الثاني منه نقلا عن ابن شيبة عن عبد العزيز بن عمر ان في حديث لما توفيت فاطمة بنت اسد رضي الله عنها ام سيدنا علي كرم الله وجهه نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاضطجع في لحدها وقال (**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت اسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين قبلي فانك ارحم الراحمين**) رواه الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح وابن حبان والحاكم وابونعيم والديلمي بسند حسن ثم نزع قميصه عن جسده وامرهم ان نكفن فيه وقال (**ما اعفي احد من ضغطة القبر الاّ فاطمة بنت اسد**) قيل يا رسول الله ولا القاسم اي ولده قال (**ولا ابراهيم**) اي ولده الرضيع وكان اصغر من القاسم فقيل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئين نزعك قميصك وتمعكك في لحدها.

فقال صلّى الله عليه وسلّم اما القميص فاريد ان لا تمسها النار ابدا ان شاء الله تعالى واما تمعكي في لحدها فاردت ان يوسع الله عليها قبرها. فهذا صريح في حصول البركة لقبرها باضطجاعه فيه وتمعكه فيه بحيث صار موجبا لرفع ضغطة القبر عنها التي لم يسلم منها ولده الرضيع ولحصول البركة لها بمماسة قميصه صلّى الله عليه وسلّم لجسدها بنجاتها من النار واللبس من حلل الجنة.

وقد ثبت شرعا حرمة الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم وتعظيمهم عند الله تعالى وعند المسلمين احياءً وامواتاً قال تعالى (**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ**

الله **فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** * الحج: ٣٢) هذا التعظيم لاماكن ترابية وجبلية في مكة فكيف للانبياء عليهم السلام وللاولياء رضي الله عنهم فيكون تعظيمهم اكثر بكثير من تعظيم الكعبة المشرفة فكيف بالاماكن الترابية والجبلية وهي عرفات ومزدلفة، ومنى التي هي في احترامنا وتعظيمنا لها دون احترامنا وتعظيمنا للكعبة المشرفة بكثير.

فالكعبة المشرفة افضل واعظم عند الله من عرفات ومزدلفة ومنى وان المسلم افضل من الكعبة بكثير فكيف بالانبياء والاولياء وكيف نعظم عرفات ومزدلفة ومنى ولا نعظم قبور الانبياء والاولياء عليهم السلام، فالانبياء عليهم السلام والاولياء اذا دفنوا بمكان فان هذا المكان اكتسب شرفا وبركة ورحمة وفضلا ويستحق التعظيم كما استحق جلد الشاة التعظيم حين صار جلدا للمصحف فلا يجوز وطء القبر ولا الجلوس عليه ولا اهانته كما ان جلد المصحف نال البركة والتقبيل بمجاورة المصحف ووجب تعظيمه وتحرم اهانته وتنجيسه، فمن احترام المصحف احترام جلده.

فكذلك من احترام الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم احترام قبورهم المتشرفة باجسادهم الشريفة فان تعظيم قبور الانبياء والاولياء وفضلها على غيرها وبركتها ثابت شرعا وانها مهبط الرحمات الالهية كتعظيم المقام الذي هو صخرة تشرفت بقدم ابراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة المشرفة وبأثر قدمه الشريف، ويكفي في بركة القبور ونزول الرحمة عليها انكباب الصحابي الجليل ابي ايوب الانصاري[١] رضي الله عنه على قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين زاره ووضع وجهه على قبره صلّى الله عليه وسلّم فرآه مروان بن الحكم وكان واليا على المدينة فقال له ما تصنع قال جئت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زائرا ولم ازر الحجر رواه الامام احمد.

وان بلال الحبشي رضي الله عنه مؤذن رسول الله توطن دمشق فرأى في المنام

---

(١) خالد بن زيد ابوايوب الانصاري توفي سنة ٥٠ هـ. [٦٧٠ م.] في استنبول

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له ما هذه الجفوة يا بلال فركب ناقته وقصد المدينة فلما دخلها اتى قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصار يبكي ومرّغ وجهه على القبر الشريف الى آخر القصة التي رواها الحافظ ابن عساكر والحافظ المقدسي والحافظ ابوالحجاج وغيرهم، وانكباب السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها على قبره الشريف ووضعت وجهها الشريف على القبر الشريف ومرغته بتراب القبر وانشدت:

ما ذا على من شم تربة احمد * ان لا يشم مدى الدهور غواليا[١]

صُبّت عليَّ مصائب لو انها * صُبّت على الايام صرن لياليا

فكيف ننكر بعد هذا ان لمس قبره الشريف الذي تبرك القبر وتشرف بملامسة جسده صلّى الله عليه وسلّم ومجاورته له وهذا موجب للبركة والرحمة ولخيري الدنيا والآخرة وكيف يجعله المبتدعون شركا وكفرا لولا خذلانهم وحرمانهم من بركاته صلّى الله عليه وسلّم ان عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما اوصيا ان يدفنا عند قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه وذلك قصدا الى التبرك بجواره وان النبي صلّى الله عليه وسلّم امر بدفن ابنه ابراهيم عنده، ويكفي في احترام القبور وشرفها وفضلها على غيرها وبركتها ونزول الرحمات عليها ايصاء سيدنا الصديق ابي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بأن يدفنا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم فقياس المبتدعين تعظيم قبور الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم بتعظيم الاصنام التي ليس لها عند الله حرمة وتعظيم بل نهانا الله تعالى عن تعظيمها قياس فاسد وجهل فاضح وقالوا تعظيم القبور شرك كتعظيم الاصنام، فان تعظيم قبره صلّى الله عليه وسلّم والتبرك به اجمع المسلمون في مشارق الارض ومغاربها في جميع الاعصار والامصار من زمن الصحابة الكرام رضي الله عنهم للآن على جوازه و لم يخالفهم احد من علماء المسلمين الاّ المبتدعون.

---

(٢) غواليا: نوع من العطر ذكر ذلك الخطيب بن جملة

{التمسح بقبر نبي أو ولي}

قال علامة زمانه ابن عقيل ابوالوفاء عالم الحنابلة في زمانه في مؤلفه التذكرة الموجود بمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٨٧) في الفقه الحنبلي (.. وان احببت تتمسح بالمنبر والحنانة) وهي الجذع الذي كان يخطب عليه صلّى الله عليه وسلّم، وان ابن عقيل هذا عالم جليل له كتاب الفنون يقال انه ثمانمائة مجلد ويقول الذهبي عنه انه لم يصنف في الدنيا اكبر منه.

وفي كتاب الحكايات المنثورة للحافظ ضياء الدين المقدسي الحنبلي الموجود في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٩٨) انه سمع الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي يقول انه خرج في عضده شئ يشبه الدمل فاعيته مداواته ثم مسح به قبر الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فبرئ و لم يعد اليه وهذا الكتاب بخط الحافظ المذكور ومن خطه نقلت هذه العبارة، فأيّ حنبلي يستطيع ان يقول انهم اشركوا وانهم يعبدون القبور والضرائح.

وسئل الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه عن تقبيل منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتقبيل قبره الشريف فلم ير بأسا كما يسن تقبيل المصحف الشريف والتبرك بجلده الذي هو ليس من المصحف الشريف بل نال الاحترام والتعظيم حين جاور المصحف كما مر ولعل دليل الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه فيما رواه ابن سعد والقاضي عياض عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على مقعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المنبر ثم يضعها على وجهه وهذا تبرك بما مس ثيابه الشريفة.

وفي تاريخ مكة لقطب الدين الحنفي صحيفة (٢٤) بهامش خلاصة الكلام المسمى باعلام بيت الله الحرام. ان ابراهيم عليه السلام لما جاء الى مكة لزيارة ابنه اسماعيل عليه السلام وامه جاءته زوجة اسماعيل بحجر هو حجر المقام الذي بني عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت زوجة اسماعيل شقيه الايمن

والايسر وافاضت الماء على رأسه وبدنه وانصرف ابراهيم عليه السلام.

فلما جاء اسماعيل عليه السلام وجد رائحة ابيه فسأل زوجته فاخبرته بمجيئه وقالت هذا موضع قدميه فقبل موضع قدميه من الحجر وحفظ الحجر يتبرك به الى ان بنى عليه فيما بعد ابراهيم عليه السلام الكعبة.

{واذا سألت فاسأل الله}

قال المبتدعون لا يجوز سؤال التوسل والاستغاثة والشفاعة من غير الله تعالى لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**واذا سألت فاسأل الله**) فنقول للمبتدعين ليس معنى الحديث كما قلتم بل معناه اذا اردت سؤال شئ من اموال الناس فلا تسألهم اياه بل فاسأل الله ان يعطيك اياه ولا تسأل غيره تعالى لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**من لم يسأل الله يغضب عليه فليسأل احدكم ربه حاجته حتى شسع نعله اذا انقطع**) ولقوله صلّى الله عليه وسلّم (**ان الله يحب الملحين في الدعاء**) اي يسألونه الامور الدنيوية فقط ولقوله صلّى الله عليه وسلّم (**من سأل الناس تكثرا فانما يسأل حجر جهنم**) فاحتجاج المبتدعين على منع التوسل والاستغاثة برسول الله صلّى الله عليه وسلّم اخذوه من قوله صلّى الله عليه وسلّم (**واذا سألت فاسأل الله**) وجعلوه دليلا لهم فهذا منهم تلبيس على المسلمين ومغالطة ومخادعة لهم وخطأ كبير.

فلو صح قولهم بانه لا يسأل احد احدا غير الله تعالى لما جاز ان يسأل جاهل عالما ولا مريض طبيبا ولا غريق مغيثا ينقذه من الغرق ولا يطلب احد حاجة من انسان وهذا من المبتدعين كلام باطل لم يقله جاهل لأن سؤال غير الله ورد في كثير من آيات القرآن وفي الاحاديث الصحيحة.

قال تعالى (**فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ انْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** * النحل: ٤٣). وقال تعالى (**وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا** * يوسف: ٨٢) وقال تعالى (**فَسْئَلِ الَّذينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ** * يونس: ٩٤) وقال تعالى (**فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا** * الفرقان: ٩٥) الى آخر الآيات القرآنية الكثيرة وقال صلّى الله عليه وسلّم (**سلوا اهل الشرف** «اي اهل التقى» **عن**

العلم فان كان عندهم علم فاكتبوه فاهم لا يكذبون).

وقد سأل كثير من الصحابة الكرام رضي الله عنهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما جاء ذلك بالاحاديث الصحيحة، سأله احدهم ان يرد له عينه. وسأله احدهم ان يذهب العمي من عينيه ويبصر بهما، وسأله احدهم شفاءه، وسأل احدهم ان يشفع له، وسأله احدهم ان يكون رفيقه في الجنة، وسألوه ان يزيل عنهم القحط والجدب، وسألوه نزول المطر، وسألوه انشقاق القمر وسألوه وسألوه وهو كثير جدا في كتب الاحاديث الصحيحة.

فهذا من المبتدعين تلبيس ومخادعة ومخالطة وجهل في حمل الحديث الشريف على غير ما اراده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فان رسول الله اراد بهذا الحديث الشريف منع الناس من سؤال الناس اموالهم لا السؤال في امور الآخرة والعبادات لأن الله تعالى امرنا ان نسأل غير الله في العبادات حتى نتعلم العلم من اهل العل كما مر ذلك.

فانظروا يا مسلمون الى تحريف المبتدعين الكلم عن مواضعه والى مغالطاتهم ومخادعاتهم كيف يحتالون على المسلمين بدخول البدع عليهم وقد رأيتم بطلان اقوالهم وبدعهم بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية.

{الاصل الاباحة فيما لا نص فيه}

نقول للمبتدعين (تعلموا قبل ان تتكلموا) قال علماء الاصول المشرعون ان الاصل الاباحة فيما لا نص فيه، وايضا ان جواز الاشياء لا يتوقف على ورود الامر بها بل على عدم النهي عنها كما هو مقرر في علم الاصول فكل ما لم يرد فيه نص بالحظر فهو مباح.

وايضا علمنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سننه الصحيحة ان ما امرنا به فعلناه ولم نتركه وما نهانا عنه اجتنبناه ولم نفعله وما سكت عنه فهو عفو مباح. وايضا ان الحرام او المكروه لابد فيه من نص شرعي ينص على حرمته او كراهته من

آية او حديث فاذا لم يكن فيه نص شرعي فهو مباح كما قرره علماء الاصول وايضا اذا لم يرد في شئ نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها. وايضا ان عدم فعل النبي صلّى الله عليه وسلّم لشئ ليس بدليل على حرمته او كراهته لان القاعدة الشرعية التي ذكرها علماء الاصول وهي (عدم الفعل ليس بدليل) وقد ذكرها في الجزء الاول من كتاب براءة الاشعريين[١] صحيفة (١٨٦) فلو كنتم يا مبتدعون تعلمون ذلك لسرتم في طريق علماء اهل السنة والجماعة واتبعتم مصابيح الهدى ائمة المذاهب الاربعة وتركتم البدع والابتداع.

وايضا نقول في الرد عليكم وعلى ابطال قولكم تقولون للمسلمين ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يفعله وتجعلونه دليلا لكم، فلو كان كل شئ لم يفعله رسول الله بدعة ومنكرا وضلالة وحراما لكان جميع مآكلنا ومشروبنا وملبوساتنا وسفرنا ومنامنا وجميع حركاتنا وسكناتنا واعمالنا منكرات وبدعا وضلالات ومحرمات لانها لم يفعلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فمعناها على زعمكم الفاسد ان جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها عاصون ومذنبون ومرتكبوا المحرمات وهذا القول منكم قول باطل مخالف لقوله تعالى (**يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** * البقرة: ١٨٥) ولقوله صلّى الله عليه وسلّم (**من قال هلك الناس فهو اهلكهم**) بضم الكاف وفتحها ولقوله صلّى الله عليه وسلّم (**ان امتي لا تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم**) ولقوله صلّى الله عليه وسلّم (**ان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة ابدا وان يد الله مع الجماعة**).

فالله تعالى ورسوله المعظم صلّى الله عليه وسلّم قالا (**ان الامة الاسلامية لا تجتمع على ضلالة ابدا**) وانتم خالفتم الله ورسوله وقلتم ان المسلمين كافرون لتوسلهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) مؤلف كتاب براءة الاشعريين ابوحامد بن مرزوق الدمشقي

{زيغ المبتدعين وبدعهم}

إنّ هذا الزمان زمن سوء قد كثر فيه المبتدعون وكثرت بدعهم يدعون الناس اليها ورأوا ان بدعهم لا تروج بين المسلمين الاّ بالطعن في ائمة المذاهب الاربعة رضي الله عنهم وفي الأولياء رضي الله عنهم فانهم في سعيهم القبيح وزيغهم الصريح هدموا منار الاجماع ومالوا الى الشقاق والنزاع والابتداع وجحدوا فضائل الأئمة الاعلام وكرامات الاولياء العظام الذين طهرت سرائرهم واضاءت بنور النبوة بصائرهم واقبلوا على الله بخالص النيات وبالاعمال الصالحات فمن عاداهم فقد عادى الله ومن آذاهم فقد آذى الله وباء بسخط من الله كيف لا وهم احباء الله الناشرون لدين الله المشتغلون بجمع قلوب الناس على الله فهم اهل الله ورجال الله وصفوة خلق الله اجتمعوا على ذكر الله وعلى مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومدح اولياء الله رضي الله عنهم مع المراقبة لله والاخلاص لله والتجرد عن غير الله بصفاء نية وحسن طوية يريدون بذلك وجه الله ومدد رسول الله.

فالمعارض لهم هو من اهل الزيغ والعدوان ومن اهل الضلال والطغيان ورفيق الشيطان وعدو الرحمن وقد محا زيغه نور قلبه وهل تهجمه على ائمة المذاهب العظام وعلى الاولياء الكرام الاّ من ضلاله وزندقته وخبث طويته فنعوذ بالله من شرورهم انهم عرفوا ما عليه العلماء والاولياء رضي الله عنهم من القرب من الله ومن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعادوهم وطعنوا فيهم و لم يبالوا بمعاداتهم مع علمهم ان معاداتهم تغضب الله تعالى لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**) فعلامة السعادة محبة العلماء والاولياء رضي الله عنهم لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**كن عالما او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن الخامسة فتهلك**).

فكان المبتدعون الخامسة فلو انهم حسنوا الظن كما امرهم الشرع الشريف بالسلف والخلف من العلماء والاولياء رضي الله عنهم لكان خيرا لهم وعبادة لهم عند

ربهم لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**حسن الظن من حسن العبادة**) فان تحقير العلماء والاولياء رضي الله عنهم من المزالق التي توقع في الكفر والعياذ بالله تعالى وحمانا الله من شرور المبتدعين الذين غلبت عليهم شقوتهم وكانوا قوما ضالين.

{سرعة اغاثة المستغيث برسول الله}

من توسل او استغاث برسول الله او بولي من اولياء الله فان الله يغيثه اكراما لحبيبه سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ويستجيب دعاءه ويقضي حاجته والدليل علي ذلك شيئان:

١ - صلاح الآباء ينفع الابناء كما ورد ذلك في القرآن قال تعالى (**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** * الكهف: ٨٢) فكيف بصلاح الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم وقربهم من ربهم فانه ينفع المستغيث بهم فمن حب الله لرسول الله او لولي من اولياء الله استجابة دعاء المتوسل برسول الله او بولي من اولياء الله.

٢ - ان رسول الله واولياء الله مقربون عند الله ولهم جاه عظيم ومنزلة عالية عند الله لا يخيب من استغاث بهم الى الله لحديث الاعمى الصحيح فانه لما شكا لرسول الله ذهاب بصره وانه في حاجة اليه.

قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قل (**اللّهمّ انّي أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللّهمّ فشفّعه فيّ**) فلما يقتصر رسول الله على ان يقول له قل (**اللّهمّ انّي أسألك على ان ترد الى بصري**) تعليما منه لأمته ان دعاءهم لله من غير توسل برسول الله غير مقبول عند الله بل قال له رسول الله (**قل اللّهمّ انّي اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة**) بل لم يكتف رسول الله بهذا التوجه الى الله برسول الله حتى علم رسول الله هذا الاعمى ان يتوجه الى رسول الله وحده بالدعاء والنداء والاستغاثة به ويخاطبه ويقول (**يا محمد اتوجه بك الى ربي في قضاء حاجتي**) مبالغة في كمال الاستشفاع به صلّى الله عليه وسلّم وفي ذلك اوضح البيان للامة الاسلامية بان الاقبال على رسول الله

والاستغاثة حين التوجه لله بالدعاء وطلب الحوائج منه تعالى ليس شركا ولا حراما بل هو عبادة وضمان لقبول الاستشفاع به صلّى الله عليه وسلّم وموجب للاجابة وابعد من رد طلبه وحرمان اجابته لأن رسول الله قد نال عند الله كمال التعظيم والتفخيم والقبول فمن تعظيم الله لرسول الله امر الله عباده المسلمين بالتحيات وان يسلموا فيها على نبيهم المعظم سلام المشاهد المحاضر معهم فيقولون (**السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته**).

ثم امرهم ان يجمعوا بين ذكر الله وذكر رسول الله في الشهادتين ثم يختموا صلاقم في الصلاة الابراهيمية بالصلاة والبركات عليه وعلى آله ليكون ذلك خاتمة صلاقم وفاتحة لباب قبولها وقبول دعائهم فالصلاة لا تصح ولا تقبل الاّ بالصلاة والسلام على رسول الله.

إنّ رسول الله امر الرجل الاعمى لازالة العمي عن عيونه بأن يناديه ويقول (**يا محمد اني اتوجه بك الى ربّي**) فكذلك يكون توجه العبد الى ربه بالتوسل والاستغاثة برسول الله او بولي من اولياء الله في ازالة امراضهم وقضاء حوائجهم حيث جعلهم الله تعالى اطباء الارواح والاجسام.

وقد انقذوا الكثير من العباد من امراضهم وبلائهم وقضوا حوائجهم لان ارواحهم الكبيرة ونفوسهم الطاهرة الزكية افاضت النور الالهي لنفع العباد فمن اراد الانتفاع بهذا النور فليتوسل برسول الله او بولي من اولياء الله نفعه الله ومن امتنع واستكبر حرمه الله منه قال تعالى (**وَمَا ظَلَمَهُمُ الله وَلَكِنْ كَانُوا اَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** * النحل: ٣٣).

فسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم سماه الله سراجا منيرا قال تعالى (**وَدَاعِيًا اِلَى الله بِاِذْنِه وَسِرَاجًا مُنِيرًا** * الاحزاب: ٤٦) فكل من استغاث برسول الله شمله هذا النور المحمدي واغاثه الله تعالى. ان هذا البحث في التوسل والاستغاثة استطرادي لمناسبة هذه الرسالة المختصرة فلو اردنا ان نتكلم في التوسل واقسامه، توسل به صلّى الله

عليه وسلّم قبل ان يخلق، وتوسل به في حياته، وتوسل به بعد مماته لملأنا منها مجلدا لكن شعارنا الاختصار.

{ابن تيمية وابن القيم وابن كثير}

إنّ المبتدعين يعظمون نفوسهم فيقولون نحن انصار السنة نحن سلفيون نحن مجددون كما يقولون عن شيخهم ابن تيمية[١] انه شيخ الاسلام يخدعون بذلك الناس ليقولوا فيه مثل قولهم والحال انهم مبتدعون من الفرق الضالة لشذوذهم عن ائمة المذاهب الاربعة وعن جماهير علماء المسلمين ولطعنهم في ذات الله وفي رسول الله وفي اصحاب رسول الله وفي ائمة المذاهب الاربعة وفي عظماء العلماء والاولياء وكفروهم كما كفروا عموم المسلمين لتوسلهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

إنّ شيخهم ابن تيمية قال عنه علامة زمانه علاء الدين البخاري ان ابن تيمية كافر كما قال علامة زمانه زين الدين الحنبلي انه يعتقد كفر ابن تيمية ويقول إن الامام السبكي رضي الله عنه معذور بتكفير ابن تيمية لانه كفر الامة الاسلامية وشبهها باليهود والنصارى في تفسيره عند قوله تعالى (**اِتَّخَذُوا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله** * التوبة: ٣١).

وقال علماء المذاهب ان ابن تيمية زنديق لانه يزدري بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وبصاحبيه وان كتبه مشحونة بالتشبيه والتجسيم لله تعالى.

وقال علامة زمانه ابن حجر رضي الله عنه ان ابن تيمية عبد خذله الله واضله واعماه واصمه واذله. وقام ضده علماء اهل عصره من علماء المذاهب الاربعة ففسقوه وكفره كثير منهم فلو كان ابن تيمية عالما وللعلم وقارا لحجزه علمه عن تكفير مسلم واحد فضلا عن تكفير امة اسلامة باسرها، ولو كان في قلبه خوف من الله لما اقدم على تكفير مسلم واحد، ولو كان عنده حياء والحياء من الايمان لمنعه

---

(١) أحمد ابن تيمية الحراني توفي سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في سجن الشام

حياؤه عن تكفير المسلمين وفيهم العلماء والفضلاء والاولياء والمفسرون والمحدثون والفقهاء والمتكلمون والعباد والزهاد.

قال العلماء ان ابن تيمية تبع مذهب الخوارج في تكفير الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وقال الأئمة الحفاظ ان ابن تيمية من الخوارج كذاب اشر افاك لطعنه في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بانهم حكموا وافتوا بخلاف السنة، من كتاب براءة الاشعريين جزء الثاني صحيفة (١٨٩).

وقالوا إنّ حامد الفقي كامامه مأجور من كتاب براءة الاشعريين جزء الاول صحيفة (٢٨٠) وقدوة هذين وامامهما في التجسيم اليهود الذين اسلموا ظاهرا من كتاب براءة الاشعريين جزء الاول صحيفة (١٠) الى ان قال انه يطعن في الاسلام وفي عظماء الاسلام ومع ذلك يخدم الاستعمار تحت ستار الاصلاح من كتاب براءة الاشعريين جزء الاول صحيفة (٢٤).

ومن اراد اطلاعا اكثر واوسع فليراجع كتاب براءة الاشعريين الجزءين وكتاب التعقيب وكتاب مقالات الكوثري فانه لا يشك في كفره، فمن قال عن ابن تيمية شيخ الاسلام فهو من اتباعه واذا لم يكن من اتباعه فهو جاهل في حاله جهول لا علم عنده فليتعلم ثم يتكلم، ان ابن تيمية لكثرة ضلالاته سجن مرارا ومات في السجن وعليه ما يستحق من الله.

{ابن القيم وابن كثير}

إنّ الحكومة جرست ابن القيم وابن كثير وطافوا بهما في دمشق لانهما متعصبان لشيخهما ابن تيمية ومدافعان عن شذوذياته ومشبهان لله بخلقه وان ابن القيم مكفّر للاشاعرة وسماهم بالجهمية والعطلة وكثير الطعن في ائمة المذاهب الاربعة من كتاب التعقيب صحيفة (٣) وانه يتنصر لابن تيمية وحبس معه بعد ان اهين وطيف به على جمل وضربوه فلما مات ابن تيمية في السجن اخرجوه من السجن ثم امتحنوه فحبسوه وجرسوه هو وابن كثير مرة ثانية وطيف بهما في دمشق وعلى باب الجوزية.

ثم بعد مدة احضروا ابن القيم الى مجلس القاضي وارادوا ضرب عنقه فقال لهم إنّ القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وقبول توبتي واعيد للسجن بعد ان عزر وضرب واركبوه حمارا وطافوا به في البلد وفي الصالحية وردوه الى السجن وانه نسخة من شيخه ابن تيمية اهـــ باختصار.

وانا المؤلف انصح المسلمين بعدم قراءة تفسير ابن كثير[١] وقراءة كتب ابن تيمية وكتب ابن القيم[٢] خوفا على دينهم وعقيدتهم لان في كتبهم ضلالات كثيرة لا يعلمها الجاهلون بل يعلمها الراسخون في العلم.

{الاحتفال بالمولد النبوي والقيام عند ذكر ولادته} صلّى الله عليه وسلّم

قال المبتدعون إنّ عمل المولد النبوي والقيام عند ذكر ولادته صلّى الله عليه وسلّم بدع ومنكرات وحرام فعلها ودليلهم انه صلّى الله عليه وسلّم لم يفعله.

الجواب: نقول للمبتدعين اثنا عشر شيئا تبطل قولكم بانه بدعة منكرة وحرام فعله. (١) ان عدم الفعل ليس بدليل وقد مر هذا البحث في هذه الرسالة في بحث (الاصل الاباحة فيما لا نص فيه) (٢) ان الحرام او المكروه لابد فيه من نص شرعي ينص على حرمته او كراهته (٣) اذا كان كل شئ لم يفعله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدعة منكرة وحرام.

فالنبي صلّى الله عليه وسلّم لم يأكل مآكلنا و لم يشرب شرابنا و لم يلبس لباسنا و لم ينم منامنا و لم يعمل اعمالنا فجميع حركاتنا وسكناتنا لم يفعلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيكون كل هذا حرام علينا فعله فمعناه على قول المبتدعين جميع المسلمين اجتمعوا على ضلال وارتكبوا المحرمات وهذا قول باطل لم يقله جاهل لانه مخالف للقرآن. قال تعالى (**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ** * البقرة: ١٨٥) ومخالف لاحاديث رسول الله الصحيحة قال صلّى الله عليه وسلّم (**إنّ امتي لم تجتمع على ضلالة** الخ) حديث صحيح.

---

(١) اسماعيل ابن كثير الشافعي توفي سنة ٧٧٤ هـــ. [١٣٧٢ م.] في الشام

(٢) محمد ابن القيم الجوزي الحنبلي توفي سنة ٧٥١ هـــ. [١٣٥٠ م.]

وقال ايضا (**إنّ الله لا يجمع امتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ الى النار**) رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤) تعارف المسلمون جميعهم في مشارق الارض ومغاربهم في جميع الاعصار والامصار واستمر تعارفهم للآن تعارفا عاما على الاحتفال بالمولد النبوي وبالقيام عند ذكر ولادته صلّى الله عليه وسلّم وهذا امر شرعي يستحب العمل به لقوله تعالى (**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ** * لقمان: ١٧) فاصبح هذا العرف العام من مصادر التشريع كتعارفهم على اسم (الولد) يشمل الانثى والذكر (٥) اذا استحسن المسلمون شيئا فهو عند الله حسن لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن**) رواه الامام احمد.

فالمسلمون استحسنوا عمل المولد النبوي واستحسنوا القيام عند ذكر ولادته فهو حسن عند الله تعالى حتى قال الامامان العز بن عبد السلام[١] سلطان العلماء وابن الصلاح[٢] وتبعهما العلماء ان القيام عند ذكر ولادته اصبح واجبا لأن المسلمين تعارفوا عليه وان عدم القيام يدل على الاستخفاف برسول الله والازدراء وعدم التعظيم له صلّى الله عليه وسلّم وهذا كفر (٦) ان المسلمين فعلوا المولد النبوي بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم كما فعلوا جمع القرآن وجمع الاحاديث النبوية فهل يكون جمع القرآن وجمع الاحاديث بدعة وحراما لأنه لم يفعلهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولولا هذا الجمع لضاع القرآن والاحاديث وضاع الدين معهما. (٧) ان المسلمين ذكروا قصة المولد النبوي اقتداء بالقرآن الكريم الذي ذكر لنا قصة مولد موسى وعيسى ويحيى ومريم عليهم السلام وما جرى عند ولادتهم من الآيات والمعجزات وذكر لنا القرآن جميع سيرتهم وفضائلهم بعد مماتهم فهؤلاء سنن الهية ومستحبات ربانية لا بدع شيطانية. (٨) ان حب المسلمن لنبيهم المعظم صلّى الله عليه وسلّم اوجب عليهم الاحتفال بيوم ولادته صلّى الله عليه وسلّم لان هذا الحب

(١) عز الدين بن عبد السلام توفي سنة ٦٦٠ هـ. [١٢٦١ م.]

(٢) عثمان ابن الصلاح الشافعي توفي سنة ٦٤٣ هـ. [١٢٤٥ م.]

ينفعهم في الدنيا والآخرة عند الله تعالى وعند رسوله المعظم صلّى الله عليه وسلّم.

قال صلّى الله عليه وسلّم (**لا يؤمن احدكم حتى اكون احبّ اليه من ولده ووالده والناس اجمعين**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**يحشر المؤمن مع من احبّ**) ان جبل احد في المدينة المنورة فرح حين طلع على ظهره رسول الله وابوبكر الصديق وعمر وعثمان واهتز طربا وافتخر على الجبال فقال صلّى الله عليه وسلّم (**احد جبل يحبنا ونحبه**) فهذا نص صريح وبرهان صحيح ودليل واضح على ان من احب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفرح بيوم ولادته فان رسول الله يحبه كما احب جبل احد (٩) كما ان الحب ينفع صاحبه كذلك البغض يضر صاحبه ويدخله النار لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**حب ابي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهما كفر**).

وقال صلّى الله عليه وسلّم فيما يرويه عن ربه (**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**) ان الله تعالى اعلن الحرب على من اذى وليا فكيف بمن اذى نبيا فكيف بمن اذى سيد الانبياء والمرسلين فالويل له من غضب الجبار ودخول النار (١٠) قال صلّى الله عليه وسلّم (**من اسداكم معروفا فكافئوه**) وقال ايضا (**ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه**) فالنبي صلّى الله عليه وسلّم صنع مع امته معروفا واسداهم نعما.

فانتم يا مبتدعون قابلتم احسانه اليكم بانه انقذكم من الكفر الى الايمان ومن الجهل بالله الى معرفة الله بالاساءة اليه والى ابويه وقابلتم نعمه عليكم ورحمته بكم الى العداوة والبغضاء والطعن فيه فرسول الله صلّى الله عليه وسلّم نور انار الكائنات بنور رحمته التي عمت المخلوقات وانجلت به الظلمات في الحياة وفي الممات.

تسن السيادة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما يسن القيام له صلّى الله عليه وسلّم عند ذكر ولادته وقد رجح كثير من العلماء الاعلام المحققين سلوك الادب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على امتثال امره اخذا ودليلا من قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصحيح (**ما منعك يا ابابكر ان تثبت اذ امرتك**)

فقال سيدنا ابوبكر الصديق رضي الله عنه ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين كان رسول الله مريضا وامر سيدنا ابابكر الصديق رضي الله عنه ان يصلي بالناس فلما امّ سيدنا ابوبكر الصديق رضي الله عنه بالناس فوجد صلّى الله عليه وسلّم من نفسه نشاطا للصلاة جماعة فاراد الاقتداء بسيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاحس ابوبكر رضي الله عنه باقتداء رسول الله به فتأخر سيدنا ابوبكر الصديق رضي الله عنه عن مكان الامامة واخلاه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلا حجة للمبتدعين على منع تسييده صلّى الله عليه وسلّم حينما سألوه كيف نصلي عليك فقال (**قولوا اللّهمّ صلّ على محمد**) فالصلاة عليه شئ وتسييده شئ آخر هما شيئان فسؤالهم كان عن الصلاة فقط لا عن تسييده فلو سألوه عن تسييده لاجابهم بان يسيدوه كما هو صلّى الله عليه وسلّم سيد نفسه بقوله (**انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر..**) حديث صحيح فانه سيد نفسه اعلاما لأمته بان يسيدوه لأنه من جملة ما امر بتبليغه ومع هذا فالاحرى بالمبتدعين ان كانوا محبين لسيد المرسلين ان يسلكوا مسلك الادب والاحترام والتعظيم كما فعل سيدنا ابوبكر الصديق رضي الله عنه فقد احسن وبرهن على حبه الصميم لنبيه العظيم صلّى الله عليه وسلّم.

واما حديث لا تسودوني في الصلاة فحديث باطل لا اصل له (١٢) القيام له صلّى الله عليه وسلّم مثل السيادة له صلّى الله عليه وسلّم فقد روي عنه انه امر اصحابه ان لا يقوموا له اذا مر بهم فمر يوما بشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه فقام له وانشد:

قيامي للعزيز عليّ فرض * وترك الفرض ما هو مستقيم
عجبت لمن له عقل وفهم * يرى هذا الجمال ولا يقوم

فهرست الكتاب

الموضوع **رقم الصفحة**

دُعَاءُ التَّوْحِيد

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِّي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَأُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ الْحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ للهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاسْتِغْفَار

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتوُبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب – **دار الحقيقة للنشر والطباعة** – هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ. [١٩١١ م.] بمنطقة –**أيوب سلطان إستانبول**– وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في –**دار الحقيقة للنشر والطباعة**– وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الارواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين.

اسماء الكتب العربية التي نشرها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب — **عدد صفحاتها**